مكارم الأخلاق
في ضوء الكتاب والسنة

الطبعة الأولى
١٤٤٢هـ - ٢٠٢٠م

شركة دار البشائر الإسلامية
للطباعة والنشر والتوزيع ش.م.م.
أسسها الشيخ رمزي دمشقية رحمه الله تعالى
سنة ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م
بيروت - لبنان - ص.ب: ١٤/٥٩٥٥
هاتف: ٠٠٩٦١١/٧٠٢٨٥٧ فاكس: ٠٠٩٦١١/٧٠٤٩٦٣
email: info@dar-albashaer.com
website: www. dar-albashaer.com

البشائر الإسلامية

ISBN 978-614-437-850-2
9 786144 378502

سِلْسِلَةُ مُؤَلَّفَاتٍ فِي المَنْهَجِ وَالتَّزْكِيَةِ وَالأَخْلَاقِ (٣)

مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ فِي ضَوْءِ الكِتَابِ وَالسُّنَّةِ

« إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلَاقِ »

تَأْلِيف

سعدي بن حمود الشمّري

دَارُ البَشَائِرِ الإِسْلَامِيَّة

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقدِّمَة

الحمد لله الذي أكمل لنا الدين، وأتمّ علينا النّعمة، ورضي لنا الإسلام دينا، قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والصلاة والسلام على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين؛ بَعَثه الله رحمة للعالمين، وداعيًا للناس أجمعين، ومُتمِّمًا لمكارم الأخلاق؛ قال عليه الصلاة والسلام: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»(١).

والأخلاق التي تَمَّتْ ببعثته إنما هي الدين كلّه، كما قال تعالى مُثنيًا على نبيِّه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: الآية: ٤]؛ أي: دين عظيم، كما قال السلف. وقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عن خُلق النبي ﷺ فقالَتْ: «**كان خُلُقه القرآن، أَمَا تقرأ القرآن:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾»(٢).

قال ابن كثير رحمه الله في معنى قول عائشة رضي الله عنها: «**كان خُلُقه القرآن**»: «ومعنى هذا: أنه قد أَلزم نفسه ألّا يفعل شيئًا إلّا ما أَمره به القرآن،

---

(١) أخرجه البيهقي في «السنن الكبرى» (رقم ٢٠٧٨٢)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ٤٥)، وأخرجه أحمد (٢/ ٣٨١) بلفظ: «**إنما بعثت لأتمم صالح الأخلاق**»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٢٣٤٩).

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٦٠١)، وأبو داود (١٣٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٤٨١١).

ولا يَترك إلّا ما نهاه عنه القرآن؛ فصار امتثال أَمر ربه خُلُقًا له وسَجِية؟»[١].

وعلى هذا؛ فدين الإسلام الذي جاء به الرسول ﷺ كلّه خُلُق: بعقائده وتشريعاته وعباداته وأخلاقه؛ فمن تمسك به علمًا وعملًا كان من أكمل الناس هديًا، وأحسنهم طريقةً وحالًا؛ لأن عقيدة الإسلام أصحّ العقائد، وتشريعاته أكمل التشريعات، وعباداته وأخلاقه أحسن العبادات والأخلاق.

ولهذا يستحيل أن تنفرد القوانين الوضعية، والآراء البشرية، والأفكار الغربية، بخصلة حميدة لم يسبقها إليها دين الإسلام؛ إذ كيف تنفرد آراء المخلوقين الضعفاء بخصلة حميدة عن منهج الرب العظيم والخالق الحكيم المُدَبِّر الذي ما مِن كمال في الكون إلا وهو مصدره؟ ومعطي الكمال هو أولى به.

إذا تَقرَّرَ هذا فاعلم أنَّ حاجة الناس إلى معرفة الأخلاق ـ التي بُعِث النبي ﷺ لإتمامها ـ ماسّة، واتخاذها سلوكًا واقعًا في الحياة من الأمور المهمة والمطلوبة شرعًا، والمستحسنة فطرة وعقلًا؛ وقد تكاثرت النصوص الشرعية في بيان مكانة مكارم الأخلاق وفضلها العظيم؛ إذ هي من أَجَلِّ العبادات والطاعات؛ بها يَكْمُل إيمانُ العبد ويزيد، وبها يبلغ العبد درجة الصائم في النهار القائم في الليل.

ولما كانت مكانة الأخلاق في الإسلام عظيمة، وحاجةُ العباد إليها ماسّةً، والمنحرفون عنها كثر، **جمعتُ هذا الكتاب المختصر وسميته: «مكارم الأخلاق في ضوء الكتاب والسُّنَّة»**.

وقد اشتمل على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة[٢].

---

(١) «الفصول في السيرة» (ص٢٦٤، ٢٦٥).

(٢) من الموسوعات التي استفدت منها «موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول ﷺ»، و«موسوعة الأخلاق» التابعة لموقع «الدرر السنية».

أما المقدمة: فهي التي بين يديك.

وأما الفصول الثلاثة: فقد أَدرجت تحت كل فصل مجموعة من الأبواب عَنْوَنْتُ لكل باب بما يُناسبه، وذكرتُ تَحته بعض الأدلة والنقول التي تشهد له، وفي نهاية كل باب أذكر الفوائد المستخرجة منه، وقد بلغت مجموعة الفوائد في الكتاب كله (٧٩٥) فائدة.

وأما خاتمة الكتاب: فقد ذكرتُ فيها الترهيب من مساوئ الأخلاق العلمية والعملية الباطنة والظاهرة.

أسأل الله ﷻ أن يجعل عملي خالصًا لوجهه الكريم، وأن يبارك بهذا الكتاب، وينفع به المؤلف والقارئ في الدنيا والآخرة إنه سميع قريب جواد كريم.

المؤلف

سعدي بن حمود الشمّري

إيميل: [s3dy77@hotmail.com]

الفصل الأول

مقدمة في مكارم الأخلاق

١

باب الكتاب والسُّنَّة هما الميزان في بيان الأخلاق المحمودة والمذمومة

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

عن أبي هريرة رَحِمَهُ اللَّهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«تَرَكْتُ فِيكُمْ شَيْئَيْنِ لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُمَا مَا تَمَسَّكْتُمْ بِهِمَا: كِتَابَ اللهِ وَسُنَّتِي، وَلَنْ يَتَفَرَّقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ»**(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لا سبيل إلى السعادة والفلاح ـ لا في الدنيا ولا في الآخرة ـ إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيّب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا يُنال رضا الله البَتة إلا على أيديهم؛ فالطيّب من الأعمال والأقوال والأخلاق ليس إلا هديهم وما جاءوا به؛ فهم الميزان الراجح الذي على أقوالهم وأعمالهم وأخلاقهم تُوزن الأقوال والأخلاق والأعمال وبمتابعتهم يتميّز أهل الهُدى من أهل الضلال»(٢).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «من علوم القرآن ومقاصده: علم الآداب والأخلاق الكاملة:

---

(١) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٣١٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٩٣٧).

(٢) «زاد المعاد» (١/ ٦٥).

القرآن الكريم كتاب تعليم وإرشاد، وكتاب تربية على أكمل الأخلاق، وأحسن الآداب، وأسمى الأوصاف؛ وحث عليها بكلِّ وسيلة، وزجر عن ضدها؛ لا يوجد خلق كامل وإلا وقد دلّ عليه القرآن، ولا أدب حميد إلا وقد دعا إليه وبيّنه...

وعلُوُّ مكانة المتخلق بأخلاق القرآن وآدابه لا يمتري فيه من له أدنى مُسْكَةٍ من عقل؛ لأنَّ العقل من أكبر الشواهد على حسن ما جاء به الشرع»[١].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «يستحيل وجود قانون أو نظام أو غيرها يقارب ما جاء به القرآن كمالًا وفضلًا، ورفعة وعلوًّا ونزاهةً؛ ويُعرف ذلك بتتبع ما جاء به القرآن»[٢].

فيه فوائد

الأولى: الكتاب والسُّنَّة هما الميزان لمعرفة المحمود والمذموم من الأخلاق.

الثانية: فضل التمسك بالكتاب والسُّنَّة، وأهميّة الاستغناء بهما عن غيرهما.

الثالثة: حاجة العِباد إلى منهج الأنبياء في التربية والأخلاق.

الرابعة: الفخر والاعتزاز بمنهج الإسلام في التربية والأخلاق.

الخامسة: أن العقول البشرية وحدها لا تهتدي إلى معرفة تفاصيل الأخلاق المحمودة والمذمومة.

السادسة: الحذر من تقديم آراء الناس على الكتاب والسُّنَّة.

---

(١) «فتح الرحيم الملك العلام، في علم العقائد والتوحيد» عبد الرحمٰن السعدي (ص١٠٤).

(٢) المرجع السابق نفسه.

السابعة: تناقض المناهج الدعوية والتربوية التي لم تُبْنَ على الكتاب والسُّنَّة.

الثامنة: الفرقان العظيم بين منهج الأخلاق الإسلامية والمناهج المخالفة له.

التاسعة: معرفة خطأ من جعل الميزان في الأخلاق المحمودة أو المذمومة العقل أو العرف أو المنفعة أو غيرها.

۞ ۞ ۞

٢

باب كمال الشريعة ودَلَالتها على مكارم الأخلاق ومعاليها

قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩ ـ ١٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»[(١)].

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن السلوك هو بالطريق التي أمر الله بها ورسوله من الاعتقادات والعبادات والأخلاق، وهذا كله مُبَيَّن في الكتاب والسُّنَّة، . . . فمسائل السلوك من جنس مسائل العقائد كلها منصوصة في الكتاب والسُّنَّة؛ وإنما اختلف أهل الكلام لما أَعرضوا عن الكتاب والسُّنَّة؛ فلما دخلوا في البدع وقع الاختلاف، وهكذا طريق العبادة عامة ما يقع فيه من الاختلاف إنما هو بسبب الإعراض عن الطريق المشروع فيقعون في البدع فيقع فيهم الخلاف»[(٢)].

وقال ابن القيم رحمه الله: «**وبالجملة:** فجاءهم ـ أي: النبي ﷺ ـ بخير الدنيا والآخرة برُمَّته، ولَم يُحْوِجْهُم الله إلى أحد سواه، فكيف يُظَنُّ أنَّ شريعتَه الكاملةَ التي ما طرق العالَم شريعةٌ أكملَ منها ناقصةٌ، تحتاج إلى سياسة خارجة عنها تكمِّلها، أو إلى قياس أو حقيقة أو معقول خارجٍ عنها، ومَن ظنَّ ذلك فهو كمَن ظنَّ أنَّ بالناس حاجةً إلى رسول آخَر بعده، وسبَبُ

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥).

(٢) «مجموع الفتاوى» (١٩/ ٢٧٤).

هذا كلِّه خفاءُ ما جاء به على مَن ظنَّ ذلك، وقلَّةُ نصيبه مِن الفَهم الذي وفَّق الله له أصحابَ نبيِّه الذين اكتفوا بما جاء به، واستغنوا به عمَّا سواه، وفتحوا به القلوبَ والبلادَ، وقالوا: هذا عهدُ نبيِّنا إلينا، وهو عهدُنا إليكم»[١].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ﴾: «أي: أعدل وأعلى من العقائد والأعمال والأخلاق، فمن اهتدى بما يدعو إليه القرآن كان أكمل الناس وأقومهم وأهداهم في جميع أموره»[٢].

فيه فوائد

الأولى: كمال الشريعة الإسلامية وعدم حاجتها إلى أي زيادة أو نقصان.

الثانية: هداية القرآن لكل مصالح العِباد الدينية والدنيوية.

الثالثة: القرآن شامل لحلول مشاكل الأمّة كلها في كل زمان.

الرابعة: مسائل السلوك والأخلاق كلها مُبيّنة في الكتاب والسُّنَّة.

الخامسة: حاجة العِباد إلى الرجوع للقرآن والتفقه فيه.

السادسة: الدعوة إلى الأخلاق من مقاصد بعثة النبي ﷺ.

السابعة: الأخلاق تَمّت وكَمُلت ببعثة النبي ﷺ.

الثامنة: الرسول ﷺ جمع الخصال الحميدة الموجودة فيمَن كان قبله وزادها كمالًا ودعا إليها.

التاسعة: الأخلاق التي عند الأمم قبلنا ما هي إلا من إرث الأنبياء السابقين.

العاشرة: معرفة سبَب فَساد أخلاق الأُمم وضَعْفها.

الحادية عشرة: النقص الكبير في النظم الوضعية والقوانين البشرية، وامتناع انفرادها عن الإسلام بخصلة حميدة، أو خلق فاضل.

---

(١) «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/ ٢٨٦).

(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٥٤).

٣

باب كمال هدْي الرسول ﷺ وأخلاقه، وأهميّة التأَسِّي به

قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ٢١﴾ [الأحزاب: ٢١]. وقال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾ [القلم، الآية: ٤].

عن سعد بن هشام بن عامر قال: «أتيت عائشة رضي الله عنها فقلت: يا أم المؤمنين أخبريني بخلق رسول الله ﷺ قَالَتْ: «**كان خلقه القرآن، أما تقرأ القرآن**: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٖ ٤﴾»، قلت: فإني أريد أن أتبتل، قالت: لا تفعل، أما تقرأ ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ﴾ فقد تزوج رسول الله ﷺ وقد ولد له»(١).

قال سفيان بن عيينة رحمه الله: «إنّ رسول الله ﷺ هو الميزان الأكبر، فَعَليه تُعْرض الأشياء ـ على خُلُقِه وسيرتِه وهَدْيه ـ؛ فما وافقها فهو الحقّ، وما خالفها فهو الباطل»(٢).

وقال ابن حزم رحمه الله: «من أراد خَير الآخرة، وحِكمة الدنيا، وعَدْل السّيرة، والاحتواء على محاسن الأخلاق كلها، واستحقاق الفضائل بأسْرها؛ فَلْيقتد بمحمد رسول الله ﷺ، وليستعمل أخلاقه، وسيرته ما أمكنه، أعاننا الله على الاتّساء به، بمنّه آمين»(٣).

---

(١) أخرجه أحمد (٢٤٦٠١)، وأبو داود (١٣٤٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٤٨١١).

(٢) أخرجه الخطيب البغدادي في «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» (١/ ٧٩).

(٣) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» (ص٢٤).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ ـ في معنى قول عائشة: «**كان خلقه القرآن**» ـ: «ومعنى هذا أنه قد أَلزم نفسه ألّا يفعل شيئًا إلّا ما أمره به القرآن، ولا يَترك إلّا ما نهاه عنه القرآن، فصار امتثال أمر ربه خُلقًا له وسجية ﷺ»(١).

فيه فوائد

الأولى: حاجة العِباد إلى هدي خير العِباد رسول الله ﷺ.

الثانية: أهميّة التأسي بالرسول ﷺ ودعوة الناس إلى هَدْيه.

الثالثة: هَدْي الرسول ﷺ هو الميزان لمعرفة المقبول والمردود من الأقوال والأعمال والمعتقدات.

الرابعة: تعظيم السلف للنصوص الشرعية.

الخامسة: خطأ من دعا الناس إلى هدي غير الرسول ﷺ من العلماء والعُبّاد وغيرهم.

السادسة: معرفة خطأ المناهج التي نصّبت أشخاصًا وجعلتهم أُسوة لها في العلم والعمل.

السابعة: الاتباع الصحيح للرسول ﷺ يُورث الحرِّية الصحيحة المحمودة.

الثامنة: هدي الرسول ﷺ هو الميزان للحكم على جميع الشعارات المرفوعة باسم التربية والأخلاق والإصلاح.

التاسعة: معرفة حقيقة أخلاق النبي ﷺ.

العاشرة: الرسول ﷺ قدوة للمسلمين في كل شؤونهم.

❁ ❁ ❁

---

(١) «الفصول في السيرة» (ص٢٦٤، ٢٦٥).

٤

باب كمال أخلاق السلف، ووجوب اتّباعهم بإحسان

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [التوبة: ١٠٠].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ يَجِيءُ أَقْوَامٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِمْ يَمِينَهُ، وَيَمِينُه شَهَادَتَهُ**»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «من كان منكم متأسيًا، فليتأس بأصحاب محمد ﷺ؛ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا، وأعمقها علمًا، وأقلّها تكلفًا، وأقومها هديًا، وأحسنها حالًا؛ قوم اختارهم الله لصحبة نبيه، ولإقامة دينه؛ فاعرفوا لهم الفضل، واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدْي المستقيم»(٢).

وقال الإمام الشافعي رحمه الله: «هم فوقنا في كل علم، وعقل، ودين، وفضل، وكل سبب ينال به علم أو يدرك به هدى. ورأيهم لنا خيرٌ من رأينا لأنفسنا»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «معرفة أقوالهم في العلم والدين وأعمالهم خير وأنفع من معرفة أقوال المتأخرين وأعمالهم - في جميع علوم الدين وأعماله، كالتفسير وأصول الدين وفروعه والزهد والعبادة والأخلاق والجهاد وغير ذلك -؛ فإنهم أفضل ممن بعدهم كما دل عليه

---

(١) أخرجه البخاري (٢٦٥٢)، ومسلم (٢٥٣٣).
(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم وفضله» (٢/ ٩٤٧).
(٣) «المدخل إلى السنن الكبرى» للبيهقي (ص١١٠).

الكتاب والسُّنَّة؛ فالاقتداء بهم خير من الاقتداء بمن بعدهم»[١].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: في قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾: «والتابعون لهم بإحسان هم الذين لم يُقصِّروا في ما كان عليه السلف ولم يَزيدوا، فمن قَصَّر فإنه لم يتّبْع بإحسان، ومن زاد لم يتّبْع بإحسان، ولهذا قال النبي ﷺ: «**هُمْ مَنْ كَانَ عَلَى مِثْلِ مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي**»؛ فهذه المماثلة هي التي يتحقق بها الاتباع بإحسان، وما عدا ذلك فإنه اتباع ناقص»[٢].

فيه فوائد

الأولى: كمال أخلاق السلف ووجوب اتباعهم بإحسان دون زيادة أو نقصان.

الثانية: الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن سار على نهجهم في العقيدة والعمل هم خير الناس في جميع أبواب الدين.

الثالثة: تصحيح منهج التأسي والاقتداء.

الرابعة: خطأ من اقتدى بغير منهج الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ في العقيدة والعمل.

الخامسة: أهمية تقديم هدي الصحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ على من جاء بعدهم.

السادسة: معرفة معنى: اتباعهم بإحسان.

السابعة: العبد لا يكون مرضيًّا عنه حتى يتّبع الصحابة بإحسان.

الثامنة: حسن تربية النبي ﷺ لأصحابه.

التاسعة: الحذر من المناهج التي لم تَمْتَثل منهج القرآن في توقير الصحابة واتباعهم بإحسان.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٣/ ٢٤).

(٢) «شرح تقريب التدمرية» (ص٣٠).

٥

باب فضل حُسْن الخلق، ومكانته في الكتاب والسُّنَّة

قال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ: أَحَاسِنَكُمْ أَخْلَاقًا**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ مِنْ خِيَارِكُمْ: أَحْسَنَكُمْ أَخْلَاقًا**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ أَثْقَلُ فِي مِيزَانِ الْمُؤْمِنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ خُلُقٍ حَسَنٍ**»(٣).

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»(٤).

وقال النبي ﷺ: «**الْبِرُّ حُسْنُ الْخُلُقِ**»(٥).

قال حميد بن هلال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: دخلت الكوفة وجلست إلى الرَّبيع بن خُثَيْم فقال: «يا أخا بني عدي، عليك بمكارم الأخلاق؛ فكن بها عاملًا، ولها صاحبًا؛ واعلم أن الذي خلق مكارم الأخلاق لم يخلقها ولم يدل عليها حتى أحبها وحببها إلى أهلها»(٦).

---

(١) أخرجه الترمذي (برقم ٢٠١٨)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (برقم ٧٩١).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٣٥٥٩)، ومسلم (برقم ٢٣٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (برقم ٤٧٩٩)، والترمذي (برقم ٢٠٠٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٥٣٩٠).

(٤) أخرجه أبو داود (برقم ٤٧٩٨)، وأحمد (برقم ٢٤٥٩٥)، وصححه الألباني في «المشكاة» (برقم ٥٠٨٢).

(٥) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٥٣).

(٦) ««مكارم الأخلاق»» لابن أبي الدنيا (ص٢٩).

وقال مخلد بن حسين لابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «نحن إلى كثير من الأدب أحوج منا إلى كثير من الحديث»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أدب المرء عنوان سعادته وفلاحه، وقلة أدبه عنوان شقاوته وبواره، فما استجلب خير الدنيا والآخرة بمثل الأدب ولا استجلب حرمانها بمثل قلة الأدب»[٢].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والأخلاق الكاملة والآداب السامية تجعل صاحبها مستقيم الظاهر والباطن، معتدل الأحوال، مكتمل الأوصاف الحسنة، طاهر القلب نقيّه من كلِّ درن وآفة ونقص، قوي القلب، متوجهًا قلبه إلى أعلى الأمور وأنفعها، قائمًا بالحقوق الواجبة والمستحبة، محمودًا عند الله وعند خلقه، قد حاز الشرف والاعتبار الحقيقي، وسَلِم من كلِّ دنس وآفة، قد تواطأ ظاهره وباطنه على الاستقامة، وسلوكِ طريق الفلاح»[٣].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «كم في الكتاب والسُّنَّة من النصوص الحاثّة على حسن الخُلق، المُثنية على أصحابه، الذّاكرة ما لهم من الفضائل والفواضل، وذلك لما اشتمل عليه من الخُلُقِ الجميل، وما يترتَّب عليه من المنافع العامة والخاصة.

فَمِنْ أَجَلِّ فَوائِده: امتثال أمر الله وأمر رسوله. (و)الاقتداء بخُلُقِ النبي ﷺ العظيم. وإنه في نفسه عبادة عظيمة تتناول من زمان العبد وقتًا طويلًا وهو في راحة ونعيم مع حصول الأجر العظيم.

ومِنْ أَجَلِّ فِوائِده: أنه يحبِّب صاحبه للقريب والبعيد، ويجعل العدوَّ صديقًا، والبعيد قريبًا.

---

(١) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (١/ ٨٠).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٨).

(٣) «فتح الرحيم الملك العلام، في علم العقائد والتوحيد» عبد الرحمٰن السعدي (ص١٠٤).

وبه يتمكَّن الداعي إلى الله والمعلّم للخير في دعوته، ويجمع الخلق إليه بقلوبٍ راغبة، وقَبولٍ واستعداد، لوجود السبب وانتفاء المانع: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وهو بنفسه إحسان قد يزيد على الإحسان المالي: «إنكم لن تَسَعُوا الناس بأموالكم، ولكن لِيَسَعَهُم منكم حسن الخلق»[(١)].

فمتى اجتمع الأمران فهو الكمال، ومتى فُقِد الإحسان المالي ناب عنه حُسن الخلق والإحسان الحالي والمقالي، فربما صار له موقع أكبر من نفع المال.

وبالخُلقِ الحسن، وطمأنينة القلب وراحته، يتمكن من معرفة العلوم التي سعى لإدراكها، والمعارف التي يُفكر في تحصيلها.

وبه يتمكن المناظر والمخاصم من إبداء حجته، وفهم حجة صاحبه، ويسترشد بذلك إلى الصواب قولًا وعملًا، وكما أنه سبب لهذين الأمرين في نفسه، فهو من أقوى الدواعي لحصولهما لمن خاصمه أو ناظره: «**إِنَّ الله يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ**»[(٢)].

وبالخلق الحسن يسلم العبد من مضار العجلة والطيش لرزانته وصبره لكل ما يمكن من الاحتمالات، وتجنُّب ما يخشى ضرره.

وبالخلق الحسن يتمكن من الوفاء بالحقوق الواجبة، والمستحبة، والأهل، والأولاد، والأقارب، والأصحاب، والجيران، والمعاملين، وسائر مَن بيْنه وبيْنه مخالطة أو حق؛ فكم من حقوق أُضيعت من جراء سوء الخلق.

وإنَّ حسن الخلق ليدعو إلى صفة الإنصاف، فإن صاحب الخلق

---

(١) أخرجه أبو يعلى (برقم ٦٥٥٠)، والبزار (برقم ٨٥٤٤)، وحسنه الألباني لغيره في «صحيح الترغيب والترهيب» (برقم ٢٦٦١).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٩٣).

الحسن يسلم غالبًا من الانتصار لنفسه، والتعصب لقوله؛ لأن الانتصار للنفس والتعصب ـ لها ـ يحمل على الاعتساف وعدم الإنصاف.

وإن صاحب الخلق الحسن في راحة حاضرة ونعيم آجل، فإن قلبه مطمئن ونفسه ساكنة، وهذه مادة الراحة العاجلة، وطيب العيش، كما أن سيئ الخلق في شقاء حاضر، وعذاب مستمر، ونـزاع ظاهري وباطني مع نفسه وأولاده ومخالطيه، ويشوش عليه حياته، ويُكدِّر أوقاته مع ما يترتب على ذلك من فوات تلك الآثار الطيبة، والتعرض لضدها، وبهذا ونحوه يتبين معنى قوله ﷺ: «**إِنَّ الْعَبْدَ لَيُدْرِكُ بِحُسْنِ خُلُقِهِ دَرَجَةَ الصَّائِمِ الْقَائِمِ**»[(١)].

فيه فوائد

الأولى: معرفة الفضائل العظيمة المترتبة على حسن الخلق.

الثانية: عِظَم منزلة الأخلاق في الإسلام.

الثالثة: معرفة ثمرات الأخلاق الدينية والدنيوية.

الرابعة: وصايا السلف في الحث على الأخلاق.

الخامسة: خطأ من قلّل أو هوّن من منزلة الأخلاق.

السادسة: الأخلاق الحسنة دليل على كمال الإيمان، وبرهان على انتفاع المرء بعلمه.

السابعة: انتفاع المسلم بأخلاقه في الدنيا والآخرة.

❁ ❁ ❁

---

(١) «الفتاوى السعدية» (ص٦٥٦ ـ ٦٥٨).

٦

باب عناية أهل السُّنَّة والجماعة بمكارم الأخلاق

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةً﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدًاۗ﴾ [البقرة: ١٤٣].

وقال النبي ﷺ: «**أَنْتُمْ تُوفُونَ سَبْعِينَ أُمَّةً، أَنْتُمْ خَيْرُهَا وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللهِ**»[١].

قال أبو بكر الإسماعيلي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويرون مجانبة البدعة والآثام والفخر والتكبر والعجب والخيانة والدغل والسعاية. ويرون كف الأذى، وترك الغيبة إلا لمن أظهر بدعة وهوى يدعو إليها ـ فالقول فيه ليس بغيبة عندهم ـ. . . مع لزوم الجماعة والتعفف في المأكل والمشرب والملبس، والسعي في عمل الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإعراض عن الجاهلين حتى يعلموهم ويبينوا لهم الحق، ثم الإنكار والعقوبة من بعد البيان وإقامة العذر بينهم ومنهم.

هذا أصل الدين والمذهب، واعتقاد أئمة أهل الحديث، الذين لم تُشِنْهم بدعة، ولم تلبسهم فتنة، ولم يخفوا إلى مكروه في دين؛ فتمسكوا معتصمين بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا عنه»[٢].

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٢٣٠١).

(٢) «اعتقاد أئمة الحديث» (ص٧٩).

وقال أبو عثمان إسماعيل الصابوني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويرون المسارعة إلى أداء الصلوات المكتوبات، وإقامتها في أوائل الأوقات أفضل من تأخيرها إلى آخر الأوقات.. ويتواصون بقيام الليل للصلاة بعد المنام، وبصلة الأرحام، وإفشاء السلام وإطعام الطعام، والرحمة على الفقراء والمساكين والأيتام، والاهتمام بأمور المسلمين، والتعفف في المأكل والمشرب والملبس والمنكح، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والبدار إلى فعل الخيرات أجمع، ويتحابون في الدين ويتباغضون فيه، ويتقون الجدال في الله، والخصومات فيه، ويجانبون أهل البدع والضلالات، ويعادون أصحاب الأهواء والجهالات»[1].

وقال قوّام السُّنَّة إسماعيل بن محمد الأصبهاني رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن مذهب أهل السُّنَّة، التورع في المآكل والمشارب والمناكح، والتحرز من الفواحش والقبائح، والتحريض على التحاب في الله عَزَّ وَجَلَّ، واتقاء الجدال والمنازعة في أصول الدين، ومجانبة أهل الأهواء والضلالة، ـ هجرهم ومباينتهم ـ، والقيام بوفاء العهد والأمانة، والخروج من المظالم والتبعات، وغض الطرف عن الريبة والحرمات، ومنع النفس عن الشهوات، وترك شهادة الزور، وقذف المحصنات، وإمساك اللسان عن الغيبة والبهتان، والفضول من الكلام، وكظم الغيظ والصفح عن زلل الإخوان، والمسابقة إلى فعل الخيرات، والإمساك عن الشبهات، وصلة الأرحام، ومواساة الضعفاء، والنصيحة في الله والشفقة على خلق الله، والتهجد لقيام الليل لا سيما لحملة القرآن، والبدار إلى أداء الصلوات»[2].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويدينون بالنصيحة للأمة، ويعتقدون معنى قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا**» وشبّك بين

---

(١) «عقيدة السلف وأصحاب الحديث» (ص٢٩٧ ـ ٢٩٨).

(٢) «الحجة في بيان المحجة» (٢/ ٥٧١ ـ ٥٧٢).

أصابعه، وقوله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالْحُمَّى وَالسَّهَرِ**»، ويأمرون بالصبر عند البلاء، والشكر عند الرخاء، والرضا بمُرِّ القضاء، ويدعون إلى مكارم الأخلاق، ومحاسن الأعمال، ويعتقدون معنى قوله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»، ويندبون إلى أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك؛ ويأمرون ببر الوالدين، وصلة الأرحام، وحسن الجوار، والإحسان إلى اليتامى والمساكين وابن السبيل، والرفق بالمملوك؛ وينهون عن الفخر والخيلاء والبغي والاستطالة على الخلق بحق أو بغير حق، ويأمرون بمعالي الأخلاق، وينهون عن سفسافها»[(١)].

فيه فوائد

الأولى: عناية أهل السُّنَّة والجماعة بمكارم الأخلاق، وذكرهم لها في كتب العقيدة.

الثانية: عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة عقيدة علمية عملية.

الثالثة: أخلاق أهل السُّنَّة والجماعة نابعة من دينهم.

الرابعة: أهل السُّنَّة والجماعة يَهتمّون بأمور المسلمين كلّها، ولا يُهملون شيئًا منها.

الخامسة: أهل السُّنَّة والجماعة يدعون إلى كل ما دعا إليه القرآن والسُّنَّة.

السادسة: أهل السُّنَّة والجماعة حققوا مكارم الأخلاق علمًا وعملًا.

السابعة: حسن منهج أهل السُّنَّة والجماعة في العقيدة والعمل.

---

(١) «العقيدة الواسطية» (ص١٢٩ ـ ١٣١).

٧

باب مفهوم الأخلاق في الشرع

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾ [القلم: ٤].

وقَالَتْ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**»(١).

قال عبد الله بن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ عن حسن الخلق مع الناس: «هو طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكف الأذى»(٢).

وعن أحمد بن إسحاق بن منصور رَحِمَهُ اللَّهُ قال: سمعت أبي يقول لأحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ: ما حسن الخلق؟ قال: «هو أن تحتمل ما يكون من الناس»(٣).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما الخلق العظيم الذي وصف الله به محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو: الدين الجامع لجميع ما أمر الله به مطلقًا». هكذا قال مجاهد وغيره(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وهذا يدل على أن حسن الخلق: هو الدين كله، وهو حقائق الإيمان وشرائع الإسلام.... وهذا غير حسن الخلق؛ وسوئه في عرف كثير من الناس»(٥).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «الدين كله خلق؛ فمن زاد عليك في الخلق زاد عليك في الدين»(٦).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الخُلُق هيئة مركبة من: علوم صادقة، وإرادات زاكية،

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥).
(٢) رواه الترمذي (برقم ٢٠٠٥).
(٣) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (برقم ٧٧٢٦).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٥٨).
(٥) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٢).
(٦) المرجع السابق (٢/ ٢٩٤).

وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق؛ تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقًا هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها؛ فهذه كانت أخلاق رسول الله المقتبسة من مشكاة القرآن؛ فكان كلامه مطابقًا للقرآن تفصيلًا له وتبيينًا، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله ما أوجبه وندب إليه القرآن، وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغَّب فيه، وزهده فيما زهَّد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبّه، وسعيه في تنفيذ أوامره وتبليغه، والجهاد في إقامته، فترجمت أم المؤمنين ـ لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها ـ عن هذا كله بقولها: «**كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ**». وفهم هذا السائل لها عن هذا المعنى فاكتفى به واشتفى»(١).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقوله ﷺ: «**وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ**» هذا من خصال التقوى، ولا تَتِمُّ التقوى إلا به، وإنَّما أفرده بالذكر للحاجة إلى بيانه؛ فإنَّ كثيرًا من النَّاس يظنُّ أنَّ التقوى هي القيامُ بحقِّ اللهِ دونَ حقوق عباده، فنصَّ له على الأمر بإحسان العشرة للناس، فإنَّه كان قد بعثه إلى اليمن معلمًا لهم ومفقهًا وقاضيًا، ومَنْ كان كذلك، فإنَّه يحتاج إلى مخالقَةِ النَّاسِ بخلق حسن ما لا يحتاج إليه غيرُه ممن لا حاجةَ للنَّاس به ولا يُخالطهم، وكثيرًا ما يغلب على من يعتني بالقيامِ بحقوق الله، والانعكاف على محبته وخشيته وطاعته إهمالُ حقوق العباد بالكُلِّيَّة أو التقصير فيها، والجمعُ بَيْنَ القيام بحقوق الله وحقوق عباده عزيزٌ جدًّا لا يَقوى عليه إلَّا الكُمَّلُ مِنَ الأنبياءِ والصديقين»(٢).

---

(١) «التبيان في أقسام القرآن» (ص٢١٧).
(٢) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٥٤).

فيه فوائد

الأولى: معرفة مفهوم مكارم الأخلاق في الإسلام(١).

---

(١) **الأخلاق**: جمع خُلق. **والخُلق في اللغة**: قال ابن منظور: «الخُلُق بضم اللام وسكونها، وهو: الدين والطبع والسجية» «لسان العرب» (١٠/ ٨٦).

وقال الراغب في «المفردات في غريب القرآن» (ص٢٩٧): «الخَلْقُ والخُلْقُ بالفتح والضم في الأصل بمعنى واحد كالشَّرب والشُّرب، ولكن خص الخَلْق الذي بالفتح بالهيئات والصور المدركة بالبصر، وخص الخُلْق بالقوى والسجايا المدركة بالبصيرة».

وقال علي بن محمد الجرجاني في «التعريفات» (ص١٠١) ـ مبينًا **تعريف الأخلاق في الاصطلاح** ـ: «الخُلُق: عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويُسْرٍ من غير حاجة إلى فكر ورويّة. فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلًا وشرعًا بسهولة، سميت الهيئة خُلُقًا حسنًا. وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة التي هي المصدر خُلُقًا سيئًا. وإنما قلنا: إنه هيئة راسخة؛ لأن من يَصْدر منه بَذْل المال على الندور بحالةٍ عارضة، لا يقال خلقه السخاء، ما لم يَثْبُتْ ذلك في نفسه. وكذلك من تكلّفَ السكوت عند الغضب بجهدٍ أو رويّة لا يقال: خُلُقه الحلم. وليس الخُلق عبارة عن الفعل؛ فرب شخص خلقه السخاء، ولا يَبْذل: إما لفقْد المال، أو لمانع. وربما يكون خُلقه البخل، وهو يَبذل لباعثٍ أو رياء».

وقال ابن الأثير رحمه الله عن الخلق: إنه «صورة الإنسان الباطنة، وهي نفسه وأوصافه» «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٢/ ٧٠).

هذا مفهوم الأخلاق باعتبار قيامها في الإنسان.

وأما مفهومها في الشرع ـ فكما في الباب ـ: تشمل الدين كله ـ عقيدة، وعبادة، وأخلاقًا ـ.

وأما معنى المكارم. فالمكارم: واحدها مكرُمة، وهي فعل الكرم؛ ففعلك للكرم اسمه: مكرُمة، واسم الجنس له: مكارم. وفعل الكرم لا نقصد به بذل المال؛ بل نقصد: الفعل الذي يحمد عليه المرء؛ لأن الكرم في اللغة هو: الفعل الذي يحمد.

ومن ثَمَّ **فإن معنى «مكارم الأخلاق»**: الأقوال والأعمال المحمودة والممدوحة =

الثانية: تفسير السلف للأخلاق مع الناس.

الثالثة: الأخلاق الإسلامية شاملة لكل ما أمر الله به من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة.

الرابعة: الأخلاق الإسلامية تشمل القيام بحقوق الله، وحقوق النفس، وحقوق الخلق على اختلاف مراتبهم.

الخامسة: الأخلاق الإسلامية سبيل إلى انتظام الحياة، وتحقيق سعادة القلوب والأرواح.

السادسة: خطأ من اقتصر على بعض الأخلاق الظاهرة، وأهمل الأخلاق الباطنة ـ كالإخلاص واليقين ونحوهما ـ.

السابعة: خطأ من اقتصر على بعض شعب الأخلاق ـ كالأخلاق مع الناس ـ، وأهمل أصولها ـ كالأخلاق مع الله أو مع الرسول ﷺ ـ.

الثامنة: الردّ على المعرضين عن منهج الإسلام في العقيدة والتزكية والأخلاق.

۞ ۞ ۞

= التي رغب فيها الإسلام، والإسلام يدعو لـ«مكارم الأخلاق»؛ أي: الفائق من العقائد والأقوال والأعمال والآداب.

٨

باب أركان الأخلاق الحسنة، وتَفرُّع سائر الأخلاق عنها

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

عن أبي سعيد الخدري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ؛ فأعطاهم؛ ثم سألوه؛ فأعطاهم؛ ثم سألوه؛ فأعطاهم حتى نَفِدَ ما عنده فقال: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»[(١)].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وحُسْن الخلق يقوم على أربعة أركان** لا يُتصور قيام ساقه إلا عليها: **الصبر، والعِفّة، والشجاعة، والعدل**.

• **فالصبر يَحْمِله على**: الاحتمال، وكظْم الغيْظ، وكفّ الأذى، والحلم، والأناة والرفق وعدم الطيش والعجلة.

• **والعِفّة تَحمله على**: اجتناب الرذائل والقبائح من القول والفعل، وتَحمله على الحياء ـ وهو رأس كلّ خير ـ وتَمنعه من الفحشاء والبخل والكذب والغيبة والنميمة.

• **والشجاعة تَحمله على**: عزّة النفس، وإيثار معالي الأخلاق والشّيم، وعلى البذل والندى ـ الذي هو شجاعة النفس وقوتها على إخراج المحبوب ومفارقته ـ، وتَحمله على كظم الغيظ والحلم؛ فإنه بقوة

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ١٤٦٩)، ومسلم (برقم ١٠٥٣).

نفسه وشجاعتها يمسك عِنانها ويكبحها بلجامها عن النـزغ والبطش، كما قال ﷺ: «**لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ**»، وهو حقيقة الشجاعة، وهي: ملكة يقتدر بها العبد على قهر خصمه.

• **والعدل يَحمله على**: اعتدال أخلاقه، وتوسطه فيها بين طرفي الإفراط والتفريط، فيحمله على خلق الجود والسخاء الذي هو توسط بين الذلّ والْقِحَةِ، وعلى خُلق الشجاعة الذي هو توسط بين الجُبْن والتهور، وعلى خلق الحلم الذي هو توسط بين الغضب والمهانة وسقوط النفس، ومنشأ جميع الأخلاق الفاضلة من هذه الأربعة.

* **ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.**

• **فالجهل**: يُريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصًا والنقص كمالًا.

• **والظلم**: يحمله على وضع الشيء في غير موضعه، فيغضب في موضع الرضا، ويرضى في موضع الغضب، ويجهل في موضع الأناة، ويبخل في موضع البذل، ويبذل في موضع البخل، ويحجم في موضع الإقدام، ويقدم في موضع الإحجام، ويَلِين في موضع الشدة، ويشتد في موضع اللّين، ويتواضع في موضع العزة، ويتكبر في موضع التواضع.

• **والشهوة**: تحمله على الحرص والشح والبخل وعدم العفة والنهمة والجشع والذل والدناءات كلها.

• **والغضب**: يحمله على الكبر والحقد والحسد والعدوان والسّفه»[1].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٤ ـ ٢٩٥).

فيه فوائد

الأولى: معرفة أركان الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة.

الثانية: الأخلاق الحسنة يُولِّدُ بَعْضها بعضًا، وكذا الأخلاق السيئة.

الثالثة: الترغيب في كل خلق حسن، والترهيب من كل خلق سيئ.

٩

باب صلة الأخلاق الفاضلة بالتوحيد

قال تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَٱلْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَٰهَدُوا۟ۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِى ٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلْبَأْسِۗ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾﴾ [البقرة: ١٧٧].

وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِى ٱلسَّمَآءِ ﴿٢٤﴾ تُؤْتِىٓ أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍۭ بِإِذْنِ رَبِّهَاۗ وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [إبراهيم: ٢٤ ـ ٢٥].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**»(١).

وعَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها قَالَتْ: قلت: يا رسول الله، ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرحم ويطعم المسكين فهل ذاك نافعه؟ قال: «**لَا يَنْفَعُهُ، إِنَّهُ لَمْ يَقُلْ يَوْمًا: رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين**»(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إذا نقصت الأعمال الظاهرة الواجبة، كان ذلك لنقص ما في القلب من الإيمان، فلا يتصور مع كمال الإيمان الواجب الذي في القلب أن تعدم الأعمال الظاهرة الواجبة؛ بل يلزم من وجود هذا كاملًا وجود هذا كاملًا، كما لزم من نقص هذا نقص

(١) أخرجه أبو داود (٤٦٨٢)، والترمذي (١١٦٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ١٢٣٠).
(٢) أخرجه مسلم (٣٦٥).

هذا؛ إذ تقدير إيمان تام في القلب بلا ظاهر من قول وعلم؛ كتقدير موجب تام بلا موجبه، وعلة تامة بلا معلولها، وهذا ممتنع»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا؛ لما كان يوسف محبًّا لله، مخلصًا له الدين: لم يُبْتل بذلك، بل قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصۡرِفَ عَنۡهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلۡفَحۡشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُخۡلَصِينَ ٢٤﴾ [يوسف: ٢٤]. وأما امرأة العزيز فكانت مُشْركة هي وقومها فلهذا ابتليتْ بالعشق، وما يُبْتلى بالعشق أحد إلا لنقص توحيده وإيمانه»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الصحيح عن عبد الله بن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**أَكْمَلُ الْمُؤْمِنِينَ إِيمَانًا أَحْسَنُهُمْ خُلُقًا**» فجعل كمال الإيمان في كمال حسن الخلق»(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإن الإيمان هو روح الأعمال وهو الباعث عليها والآمر بأحسنها والناهي عن أقبحها، وعلى قدر قوة الإيمان يكون أمره ونهيه لصاحبه وائتمار صاحبه وانتهاؤه»(٤).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا كَلِمَةٗ طَيِّبَةٗ كَشَجَرَةٖ طَيِّبَةٍ﴾ الآية: «فشجرة الإيمان، أصلها ثابت في قلب المؤمن، علمًا واعتقادًا. وفرعها من الكلم الطيب والعمل الصالح والأخلاق المرضية، والآداب الحسنة في السماء دائمًا يصعد إلى الله منه من الأعمال والأقوال التي تخرجها شجرة الإيمان ما ينتفع به المؤمن وينفع غيره... فهذه صفة كلمة التوحيد وثباتها، في قلب المؤمن»(٥).

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٥٨٢).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٣٥).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ٦٥٩).
(٤) «مدارج السالكين» (٣/ ٢٦٥).
(٥) «تفسير السعدي» (ص٤٢٥).

فيه فوائد

الأولى: التوحيد أساس مكارم الأخلاق، وعنه تتفرع جميع شعب الأخلاق الحسنة.

الثانية: معرفة صلة الأخلاق بالتوحيد.

الثالثة: فضل التوحيد وعِظم ثمراته.

الرابعة: الأخلاق والأعمال لا تنفع بدون التوحيد.

الخامسة: التوحيد عند أهل السُّنَّة والجماعة: عقيدة وعمل.

السادسة: أهمية دراسة التوحيد والسعي في تحقيقه.

السابعة: التوحيد يطهر أهله من الفواحش والمنكرات والأخلاق السيئة.

الثامنة: أخلاق الكفار السيئة ناتجة عن فساد عقيدتهم.

التاسعة: أثر فساد العقيدة في فساد الأخلاق.

١٠

باب صلة الأخلاق الفاضلة بالعبادات

قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ﴾ [الأعراف: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ٤٥﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وقال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾ [التوبة: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٨٣﴾ [البقرة: ١٨٣].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ [الحج: ١٩٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الإِقَامَةَ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالوَقَارِ؛ وَلَا تُسْرِعُوا، فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»(١).

وقال النبي ﷺ: «... **إِنَّ هَذِهِ الصَّدَقَاتِ إِنَّمَا هِيَ أَوْسَاخُ النَّاسِ**...»(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «**فَرَضَ رسول الله ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ طُهْرَةً لِلصَّائِمِ مِنَ اللَّغْوِ وَالرَّفَثِ، وَطُعْمَةً لِلْمَسَاكِينِ**»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٦٣٦)، ومسلم (برقم ٦٠٢).

(٢) أخرجه مسلم (برقم ١٠٧٢).

(٣) أخرجه أبو داود (برقم ١٦٠٩)، وابن ماجه (برقم ١٨٢٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (برقم ١٠٨٥).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**قَالَ اللهُ عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصَّوْمَ؛ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. الصِّيَامُ جُنَّةٌ؛ فَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ: إِنِّي صَائِمٌ، إِنِّي صَائِمٌ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ للهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ**»(٢).

وقال ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَا يُذْهِبُ وَحَرَ الصَّدْرِ؟ صَوْمُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ حَجَّ هَذَا الْبَيْتَ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ رَجَعَ كَمَا وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(٤).

قال ابن سعدي رحمه الله: «**تأمل هذه الشرائع العظيمة** وجليل منافعها وما توجبه من السعي في مرضاة الله والفوز بثوابه العاجل والآجل: **وتأمل ما في الصلاة** من الإخلاص لله والإقبال التام والثناء والدعاء والخضوع... وأنها تنهى عن الفحشاء والمنكر. **وانظر إلى حِكَم الزكاة** وما فيها من التخلق بأخلاق الكرام من السخاء والجود والبعد عن أخلاق اللئام، والشكر لله على ما أولاه من الإنعام... وما فيها من الإحسان إلى الخلق ومواساة المحتاجين وسداد مصالح المحتاج. **وفي الصوم** من تمرين النفوس على ترك محبوباتها الذي ألفته حبًا لله وتقربًا إليه، وتعويد النفوس وتمرينها على قوة العزيمة والصبر... **وما في الحج**

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ١٩٠٤)، ومسلم (برقم ١١٥١).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ١٩٠٣).

(٣) أخرجه النسائي (برقم ٢٣٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٢٦٠٨).

(٤) أخرجه البخاري (برقم ١٨١٩)، ومسلم (برقم ١٣٥٠).

من بذل الأموال وتحمل المشقات. . . طلبًا لرضا الله»[١].

فيه فوائد

الأولى: شرائع الإسلام كلها داخلة في الأخلاق.

الثانية: أركان الإسلام العِظام تُصلح النفوس وتُهذبها، وتُطهِّرها من مساوئ الأخلاق والأعمال.

الثالثة: معرفة صلة الأخلاق بأركان الإسلام.

الرابعة: محاسن شرائع الإسلام.

الخامسة: أهمية القيام بشرائع الإسلام كما أمر الله.

السادسة: معرفة الأصول التي تُزكي النفوس وتُهذّب الأخلاق بعد التوحيد.

❁ ❁ ❁

(١) «الدرة المختصرة في محاسن الدين الإسلامي» (ص١٣ ـ ١٥).

١١

باب صلة الأخلاق بالأوامر والنواهي والحدود والعقوبات الشرعية

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ**»(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن العقوبات الشرعية كلها أدوية نافعة يصلح الله بها مرض القلوب وهي من رحمة الله بعباده ورأفته بهم الداخلة في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]؛ فمن ترك هذه الرحمة النافعة لرأفة يجدها بالمريض فهو الذي أعان على عذابه وهلاكه وإن كان لا يريد إلا الخير إذ هو في ذلك جاهل أحمق»(٢).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكما أن العقوبات شُرِعت داعية إلى فعل الواجبات وترك المحرمات فقد شُرع أيضًا كل ما يعين على ذلك»(٣).

وقال العز بن عبد السلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «الشريعة كلها مصالح، إما تدرأ مفاسد أو تجلب مصالح، فإذا سمعت الله يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ فتأمل وصية الله بعد ندائه، فلا تجد إلا خيرًا يحثك عليه أو شرًّا يزجرك عنه، أو جمعًا بين الحث والزجر. وقد أبان الحق تبارك وتعالى في كتابه ما في بعض الأحكام من المفاسد حثًّا على اجتناب المفاسد، وما في بعض الأحكام من المصالح حثًا على إتيان المصالح»(٤).

---

(١) تقدم تخريجه (ص٥).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢٩٠).
(٣) «مجموع الفتاوى» (٢٨/ ٣٦٩).
(٤) «قواعد الأحكام في مصالح الأنام» (١/ ١١).

فيه فوائد

الأولى: الأحكام الشرعية مبنيّة على مصالح الخلق فضلًا من الله تعالى ورحمة.

الثانية: الشريعة لم تهمل مَصلحةً قط.

الثالثة: جميع شرائع الدين تقوم على جلب المصالح ودرء المفاسد، والدعوة إلى مكارم الأخلاق.

الرابعة: العقوبات الشرعية شُرِعت للحضِّ على الواجبات والزجر عن فعل المحرمات.

الخامسة: العقوبات الشرعية كلها أدوية لأمراض القلوب والأخلاق السيئة.

السادسة: معرفة صلة الأخلاق بالأوامر والنواهي.

السابعة: معرفة أجمع آية احتوت على أصول المأمورات والمنهيات.

١٢

باب منزلة العلم في معرفة الأخلاق

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾ [سورة يوسف، الآية: ١٠٨].

عَنْ عَائِشَة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: صنع النبي ﷺ شيئًا فَرَخَّصَ فيه؛ فتنزه عنه قوم؛ فبلغ ذلك النبي ﷺ؛ فخطب، فحمد الله ثم قال: «**مَا بَالُ أَقْوَام يَتَنَزَّهُونَ عَنِ الشَّيْءِ أَصْنَعُهُ، فَوَاللهِ إِنِّي لَأَعْلَمُهُمْ بِاللهِ وَأَشَدُّهُمْ لَهُ خَشْيَةً**»(١).

وقال سفيان رَحِمَهُ اللهُ لأصحابه: «تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد. قال: «أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه»(٢).

وقال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللهُ: «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»(٣).

وقال البخاري رَحِمَهُ اللهُ: باب العلم قبل القول والعمل(٤).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «ومنشأ جميع الأخلاق السافلة وبناؤها على أربعة أركان: الجهل، والظلم، والشهوة، والغضب.

فالجهل يُريه الحسن في صورة القبيح، والقبيح في صورة الحسن، والكمال نقصًا والنقص كمالًا»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (٦١٠١)، ومسلم (٢٣٥٦).

(٢) «فيض القدير» (٤/ ٥٦).

(٣) أخرجه الخطيب في «الجامع» (١/ ٧٩) (برقم ٩).

(٤) صحيح البخاري (١/ ٢٤).

(٥) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٥).

وقال أيضًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكل خُلُق محمود مكتنف بخُلُقين ذميمين، وهو وسط بينهما وطرفاه خُلُقان ذميمان؛ كالجود الذي يكتنفه خُلُقا البخل والتبذير، والتواضع الذي يكتنفه خُلُقا الذل والمهانة، والكبر والعلو، فإن النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخُلُقين الذميمين ولابد»(١).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قد يظن بعض الناس أن معنى الرفق أن تأتي للناس على ما يشتهون ويريدون؛ وليس الأمر كذلك، بل الرفق أن تسير بالناس حسب أوامر الله ورسوله»(٢).

فيه فوائد

الأولى: أهمية العلم في معرفة الأخلاق.

الثانية: معرفة منهج السلف في تعلم الأخلاق والآداب.

الثالثة: الدعوة إلى الأخلاق لا بدّ فيها من العلم.

الرابعة: خطأ من تكلّم في علم الأخلاق أو دعا إليها بلا علم.

الخامسة: عواقب الجهل بعلم الأخلاق.

السادسة: الانحراف عن الأخلاق الإسلامية يُوقع في الغلو أو الجفاء.

❁ ❁ ❁

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٥).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٦٣٤).

١٣

باب الأخلاق الإسلامية تَعبّدية لا نفعية دنيوية محضة

قال تعالى: ﴿لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾ [النساء: ١١٤].

وقال تعالى: ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ﴿١٠﴾﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠].

عن أبي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه: عَنْ النَّبيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «**كَانَ تَاجِرٌ يُدَايِنُ النَّاسَ، فَإِذَا رَأَى مُعْسِرًا قَالَ لِفِتْيَانِهِ: تَجَاوَزُوا عَنْهُ، لَعَلَّ اللهَ أَنْ يَتَجَاوَزَ عَنَّا؛ فَتَجَاوَزَ اللهُ عَنْهُ**»(١).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «والسعادة في معاملة الخلق: أن تعاملهم لله؛ فترجو الله فيهم ولا ترجوهم في الله، وتخافه فيهم ولا تخافهم في الله، وتحسن إليهم رجاء ثواب الله لا لمكافأتهم، وتكف عن ظلمهم خوفًا من الله لا منهم»(٢).

وقال ابن سعدي رحمه الله في «تفسيره» عند قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾﴾: «فلهذا ينبغي للعبد أن يقصد وجه الله تعالى ويخلص العمل لله في كل وقت وفي كل جزء

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٠٧٨)، ومسلم (برقم ١٥٦٢).
(٢) «مجموع الفتاوى» (١/ ٥١).

من أجزاء الخير، ليحصل له بذلك الأجر العظيم، وليتعود الإخلاص فيكون من المخلصين، وليتم له الأجر، سواء تم مقصوده أم لا؛ لأن النية حصلت واقترن بها ما يمكن من العمل»[1].

فيه فوائد

الأولى: الأخلاق الإسلامية عبادة نتقرَّب إلى الله بها ـ تعلّمًا وعملًا ودعوة ـ.

الثانية: أهمية النيّة الحسنة في الأخلاق؛ فبدونها لا ثواب للعبد.

الثالثة: اجتماع عمل القلب والجوارح في الأخلاق الإسلامية.

الرابعة: الأخلاق النافعة هي التي كانت لله تعالى وابتغي بها وجهه.

الخامسة: الأخلاق الشرعية لها ثمرات دينية ودنيوية.

السادسة: معرفة خطأ من جرّد الأخلاق عن العبادة وجعلها مصالح دنيوية محضة.

السابعة: توظيف علم الأخلاق لرغبات النفوس والتوجهات الفكرية ينافي العبودية الخالصة.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٠٢).

١٤

باب الأخلاق مع الناس تكون وفق الشرع لا على سبيل المقابلة بالمثل

قال تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف، الآية: ١٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ١٩٠﴾ [البقرة: ١٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ٢٢﴾ [النور: ٢٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا قال: يا رسول الله إنّ لي قرابة، أَصِلُهم ويَقطعوني، وأُحسن إليهم ويُسيئون إليّ، وأَحلُم عنهم ويَجهلون عليّ، فقال: «لئن كنت كما قلت فكأنما تُسِفُّهُمْ المَلّ ولا يزال معك من الله ظهير عليهم ما دُمتَ على ذلك»(١).

وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فأخذت بيده فقلت: يا رسول الله، أخبرني بفواضل الأعمال. فقال: «**يَا عُقْبَةُ، صِلْ مَنْ قَطَعَكَ، وَأَعْطِ مَنْ حَرَمَكَ، وَأَعْرِضْ عَمَّنْ ظَلَمَكَ**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٥٥٨).

(٢) أخرجه أحمد (برقم ١٧٣٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (برقم ٧٢٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (برقم ٢٥٣٦).

بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»(١).

وعن حميد الطويل عن يوسف بن ماهَك المَكِيِّ، قال: كنت أكتب لفلان نفقة أيتام كان وليَّهُمْ؛ فغالطوه بألف درهم؛ فأداها إليهم؛ فأدركت لهم من مالهم مثليها. قال، قلت: أقبض الألف الذي ذهبوا به منك؟ قال: لا، حدثني أبي أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ ولا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(٢).

وعن عبد الله بن محمد الوراق رحمه الله: «كنت في مجلس أحمد بن حنبل رحمه الله، فقال: من أين أقبلتم؟ قلنا: من مجلس أبي كريب. فقال: اكتبوا عنه، فإنه شيخ صالح. فقلنا: إنه يطعن عليك. قال: فأي شيء حيلتي، شيخ صالح قد بُلِي بِي»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وجماع الخلُقِ الحَسَنِ مع الناس: أن تصل من قطعك: بالسلام، والإكرام، والدعاء له، والاستغفار، والثناء عليه، والزيارة له. وتعطي من حرمك: من التعليم، والمنفعة، والمال. وتعفو عمن ظلمك: في دم، أو مال، أو عرض. وبعض هذا واجب

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٤٠٨٤)، وأحمد (برقم ٢٠٦٣٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ١١٠٩).

(٢) أخرجه أبو داود (برقم ٣٥٣٤)، والترمذي (برقم ١٢٦٤)، وصححه الألباني في المشكاة (برقم ٢٩٣٤).

(٣) هكذا الأثر في «سير أعلام النبلاء» (١١/٣١٧)، وأبو كريب هو محمد بن العلاء الهمداني، وفي «طبقات الحنابلة» عن عبد الله بن محمد أبو محمد المعروف بفُورَان بلفظ: «جاء رجل إلى أحمد بن حنبل فقال له: نكتب عن محمد بن منصور الطوسي، فقال: إذا لم تكتب عن محمد بن منصور فعمن، يقول ذلك مرارًا، فقال له الرجل: إنه يتكلم فيك، فقال أحمد: رجل صالح ابتلي فينا، فما نعمل» (طبقات الحنابلة ترجمة ٢٦١، م٢/٤٢). ويحتمل أن يكون الجواب تكرر في أكثر من مناسبة.

وبعضه مستحب»[١].

فيه فوائد

الأولى: الأخلاق مع الناس تكون وفق الشرع لا على سبيل المقابلة بالمثل.

الثانية: معرفة خطأ من عامل الناس وفق تعاملهم السيئ أو تَعدّى في أخذ الحقوق.

الثالثة: أثر الأخلاق الإسلامية في ضبط النفوس واعتدالها دون إفراط أو تفريط.

الرابعة: جواز أخذ الحقّ وفق العدل.

الخامسة: حثّ الشريعة على معالي الأخلاق والتنزه عن سفْسافها.

۞ ۞ ۞

(١) «مجموع الفتاوى» (١٠/٦٥٨).

١٥

باب الخُلق المحمود وسط بين خُلُقين ذَمِيمَيْنْ

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾ [البقرة ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴿٦٧﴾﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «سُنَّتُكُم ـ والله الذي لا إلٰه إلا هو ـ بينهما: بين الغالي والجافي»[١].

وقال سفيان رَحِمَهُ ٱللَّهُ في قوله تعالى: ﴿لَمْ يُسْرِفُواْ﴾: «أي: لم يضعوه في غير موضعه، ولم يقتروا لم يقصروا به عن حقه»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وكلّ خلق محمود مكتنف بخُلُقين ذَمِيمَيْن، وهو وسط بينهما، وطرفاه خلقان ذميمان؛ كالجود الذي يكتنفه خُلُقا البخل والتبذير، والتواضع الذي يكتنفه خُلُقا الذلّ والمهانة والكبر والعلو؛ فإن النفس متى انحرفت عن التوسط انحرفت إلى أحد الخُلُقين الذَّمِيمَيْن ولا بدّ»[٣].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فجعل الله هذه الأمة وسطًا في كل أمور الدين»[٤].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ مبينًا حقيقة الوسطية: «الوسط في الدين: ألا يغلو الإنسان فيه فيتجاوز ما حد الله عَزَّ وَجَلَّ، ولا يقصر فيه فينقص عما حد الله عَزَّ وَجَلَّ. الوسط في الدين: أن يتمسك بسيرة النبي ﷺ،

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (برقم ٢٢٢).

(٢) لسان العرب (٩/ ١٤٨).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٥).

(٤) «تفسير السعدي» (ص٧٠).

والغلو في الدين: أن يتجاوزها والتقصير ألا يبلغها»[١].

فيه فوائد

الأولى: الخُلق المحمود في الإسلام وسط بين خُلقين ذميمين.

الثانية: معرفة مفهوم الوسطية في الإسلام.

الثالثة: المتّبِع لمنهج الأخلاق الإسلامية سالم من الإفراط والتفريط.

الرابعة: معرفة أحوال المخالفين لأخلاق الإسلام.

الخامسة: معرفة محاسن الأخلاق الإسلامية وسُموها على سائر أخلاق الأمم.

---

(١) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (١/ ٤٢).

١٦

باب طرق تحصيل الأخلاق الحسنة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: قال: قال رسول الله ﷺ: «**مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رجلًا قال للنبي ﷺ: أوصني، قال: «**لَا تَغْضَبْ**»، فردد مرارًا، قال: «**لَا تَغْضَبْ**»(٤).

ومن دعاء النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ؛ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا؛ لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ**»(٥).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يُزَحْزَحَ عَنِ النَّارِ، وَيُدْخَلَ الْجَنَّةَ، فَلْتَأْتِهِ مَنِيَّتُهُ وَهُوَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، وَلْيَأْتِ إِلَى النَّاسِ الَّذِي يُحِبُّ أَنْ يُؤْتَى إِلَيْهِ**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ١٣)، ومسلم (برقم ٤٥).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٦٠١٨)، ومسلم (برقم ٤٧).

(٣) أخرجه الترمذي (برقم ٢٣١٧)، وابن ماجه (برقم ٣٩٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٥٩١١).

(٤) أخرجه البخاري (برقم ٦١١٦).

(٥) أخرجه مسلم (برقم ٧٧١).

(٦) أخرجه مسلم (برقم ١٨٤٤).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنَّ النَّبي بعثه إلى قوم، فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «**أَفْشِ السَّلَامَ وَابْذُلِ الطَّعَامَ... وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، وَلْتُحَسِّنْ خُلُقَكَ مَا اسْتَطَعْتَ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الرَّجُلُ عَلَى دِينِ خَلِيلِهِ؛ فَلْيَنْظُرْ أَحَدُكُمْ مَنْ يُخَالِلْ**»(٢).

وقال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: «الحكايات عن العلماء ومجالستهم أحبّ إليّ من كثير من الفقه؛ لأنها آداب القوم وأخلاقهم»(٣).

وقال الفضيل رحمه الله: «لا تخالط إلا حَسَنَ الخُلُق فإنه لا يأتي إلا بخير، ولا تخالط سَيِّء الخُلُق فإنَّه لا يأتي إلا بشرٍّ»(٤).

وقال ابن سعدي رحمه الله: «**فإن قلتَ**: إذا كان حُسْن الخلق له هذه الفضائل والآثار الحسنة، فهل للاتصاف به أسباب يتمكن بها العبد من فعلها، أم هي مجرد موهبة؟

قلتُ: ما من صنعة حميدة ظاهرة أو باطنة إلا وقد يَّسر الله للعبد حصولها، ونهج الطريق الموصلة إليها، وأعان عليها بكل وسيلة؛ وكلما كمُلتْ الصفات، كثرت الطرق المُفضية إليها، مع أن الغرائز والطبائع الأصلية أعظم عون عليها، وصاحبها إذا سعى أدنى سعي أدرك مراده.

فاعلم، أنَّ من أعظم ما يعين على هذا الخلق الجميل: التفكر في الآثار السابقة المترتبة عليه(٥)؛ فإن معرفة ثمرات الأشياء وحسن عواقبها

---

(١) أخرجه البزار (برقم ٢٦٤٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (برقم ٨٢٥)، وحسنه الألباني في الصحيحة بشواهده (برقم ٣٥٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (برقم ٤٨٣٣)، والترمذي (برقم ٢٣٧٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣٥٤٥).

(٣) أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (برقم ٨١٩).

(٤) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (برقم ٧٦٨٤).

(٥) سبق ذكر كلامه في الآثار المترتبة على حسن الخلق في باب فضل حسن الخلق.

من أكبر الدواعي إلى فعلها والسعي إليها. وإن عظُم الأمر، واعترضت الصعوبات، فإن المواراة إذا أفضت إلى ضدها، هانت وحُلت. وكلما تصعبت النفس عليه ذكّرها تلك الآثار وما تجتني بالصبر من الثمار؛ فإنها تلين وتنقاد طائعة منشرحة الصدر، محتسبة راجيةً حصول تلك المطالب.

ومن أعظم الأسباب: علو الهمة، ورغبة العبد في مكارم الأخلاق، وأنها أولى ما اكتسبته النفوس، وأجلُّ غنيمة غنمها الموفقون؛ فبحسب قوة رغبته في ذلك يسهل عليه نيل هذا الخلق الجميل.

ومن الأسباب: أن يتأمل هل يجلب له سوء الخلق إلا الأسف الدائم والهم الملازم، والآثار القبيحة، فيربأ بنفسه عن هذا الخلق الذميم؟!.

ومن الأسباب: رياضة النفس وتمرينها على هذا الخلق، وتوطينها على كل سبب يُدرك به هذا الخلق الفاضل؛ فيُوطِّنها على معارضات الأقوال، وأنه لا بد من مخالفته في العلوم والإرادات. ولا بد أيضًا من أذية قوليه وفعليه؛ فليتوطن على تحمل الأذى، وليعلم أن الأذى القولي لا يضر إلا من قاله، وإن من الحزم والقوة أن يكون الإنسان بحيث لا يتأثر بكلام يُقصد به إخفاضه وإغضابه؛ بل يعلم أنه إذا غضب أو تأثر، فقد أعان المتكلم على نفسه، وإن لم يبالِ به، ولم يُلقه باله، ولم يهتم به ويكترث به، فقد قابل القائل بما يكره؛ لأن جُلَّ مقصد عدوه: إيلام قلبه، وإدخال الهمّ والغمّ على قلبه؛ فكما يسعى بدفع ما يريد إيلام ظاهره، فليسع بدفع ما يريد إيلام باطنه بترك الاهتمام به.

وما أنفع في هذا المقام وغيره أن يجعل الإنسان نُصب عينه وجُلَّ مقصده الإبقاء على قلبه من المشوشات والواردات المؤلمة، وأن يحفظ راحة قلبه بكل ما يفضي إلى الراحة من تحصيل الأسباب المريحة للقلب، ودفع كل معارض لها؛ فإن راحة القلب أصل طيب العيش في

هذه الدار؛ فلو كان الإنسان بكل نعيم، وتوفرت لديه أسباب الراحة، وقلبه في قلق وحرج، لا يخرج من هم إلا وقع في آخر، ولا يفرح بموجود ومحبوب إلا وجد حشو قلبه ما يُكدره، فإنه حتى الآن لم يصل إلى المقصود الذي يسعى له أهل العقول الراقية؛ فإنهم يسعون أولًا لراحة قلوبهم وطمأنينتها بالإنابة إلى الله في مهماتهم وملماتهم وأحوالهم كلها، ويتممون ذلك بالحلم وحسن الخلق، وحفظ قلوبهم من كل مشوش يُكدر عليهم حياتهم الطيبة، ونعيمهم العاجل والآجل.

فتأمل في بعض قصص الأخيار وما هم عليه من الحياة الطيبة، سواءً كانوا في فقر أو غنى، أو شدة أو رخاء، وحيث تنقلت بهم الأحوال، فإنك تجد الواحد منهم أبسط الناس خلقًا وأروحهم نفسًا وأقرهم عينًا؛ بل تجد من هو في يسارة منهم وفقر راضيًا قانعًا غير متسخط على الله وعلى الخلق، وذلك فضل الله يُؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم»[(١)].

فيه فوائد

الأولى: الأخلاق الإسلامية يمكن اكتسابها والتحلي بها؛ لأنها مُيسّرةٌ للفهم والعمل.

الثانية: الأخلاق السيئة يمكن تغييرها إلى أخلاق حسنة.

الثالثة: معرفة جماع الأحاديث التي عليها مدار الأخلاق الحسنة.

الرابعة: معرفة أهم الأسباب المعينة على التحلي بالأخلاق الحسنة.

الخامسة: الأخلاق الإسلامية تُورث طمأنينة النفس وراحتها.

---

(١) «الفتاوى السعدية» (ص٦٣٨ ـ ٦٤٠).

١٧

باب من هدي السلف: تعلم الأدب قبل الطلب

قال محمد بن سيرين رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانوا يتعلمون الهدي كما يتعلمون العلم»(١).

وقال سفيان الثوري رَحِمَهُ اللَّهُ: «كانوا لا يخرجون أبناءهم لطلب العلم حتى يتأدّبوا ويتعبّدوا عشرين سنة»(٢).

وقال الإمام مالك رَحِمَهُ اللَّهُ لفتى من قريش: «يا ابن أخي، تعلم الأدب قبل أن تتعلم العلم»(٣).

وذكر الذهبي رَحِمَهُ اللَّهُ في «السير»: أنه كان يجتمع في مجلس الإمام أحمد خمسة آلاف أو يزيدون: نحو خمسمائة يكتبون، والباقون يتعلمون منه حسن الأدب والسمت(٤).

وقال أبو بكر بن المطوعي رَحِمَهُ اللَّهُ: «اختلفت إلى أبي عبد الله ثنتي عشرة سنة وهو يقرأ «المسند» على أولاده، فما كتبت عنه حديثًا واحدًا، إنما كنت أنظر إلى هديه وأخلاقه»(٥).

وقال الخطيب البغدادي رَحِمَهُ اللَّهُ: «والواجب أن يكون طلبة الحديث أكمل الناس أدبًا، وأشد الخلق تواضعًا، وأعظمهم نزاهة وتدينًا، وأقلهم طيشًا وغضبًا، لدوام قرع أسماعهم بالأخبار المشتملة على محاسن أخلاق رسول الله ﷺ وآدابه، وسيرة السلف الأخيار من أهل بيته وأصحابه، وطرائق المحدثين، ومآثر الماضين، فيأخذوا بأجملها

(١) تقدم تخريجه (ص٤٢).
(٢) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٦١).
(٣) «حلية الأولياء» (٦/ ٣٣٠).
(٤) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٣١٦).
(٥) المرجع السابق نفسه.

وأحسنها، ويصدفوا عن أرذلها وأدونها»[١].

فيه فوائد

الأولى: من هدي السلف تَعلّم الأدب قبل الطلب.

الثانية: اهتمام السلف بعلم الأدب والأخلاق.

الثالثة: وصايا السلف لطلابهم بتعلم الأدب والأخلاق.

الرابعة: أهمية الاقتداء بمنهج السلف في التربية والأخلاق.

(١) «الجامع لأخلاق الراوي» للخطيب البغدادي (١/ ٧٨).

١٨

باب من هدي الأنبياء والمصلحين: تعليم الأبناء والطلاب الأخلاق الحسنة

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

عن عمر بن أبي سلمة قال: كنت غلامًا في حجر رسول الله ﷺ، وكانت يدي تطيش في الصَّحْفَةِ؛ فقال لي رسول الله ﷺ: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**». فما زالت تلك طِعْمَتِي بعد[(١)].

وقَالَ النبي ﷺ لابن عباس رضي الله عنهما: «**يَا غُلَامُ، إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ: احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِاللهِ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَو اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ لَكَ، وَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ**

(١) أخرجه البخاري (برقم ٥٣٧٦)، ومسلم (برقم ٢٠٢٢).

لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللهُ عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الْأَقْلَامُ وَجَفَّتِ الصُّحُفُ»[١].

وقال الحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ لابنه: «يا بُني، إذا جالست العلماء، فكن على أن تسمع أحرص منك على أن تقول، وتعلم حسن الاستماع كما تتعلم حسن الكلام، ولا تقطع على أحدٍ حديثًا، وإن طال حتى يُمسك»[٢].

فيه فوائد

الأولى: اهتمام الأنبياء والمصلحين بتربية الأبناء وعموم الناس على الأخلاق الحسنة.

الثانية: معرفة أولويات التربية والأخلاق، والدعوة والإصلاح.

الثالثة: أهمية مراعاة أولويات التربية والأخلاق والدعوة والإصلاح في العلم والعمل والدعوة.

الرابعة: أهمية سلوك منهج الأنبياء في التربية والإصلاح.

الخامسة: معرفة خطأ المناهج التي لم تراع أولويات التربية والأخلاق في الدعوة.

۞ ۞ ۞

(١) أخرجه الترمذي (برقم ٢٥١٦)، وأحمد (برقم ٢٧٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٧٩٥٧).
(٢) «مكارم الأخلاق» للخرائطي (ص٢٣٩).

١٩

باب ثواب من اقتدى الناس بأقواله وأفعاله وكان قدوة حسنة

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [آل عمران: ٧٩].

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [فصلت: ٣٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يُنْقِصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا**»(١).

وقال مجاهد رحمه الله، في قوله تعالى: ﴿وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾: أئمة نقتدي بمن قبلنا، ونكون أئمة لمن بعدنا(٢).

ودخل رجل على عمر بن عبد العزيز رحمه الله؛ فذكر له عن رجل شيئًا؛ فقال له عمر: «إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذبًا، فأنت من أهل هذه الآية: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟﴾ [الحجرات: ٦]، وإن كنت صادقًا، فأنت من أهل هذه الآية: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ ﴿١١﴾﴾ [القلم: ١١]، وإن شئت عفونا عنك. فقال: العفو، يا أمير المؤمنين، لا أعود

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).
(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٣٣).

إليه أبدًا»[١].

وعن الفضل بن أبي عيَّاش رَحِمَهُ ٱللَّهُ، قال: «كنت جالسًا مع وهب بن منبِّه، فأتاه رجل، فقال: إنِّي مررت بفلان وهو يشتُمك. فغضب، فقال: ما وجد الشَّيطان رسولًا غيرك؟ فما بَرِحْت من عنده حتَّى جاءه ذلك الرَّجل الشَّاتم، فسلَّم على وهب، فردَّ عليه، ومدَّ يده، وصافحه، وأجلسه إلى جنبه»[٢].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ ذاكرًا بعض مناقب شيخه ابن تيمية وأخلاقه وسلامة صدره ـ: «وما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم؛ وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له؛ فنهرني وتنكّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزَّاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه. ونحو هذا من الكلام؛ فسُرُّوا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه»[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علماء السوء جلسوا على باب الجنة يدعون إليها الناس بأقوالهم ويدعونهم إلى النار بأفعالهم، فكلما قالت أقوالهم للناس: هلموا؛ قالت أفعالهم: لا تسمعوا منهم. فلو كان ما دعوا إليه حقًّا كانوا أول المستجيبين له، فهم في الصورة أدلاء وفي الحقيقة قطّاع طرق»[٤].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا ينال الإمامة في الدين، من ظلم نفسه

---

(١) «الكبائر» للذهبي (١٦٥).
(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ٧١).
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٨ ـ ٣٢٩).
(٤) «الفوائد» (ص٦١).

وضرَّها، وحط قدرها، لمنافاة الظلم لهذا المقام، فإنه مقامٌ آلَتُه الصبر واليقين، ونتيجته أن يكون صاحبه على جانب عظيم من الإيمان والأعمال الصالحة، والأخلاق الجميلة، والشمائل السديدة، والمحبة التامة، والخشية والإنابة»[(١)].

فيه فوائد

الأولى: أهمية القدوة الحسنة في الحياة.

الثانية: الأمر الرباني بتربية الناس على العلم والعمل.

الثالثة: الفضل الكبير للداعية الرباني.

الرابعة: الإمامة في الدين لا ينالها إلا المتّبع لمنهج السلف في العقيدة والعمل.

الخامسة: أهمية سلوك منهج السلف في التربية والأخلاق.

السادسة: معرفة نماذج من هدي السلف في تربية الناس على الأخلاق الحسنة.

السابعة: أهمية مطابقة أقوال الدعاة لأفعالهم.

الثامنة: معرفة بعض صفات علماء السوء.

التاسعة: التحذير من التّشبّه بعلماء السوء.

❁ ❁ ❁

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٦٥).

٢٠

باب خصائص الأخلاق الإسلامية

قال تعالى: ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ وَلَا تَتَّبِعُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَۗ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ٣﴾ [الأعراف: ٣].

وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَۚ وَلَوۡ كَانَ مِنۡ عِندِ غَيۡرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُواْ فِيهِ ٱخۡتِلَٰفٗا كَثِيرٗا ٨٢﴾ [النساء: ٨٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٠﴾ [الروم: ٣٠].

وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٠ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ٤١ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٤٢ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ٤٣﴾ [الشورى: ٤٠ ـ ٤٣].

وقال تعالى: ﴿أَلَمۡ يَعۡلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ١٤﴾ [العلق: ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَيُطۡعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسۡكِينٗا وَيَتِيمٗا وَأَسِيرًا ٨ إِنَّمَا نُطۡعِمُكُمۡ لِوَجۡهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمۡ جَزَآءٗ وَلَا شُكُورًا ٩ إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوۡمًا عَبُوسٗا قَمۡطَرِيرٗا ١٠﴾ [الإنسان: ٨ ـ ١٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ لُقۡمَٰنُ لِٱبۡنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ١٣ وَوَصَّيۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيۡهِ حَمَلَتۡهُ أُمُّهُۥ وَهۡنًا عَلَىٰ وَهۡنٖ وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ ١٤ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٥ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي

ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَىَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

وقال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وقال النبي ﷺ للأشجّ رضي الله عنه: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ**»، قال الأشجّ: يا رسول الله، أنا تخلّقت بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «**بَلِ اللهُ جَبَلَكَ عَلَيْهِمَا**»، قال: «الحمد لله الذي جبلني على خُلُقَيْن يحبهما الله ورسوله»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ، فَوَجَدَ بِئْرًا، فَنَزَلَ فِيهَا، فَشَرِبَ، ثُمَّ خَرَجَ، فَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ، يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبَ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلُ الَّذِي بَلَغَنِي؛ فَنَزَلَ الْبِئْرَ، فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَ الْخُفَّ بِفِيهِ حَتَّى رَقِيَ، فَسَقَى الْكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**». فقالوا: يا رسول الله، وإنَّ لنا في البهائم لأجرًا؟! فقال: «**فِي كُلِّ ذَاتِ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(٢).

وعن أبي هريرة رحمه الله: عن رسول الله ﷺ قال: «**دَخَلَتِ امْرَأَةٌ النَّارَ فِي هِرَّةٍ رَبَطَتْهَا؛ فَلَا هِيَ أَطْعَمَتْهَا، وَلَا هِيَ أَرْسَلَتْهَا تَأْكُلُ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ؛ حَتَّى مَاتَتْ**»(٣).

---

(١) قوله ﷺ: «**إن فيك خصلتين...**»: أخرجه مسلم (برقم ١٨)، وبتمامه أخرجه أبو داود (برقم ٥٢٢٥).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٢٣٦٣)، ومسلم (برقم ٢٢٤٤).

(٣) أخرجه البخاري (برقم ٣٣١٨)، ومسلم (برقم ٢٦١٩).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ، وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ، وَالظِّلِّ**»(١).

وعن عبد الرحمٰن بن يزيد رحمه الله قال: قيل لسلمان رضي الله عنه: قد عَلَّمكُم نبيكم ﷺ كل شيء، حتى الخِراءة؟! فقال سلمان: أجل: «**نَهَانَا أَنْ نَسْتَقْبِلَ الْقِبْلَةَ بِغَائِطٍ أَوْ بَوْلٍ، وَأَنْ نَسْتَنْجِيَ بِالْيَمِينِ، أَوْ أَنْ يَسْتَنْجِيَ أَحَدُنَا بِأَقَلَّ مِنْ ثَلَاثَةِ أَحْجَارٍ، أَوْ أَنْ نَسْتَنْجِيَ بِرَجِيعٍ أَوْ بِعَظْمٍ**»(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «قال عثمان رضي الله عنه: «إن الله يزعُ بالسلطان ما لا يزعُ بالقرآن»، فإن من يكون من المنافقين والفجار فإنه ينزجر بما يشاهده من العقوبات، وينضبط عن انتهاك المحرمات»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن الإنسان من نفسه يجد من لذة العدل والصدق والعلم والإحسان والسرور بذلك ما لا يجده من الظلم والكذب والجهل، والناس الذين وصل إليهم ذلك ـ والذين لم يصل إليهم ذلك ـ يجدون في أنفسهم من اللذة والفرح والسرور بعدل العادل وبصدق الصادق وعلم العالم وإحسان المحسن ما لا يجدونه في الظلم والكذب والجهل والإساءة؛ ولهذا يجدون في أنفسهم محبة لمن فعل ذلك وثناء عليه ودعاء له، وهم مفطورون على محبة ذلك واللذة به، لا يمكنهم دفع ذلك من أنفسهم، كما فطروا على وجود اللذة بالأكل والشرب والألم بالجوع والعطش»(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله ـ في تعليقه على قوله تعالى ﴿قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ﴾ ـ: «أي لا يأمر بما هو فاحشة في العقول والفطر»(٥).

---

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٢٦)، وابن ماجه (برقم ٣٢٨)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (برقم ٦٢).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٦٢).
(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/٤١٦).
(٤) الرد على المنطقيين (ص٤٢٣).
(٥) «مدارج السالكين» (١/٢٤٩).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «غاية العقل أن يدرك بالإجمال حسن ما أتى الشرع بتفضيله أو قبحه؛ فيدركه العقل جملة ويأتي الشرع بتفصيله. وهذا كما أن العقل يدرك حسن العدل. وأما كون هذا الفعل المعين عدلًا أو ظلمًا؛ فهذا مما يعجز العقل عن إدراكه في كل فعل وعقد»(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالأخلاق الذميمة يُولّد بعضها بعضًا، كما أن الأخلاق الحميدة يُولّد بعضها بعضا»(٢).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أهل السُّنَّة والجماعة يعتقدون ويعلمون أن لا طريق إلى الله وإلى كرامته إلا بالعلم النافع، والعمل الصالح»(٣).

فيه فوائد

الأولى: الأخلاق الإسلامية مستمدة من الكتاب والسُّنَّة لا من غيرهما.

الثانية: الأخلاق الإسلامية كاملة لا تحتاج إلى زيادة أو نقصان.

الثالثة: الأخلاق الإسلامية موافقة للفطرة السليمة، والعقل الصحيح غير مصادمة لهما.

الرابعة: الأخلاق الإسلامية ثابتة لا تناقض فيها ولا اضطراب ولا اختلاف.

الخامسة: الأخلاق الإسلامية جمعت بين القيام بحقوق الله تعالى، وحقوق النفس، وحقوق الخلق على اختلاف مراتبهم.

السادسة: الأخلاق الإسلامية مُيسّرة للفهم والتطبيق.

السابعة: الأخلاق الإسلامية صالحة لكل إنسان ومجتمع في كلّ زمان ومكان.

---

(١) مفتاح دار السعادة (٢/ ١١٧).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٥).
(٣) «الفتاوى السعدية» (ص١٥).

الثامنة: الأخلاق الإسلامية لا تتعارض مع مصالح العباد الدنيوية بل تؤدي إلى تحقيقها على أكمل وجه.

التاسعة: الأخلاق الإسلامية تَعبّدية مشتملة على الثواب والعقاب من الله تعالى لا من القوانين البشرية وإِرهاب الأفكار وغيرهما.

العاشرة: الأخلاق الإسلامية مبنية على مراقبة الله، والتعبّد بأسماء الله وصفاته، فهي من ثمرات التوحيد والاعتقاد الصحيح.

الحادية عشرة: الأخلاق الإسلامية جمعت بين عبودية القلب والجوارح؛ فالأخلاق الظاهرة متفرعة عن الأخلاق الباطنة وعنوان لها.

الثانية عشرة: الأخلاق الإسلامية تدعو إلى طهارة القلوب والجوارح من كل سوء.

الثالثة عشرة: الأخلاق الإسلامية تأمر بالعدل وتندب للفضل وتُحرّم الظلم.

الرابعة عشرة: الأخلاق الإسلامية تثمر أنواعًا من الأخلاق الحسنة.

الخامسة عشرة: الأخلاق الإسلامية تُكتَسب بأسباب متنوعة، ومنها ما هو جبلي يُولد مع الإنسان.

السادسة عشرة: الأخلاق الإسلامية سبقت كل القوانين الوضعية إلى العناية بحقوق الحيوان ونظافة البيئة ونحوهما.

السابعة عشرة: الأخلاق الإسلامية مبنية على الاتباع والعلم بالمشروع والممنوع لا على الجهل والهوى.

الثامنة عشرة: معرفة قُبح المناهج الأخلاقية والتربوية المخالفة لمنهج الإسلام في العقيدة والعمل.

الفصل الثاني

في شمولية الأخلاق الحسنة
في الشريعة وتفاوت أحكامها

١

باب الخُلُق مع الله تعالى

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾ [النساء: ١٣٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «**ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ، أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا للهِ، وَأَنْ يَكْرَهَ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُقْذَفَ فِي النَّارِ**»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «**الأدب مع الله ثلاثة أنواع:**

أحدها: صيانة معاملته أن يشوبها بنقيصة.

والثاني: صيانة قلبه أن يلتفت إلى غيره.

والثالث: صيانة إرادته أن تتعلق بما يمقتك عليه»(٢).

وقال أيضًا رحمه الله: «**والمقصود:** أن الأدب مع الله تبارك وتعالى: هو القيام بدينه، والتأدب بآدابه ـ ظاهرًا وباطنًا ـ.

ولا يستقيم لأحد قط الأدب مع الله إلا بثلاثة أشياء: معرفته بأسمائه وصفاته، ومعرفته بدينه وشرعه، وما يحب وما يكره، ونفس مستعدة قابلة

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ١٦)، ومسلم (برقم ٤٣).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٥٦).

لينة متهيئة لقبول الحق علمًا وعملًا وحالًا والله المستعان»[١].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «أما أعظم الحقوق على المكلَّفين، وأوجبها، فهو حق الله.

وعَقْدُ ذلك: أن نعلم ونعترف بما لله من الكمال والوحدانية، وما له من الحقوق على عباده ـ من الإخلاص، والعبودية ـ، فعلينا أن نؤمن أن الله تعالى هو الرب، الخالق، الرازق، المدبِّر، المتوحِّد بصفات الكمال، وغاية الجلال والجمال؛ الذي لا يُحصي أحدٌ ثناءً عليه؛ بل هو كما أثنى على نفسه؛ وأن نصفه بما وصف به نفسه في كتابه، وبما وصفه به رسوله ﷺ، وننزِّهه عما نزَّه عنه نفسه ونزَّهه عنه رسوله.

ونعلم أن الله ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، وأن ما قاله حق وصدق لا ريب فيه، ثم نقوم بعبادته التي شرعها على لسان رسوله ﷺ مخلصين له الدين.

فهذا مجمل حقه على العباد.

وقد اعتنى علماء السلف بتفاصيل هذه الجملة العظيمة فَلْيُطلب هناك»[٢].

فيه فوائد

الأولى: منزلة الخُلُق مع الله تعالى.

الثانية: الخُلُق مع الله تعالى يكون بتلقي أخباره بالتصديق، وأحكامه بالتنفيذ، وأقداره بالرضا والتسليم.

---

(١) المرجع السابق (٢/ ٣٦٥).

(٢) نور البصائر والألباب في «أحكام العبادات والمعاملات والحقوق والآداب» (ص٦١ ـ ٦٢).

الثالثة: من الأخلاق مع الله التسليم لكتابه وسُنَّة نبيه ﷺ وتعظيمهما وقبول كل ما فيهما.

الرابعة: التوحيد بأنواعه الثلاثة من الأخلاق وهو أصلها وأساسها.

الخامسة: معرفة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الإيمان بالله.

السادسة: أهمية دراسة كتب التوحيد والاعتقاد الصحيح.

السابعة: سوء الخلق مع الله يكون برد أخباره، والخروج عن طاعته، وعدم الرضا والتسليم لشرعه وأقداره.

الثامنة: معرفة سوء أخلاق الكفار والمشركين مع الله تعالى.

التاسعة: معرفة سوء أخلاق أهل البدع مع الله تعالى.

العاشرة: تنزيه الله عن مماثلة المخلوقين في ذاته وأسمائه وصفاته.

٢

باب الخُلُق مع القرآن

قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾ [التوبة: ٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: ٩].

وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [ص: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة: ٤٨].

عن عبد الرحمٰن بن شبل رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَلَا تَغْلُوا فِيهِ، وَلَا تَجْفُوا عَنْهُ، وَلَا تَأْكُلُوا بِهِ، وَلَا تَسْتَكْثِرُوا بِهِ**»(١).

قال أبو بكر الإسماعيلي رحمه الله ـ في ذكر معتقد أهل السُّنَّة والجماعة ـ: «ويَرون تعلّم العلم وطلبه من مظانه، والجدّ في تعلم القرآن وعلومه وتفسيره، وسماع سنن الرسول ﷺ وجمعها والتفقه فيها، وطلب آثار أصحابه، والكف عن الوقيعة فيهم»(٢).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإن أرفع درجات القلوب فرحها التام بما جاء به الرسول؟ وابتهاجها وسرورها كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾، وقال تعالى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٥٢٩)، والطبراني في «الأوسط» (٢٥٧٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ١١٦٨).

(٢) اعتقاد أئمة الحديث (ص٧٨).

﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا﴾ الآية. ففضل الله ورحمته: القرآن والإيمان، من فرح به فقد فرح بأعظم مفروح به، ومن فرح بغيره فقد ظلم نفسه ووضع الفرح في غير موضعه»(١).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**هجر القرآن أنواع**:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء إليه.

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه، وإن قرأه وآمن به.

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم إليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين، وأن أدلته لفظية لا تحصّل العلم.

والرابع: هجر تدبّره وتفهّمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه.

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي في جميع أمراض القلوب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره، ويهجر التداوي به.

وكل هذا داخل في قوله: ﴿وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ قَوْمِي اتَّخَذُوا هَٰذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾﴾ [الفرقان: ٣٠]. وإن كان بعض الهجر أهون من بعض»(٢).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله تعالى: ﴿وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ «أي: مشتملًا على ما اشتملت عليه الكتب السابقة وزيادة في المطالب الإلٰهية، والأخلاق النفسية؛ فهو الكتاب الذي يَتّبِع كل حق جاءت به الكتب؛ فأمر به، وحث عليه، وأكثر من الطرق الموصلة إليه؛ وهو الكتاب الذي فيه نبأ السابقين واللاحقين، وهو الكتاب الذي فيه الحُكْم والحِكْمة، والأحكام الذي عرضت عليه الكتب السابقة، فما شهد له بالصدق فهو مقبول، وما شهد له بالرد فهو مردود قد دخله التحريف والتبديل، وإلا

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٤٩).
(٢) «الفوائد» (ص٨٢).

لو كان من عند الله لم يخالفه»[١].

فيه فوائد

الأولى: أن القرآن كلام الله تعالى منه بدأ وإليه يعود.

الثانية: القرآن محفوظ من التحريف اللفظي والمعنوي.

الثالثة: الخُلُق مع القرآن يكون بتصديق أخباره، والعمل بأحكامه، وتحكيمه في جميع شؤون الحياة ومواطن النزاع.

الرابعة: أهمية تِلاوة القرآن وتَدبّره وتَفهّمه.

الخامسة: الفرح بالقرآن.

السادسة: معرفة أنواع هجر القرآن.

السابعة: الحذر من الغلو في القرآن أو الجفاء عنه.

الثامنة: تفسير قوله تعالى: ﴿وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِۖ﴾.

التاسعة: معرفة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في القرآن والكتب الإلٰهية عمومًا.

العاشرة: سوء الخلق مع القرآن يكون: بردِّ أخباره، وعدم العمل بأحكامه، وهجر تحكيمه في مواضع النزاع.

الحادي عشر: معرفة سوء أخلاق أهل البدع مع القرآن.

الثاني عشر: معرفة سوء أخلاق الكفار مع الكتب الإلٰهية.

۞ ۞ ۞

(١) «تفسير السعدي» (ص٢٣٤).

٣

باب الخُلُق مع الملائكة

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُۥ بِٱلْقَوْلِ وَهُم بِأَمْرِهِۦ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الأنبياء: ٢٦ ـ ٢٧].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَىْءٍ رَّحْمَةً وَعِلْمًا فَٱغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا۟ وَٱتَّبَعُوا۟ سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٧﴾﴾ [غافر: ٧].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [فصلت: ٣٠].

عن جابر رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ أَكَلَ الثُّومَ وَالْبَصَلَ وَالْكُرَّاثَ فَلَا يَقْرَبَنَّ مَسْجِدَنَا، فَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تَتَأَذَّى مِمَّا يَتَأَذَّى مِنْهُ بَنُو آدَمَ**»(١).

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا فِي السَّمَاوَاتِ السَّبْعِ مَوْضِعُ قَدَمٍ وَلَا شِبْرٍ وَلَا كَفٌّ إِلَّا وَفِيهِ مَلَكٌ قَائِمٌ أَوْ مَلَكٌ رَاكِعٌ أَوْ مَلَكٌ**

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٨٥٤)، ومسلم (برقم ٥٦٤).

سَاجِدٌ، فَإِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ قَالُوا جَمِيعًا سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، إِلَّا أَنَّا لَمْ نُشْرِكْ بِكَ شَيْئًا»(١).

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ: «**الملائكة**: عالم غيبي مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء؛ خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التام لأمره، والقوة على تنفيذه.

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أمور:

الأول: الإيمان بوجودهم.

الثاني: الإيمان بمن علِمنا اسمه منهم باسمه «كجبريل»، ومن لم نعلم اسمه نؤمن بهم إجمالًا.

الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم.

الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى»(٢).

فيه فوائد

الأولى: الخُلُق مع الملائكة يكون بالاعتقاد الصحيح بهم، وعدم أذيتهم.

الثانية: الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم.

الثالثة: معرفة عبادة الملائكة لربها عَزَّ وَجَلَّ.

الرابعة: معرفة عظمة حق الله على العباد.

الخامسة: صلة الملائكة ببني آدم والمؤمنين خصوصًا.

السادسة: معرفة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الملائكة.

السابعة: معرفة سوء أخلاق الكفار مع الملائكة.

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (برقم ٣٥٦٨).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول» للعثيمين (ص٩٠ ـ ٩١).

٤

باب الخُلُق مع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ﴾ [النساء: ١٥٠ ـ ١٥١].

وقال تعالى: ﴿لَّقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ ۘ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا۟ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾﴾ [آل عمران: ١٨١].

وقال سبحانه لرسوله محمد ﷺ: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ ۚ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ۚ أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [الأنعام: ٥٠].

وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ ۚ﴾ [الحج: ٧٥].

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾ [آل عمران: ٧٩ ـ ٨٠].

وقال تعالى: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ﴾ [النحل: ٣٥ ـ ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَمَا نُرْسِلُ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾ [الكهف: ٥٦].

وقال تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

وقال الرسول ﷺ: «**الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ مِنْ عَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى، وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ**»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن ههنا تعلم اضطرار العباد فوق كل ضرورة إلى معرفة الرسول، وما جاء به، وتصديقه فيما أخبر به، وطاعته فيما أمر؛ فإنه لا سبيل إلى السعادة والفلاح لا في الدنيا ولا في الآخرة إلا على أيدي الرسل، ولا سبيل إلى معرفة الطيب والخبيث على التفصيل إلا من جهتهم، ولا ينال رضا الله البتة إلا على أيديهم»(٢).

وقال ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الأنبياء أولاد عَلّات، وفي رواية عبد الرحمٰن المذكورة ـ أي: في «صحيح البخاري» ـ: «**وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ**». والعَلَّات بفتح المهملة: الضرائر، وأولاد العَلَّات: الإخوة من الأب، وأمّهاتهم شتّى. ومعنى الحديث: أن أصل دينهم واحد، وهو التوحيد، وإن اختلفت فروع الشرائع»(٣).

فيه فوائد

الأولى: الخُلُق مع الأنبياء يكون بالاعتقاد الصحيح تجاههم دون غلو أو جفاء، وبالإيمان برسالتهم، وبتصديق ما صح من أخبارهم،

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٣٤٤٢)، ومسلم (برقم ٢٣٦٥).

(٢) «زاد المعاد» (١/ ٦٨).

(٣) «فتح الباري» (٦/ ٤٨٩).

وبالعمل بشريعة من أُرسل إلينا منهم، وبعدم الإساءة إليهم بقول أو فعل.

الثانية: الأنبياء دينهم واحد وشرائعهم متنوعة.

الثالثة: منهج الأنبياء في الدعوة والتربية والإصلاح واحد لم يتغير بتغير الزمان أو المكان أو الأشخاص.

الرابعة: حاجة العِبَاد إلى منهج الأنبياء والرسل في التربية والدعوة والإصلاح.

الخامسة: من عقيدة الإسلام الإيمان بجميع الرسل والأنبياء.

السادسة: نبينا محمد ﷺ آخر الأنبياء والرسل، وبه ختمت النبوة والرسالات.

السابعة: الأنبياء والرسل بشر؛ لا يملكون نفعًا ولا ضرًّا للعباد.

الثامنة: معرفة عظمة حق الله تعالى، وتفرده بالبقاء والملك والنفع والضر.

التاسعة: معرفة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الأنبياء والرسل.

العاشرة: معرفة سوء أخلاق الكفار والمشركين مع الأنبياء.

٥

باب الخُلُق مع الرسول ﷺ

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢﴾ [الحجرات: ٢].

وقال ﷺ: «**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَيُؤْمِنُوا بِي وَبِمَا جِئْتُ بِهِ**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»(٢).

وعن عمر رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**لَا تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللهِ وَرَسُولُهُ**»(٣).

قال ابن القيم رحمه الله: «**وأما الأدب مع الرسول**: فالقرآن مملوء به؛ **فرأس الأدب معه**: كمال التسليم له، والانقياد لأمره، وتلقي خبره بالقبول والتصديق؛ دون أن يَحْمِلهُ معارضةَ خيال باطل يسميه معقولًا، أو يَحْملَه شُبْهةً، أو شكًّا، أو يُقدّمَ عليه آراء الرجال وزُبالات أذهانهم؛ فيوحّده بالتحكيم والتسليم والانقياد والإذعان، كما وحّد المُرسِل سبحانه وتعالى بالعبادة والخضوع والذلّ والإنابة والتوكل، فهما توحيدان؛ لا نجاة للعبد من عذاب الله إلا بهما: توحيد المُرسِل، وتوحيد متابعة الرسول.

(١) أخرجه البخاري (برقم ٧٢٨٤)، ومسلم (برقم ٢١).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ١٥)، ومسلم (برقم ٤٤).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦٨٣٠)، ومسلم (برقم ١٦٩١).

فلا يحاكِم إلى غيره، ولا يرضى بحكم غيره، ولا يقف تنفيذ أمره وتصديق خبره على عرضه على قول شيخه وإمامه وذوي مذهبه وطائفته ومن يُعظّمه؛ فإن أذنوا له نَفّذه وقبل خبره، وإلا فإنْ طلب السلامة: أعرض عن أمره وخبره وفوّضه إليهم، وإلا حرَّفه عن مواضعه، وسمى تحريفه: تأويلًا وحَمْلًا فقال: نُؤوّله ونَحْمِله؛ فلَأن يلقى العبدُ ربَّه بكل ذنب على الإطلاق ـ ما خلا الشرك بالله ـ خيرٌ له من أن يلقاه بهذه الحال»(١).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ «**ثم بعد حق الله علينا: حق نبينا محمد** ﷺ؛ الذي هو أولى بنا من أنفسنا ووالدينا، وأرحم بنا وأشفق علينا من جميع الخلق؛ ولم يصل إلينا من الهدى والعلم والخير شيء إلا على يديه. هو الذي وجدنا ضالين فهدانا الله به، وأشقياء غاوين فاستنقذنا الله به، ووجدنا مُوَجِّهين وجوهنا إلى كل كفر وفسق وعصيان فوجَّهنا الله به إلى كل خير وطاعة وإيمان، لم يبق خير إلا دلَّنا عليه، ولا شرَّ إلا حذَّرنا عنه.

فله علينا: أن نعلم: أنه رسول الله حقًا، وأنه خاتم النبيين لا نبيَّ بعده، **وأنه أُرسل رسالة عامة** للمُرسَل إليهم، وعامة في المُرسَل به:

فأما المُرسَل إليهم: فإنه مُرسل إلى العرب وغيرهم من أصناف الأمم، على اختلاف أنواعهم، وأجناسهم، وإلى الجن.

وأما ما أُرسل به: فإنه أُرسل ليبيِّن للخلق أصول دينهم، وفروعه، وظاهره، وباطنه؛ لإصلاح العقائد، والأخلاق، والأعمال، ولصلاح الدين، وصلاح الدنيا.

ونعلم: أنه أعلم الخلق وأصدقهم وأنصحهم وأعظمهم بيانًا وأعرفهم بما يصلح للخلق على اختلاف طبقاتهم ومشاربهم.

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٦٥ ـ ٣٦٦).

فعلينا: أن نؤمن به كما نؤمن بالله، ونطيعه كما نطيع الله، ونقدم محبته على أنفسنا ووالدينا والناس أجمعين.

وعلينا: أن نَتّبعه في كل شيء، ولا نقدم على هديه وقوله قول أحد وهديه كائنًا من كان.

وعلينا: أن نوقره ونعظمه وننصره، وننصر دينه بأنفسنا وأموالنا وألسنتنا، وبكل ما نقدر عليه، وذلك كله من أعظم منن الله علينا.

ونؤمن: بأن الله جمع له من الفضائل والخصائص والكمالات ما لم يجمعه لأحد غيره من الأولين والآخرين؛ فهو أعلى الخلق مقامًا وأعظمهم جاهًا وأقربهم وسيلة، وأجلّهم وأكملهم في كل فضيلة.

وحقوقه ﷺ كثيرة قد أفردت فيها المؤلفات الكثيرة»[1].

فيه فوائد

الأولى: معرفة حقيقة الخُلق مع الرسول ﷺ.

الثانية: معرفة الاعتقاد الصحيح في حقوق النبي ﷺ دون غلو أو جفاء.

الثالثة: أهمية تعظيم هديه ﷺ وتقديمه على كل هدي.

الرابعة: التسليم والانقياد لسنته ﷺ في الشدة والرخاء وعدم ردها أو الاعتراض عليها.

الخامسة: تلازم الشهادتين وعدم قبول إحداهما دون الأخرى.

السادسة: معرفة مقصد بعثته ﷺ.

السابعة: النهي عن تقديم آراء الرجال وعقولهم على هديه؟.

الثامنة: عموم رسالته ﷺ للثقلين الجن والإنس.

التاسعة: معنى نصرة سُنَّة النبي ﷺ.

العاشرة: معرفة سوء أخلاق أهل البدع ومتعصبة المذاهب مع سنة النبي ﷺ.

---

(١) «نور البصائر والألباب» (ص٦٣ ـ ٦٤).

٦

باب الخُلُق مع الصحابة رضي الله عنهم

قال تعالى: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [التوبة: ١٠٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠].

وقال الرسول ﷺ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»(٢).

قال أبو زرعة رحمه الله: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول ﷺ عندنا حقّ والقرآن حقّ، وإنما أدّى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يُجَرّحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسُّنَّة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٨).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٣٦٧٣)، ومسلم (برقم ٢٥٤٠).

(٣) «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (ص٤٩).

وقال الحافظ أبو بكر الخطيب البغدادي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عدالة الصحابة ثابتة معلومة بتعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم واختياره لهم... وقال: على أنه لو لم يرد من الله ورسوله فيهم شيء مما ذكرناه لأوجبت الحال التي كانوا عليها من الهجرة والجهاد ونصرة الإسلام وبذل المهج والأموال، وقتل الآباء والأبناء والمناصحة في الدين وقوة الإيمان واليقين، القطع على تعديلهم والاعتقاد لنزاهتهم، وهم كافة أفضل من جميع الخالفين بعدهم، والمعدلين الذين يجيئون من بعدهم هذا مذهب كافة العلماء ومن يُعتدّ بقوله»[١].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ومن أصول أهل السُّنَّة والجماعة: سلامة قلوبهم وألسنتهم لأصحاب رسول الله ﷺ... ويقبلون ما جاء به الكتاب والسُّنَّة والإجماع من فضائلهم ومراتبهم، ويفضلون من أنفق من قبل الفتح ـ وهو صلح الحديبية ـ وقاتل على من أنفق من بعده وقاتل، ويقدمون المهاجرين على الأنصار، ويؤمنون بأن الله قال لأهل بدر ـ وكانوا ثلاث مئة وبضْعة عشر ـ: «**اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»، وبأنه لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة، كما أخبر به النبي ﷺ؛ بل قد ﴿رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ﴾، وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة.... ويؤمنون بأن الخليفة بعد رسول الله ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي ـ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أجمعين ـ؛ ومن طعن في خلافة أحد من هؤلاء الأئمة فهو أضل من حمار أهله.... ويحبون أهل بيت رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين، ويؤمنون بأنهن أزواجه في الآخرة...»[٢].

---

(١) «الكفاية في علم الرواية» للخطيب البغدادي (ص٤٦ ـ ٤٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٥٢).

فيه فوائد

الأولى: مكانة الصحابة رضي الله عنهم في الإسلام.

الثانية: الخُلق مع الصحابة رضي الله عنهم يكون بمعرفة فضلهم وقَدْرهم ومحبتهم، واتباعهم بإحسان، ونشر محاسنهم والدفاع عنهم، وعدم الإساءة إليهم.

الثالثة: رضا الله عن الصحابة رضي الله عنهم.

الرابعة: خيرية الصحابة رضي الله عنهم في جميع أبواب الدين.

الخامسة: الأمر الرباني بالدعاء للصحابة رضي الله عنهم، وسلامة الألسُنِ والقلوب تجاههم.

السادسة: تعليق رضا الله على من جاء بعد الصحابة رضي الله عنهم بحسن اتباعه لهم بإحسان.

السابعة: اتباع الصحابة رضي الله عنهم بإحسان يكون في العقيدة والفقه والتزكية والأخلاق وكل أحكام الدين.

الثامنة: النهي عن سبّ الصحابة رضي الله عنهم.

التاسعة: قبول أهل السُّنَّة والجماعة تزكية الله ورسوله للصحابة رضي الله عنهم.

العاشرة: معرفة عقيدة أهل السُّنَّة والجماعة في الصحابة رضي الله عنهم وآل البيت.

الحادية عشرة: الحذر من الانحراف عن منهج الصحابة رضي الله عنهم في العقيدة أو العمل.

الثانية عشرة: معرفة سبب طعن أهل البدع والأهواء في الصحابة وعواقبه الوخيمة.

الثالثة عشرة: معرفة سوء أخلاق أهل البدع مع الصحابة رضي الله عنهم.

❁ ❁ ❁

٧

باب الأخلاق مع علماء أهل السُّنَّة والجماعة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النساء: ٨٣].

عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «**لَيْسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ لَمْ يُجِلَّ كَبِيرَنَا، وَيَرْحَمْ صَغِيرَنَا، وَيَعْرِفْ لِعَالِمِنَا حَقَّهُ**»(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «**فَضْلُ الْعَالِمِ عَلَى الْعَابِدِ كَفَضْلِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ، وَإِنَّ الْعُلَمَاءَ وَرَثَةُ الْأَنْبِيَاءِ، وَإِنَّ الْأَنْبِيَاءَ لَمْ يُوَرِّثُوا دِينَارًا وَلَا دِرْهَمًا، وَلَكِنَّهُمْ وَرَّثُوا الْعِلْمَ فَمَنْ أَخَذَهُ أَخَذَ بِحَظٍّ وَافِرٍ**»(٢).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ومن له في الأمة لسان صدق عام بحيث يثنى عليه ويحمد في جماهير أجناس الأمة، فهؤلاء أئمة الهدى ومصابيح الدجى»(٣).

وقال ابن القيم رحمه الله: «من له علم بالشرع والواقع يعلم قطعًا أن

---

(١) أخرجه أحمد (برقم ٢٢٧٥٥)، والحاكم في «المستدرك» (برقم ٤٢١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٥٤٤٣).

(٢) أخرجه أبو داود (برقم ٣٦٤١)، والترمذي (برقم ٢٦٨٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٢٩٧).

(٣) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٤٣).

الرجل الجليل الذي له في الإسلام قدم صالح وآثار حسنة وهو في الإسلام وأهله بمكان قد تكون منه الهفوة والزَّلة هو فيها معذور بل ومأجور لاجتهاده، فلا يجوز أن يتبع فيها ولا يجوز أن تُهدَر مكانته ومنزلته في قلوب المسلمين»[(١)].

وقال ابن سعدي رحمه الله: «أعظم الحقوق الواجبة بعد حق الرسول: حقوق العلماء المعلِّمين الذين هم الواسطة بين الرسول وبين أمّته في تبليغ دينه، وبيان شريعته، الذين لولاهم لكان الناس كالبهائم. حقوقهم على الأمة أعظم من حق الآباء والأمهات، فإنهم رَبَّوا أرواح العباد وقلوبهم بالعلوم النافعة، والمعارف الصحيحة، وهم هُداة الأمة في أصول دينهم وفروعه، وهم المَرْجُوع إليهم في أحكام الحقوق والمعاملات، كما أنهم المَرْجُوع إليهم في أمور العبادات.

بهم قام الكتاب والسُّنَّة، وبهم اتضح الحق من الباطل، والهدى من الضلال، والحلال من الحرام، والخير من الشر، والصلاح من الفساد، وهم في ذلك على مراتبهم طبقات، بحسب ما قاموا به من العلم والتعليم، والنفع الكثير أو القليل، فحقهم على الأمة كبير، ومقامهم جليل، فعلى الناس أن يحبوهم، ويجلُّوهم، ويوقِّروهم، ويعترفوا بفضائلهم، وفواضلهم، ويشكروهم على ذلك غاية الشكر، ويدعوا لهم سرًّا وعلنًا، ويتقرَّبوا إلى الله بمحبتهم والثناء عليهم، وينشروا محاسنهم، ويغضُّوا القلب واللسان عن مساويهم التي إذا وُجدت اضمحلت في جنب محاسنهم، وعليهم أن ينتهزوا الفرصة في وجودهم، فيغترفوا من معين علمهم، ويسترشدوا بنورهم، ويعملوا جميع ما يقدرون عليه من الأسباب التي تريحهم وتفرغهم لما هم بصدده من مهماتهم التي هي أعظم المهمات على الإطلاق، من تعليم الطلبة المستعدين، والتجرد

---

(١) «أعلام الموقعين عن رب العالمين» (٣/ ٢٢٠).

لهم، ومن إرشاد العوام، ومن الفتاوى الصادرة منهم والواردة عليهم، ومن استعدادهم للحكم في قضايا الخلق، وفصل خصوماتهم، إلى غير ذلك مما لا يُحصى مما هو متوقف عليهم. والناس مضطرون إليهم، وحقوقهم على وجه التفصيل لا يمكن عدُّها»[1].

فيه فوائد

الأولى: مكانة العلماء الربانيين في الإسلام.

الثانية: العلماء ورثة الأنبياء.

الثالثة: العلماء يطاعون في المعروف.

الرابعة: الحذر من الشذوذ عن فهم العلماء في العقيدة والعمل.

الخامسة: أهمية الرجوع للعلماء خاصة عند النوازل والفتن.

السادسة: العلماء أعلم الناس بخير الخيرين، وشر الشرين، وبمداخل الشر والفتن.

السابعة: أهمية إعانة العلماء على مُهمّتِهم والدعاء لهم والحذر من أذيتهم.

الثامنة: الحذر من مزاحمة العلماء في التوجيه والإرشاد، خاصة عند حلول الفتن والأمور المشكلات.

التاسعة: الوعيد الشديد لمن لم يَعْرف للعلماء قدرهم.

العاشرة: معرفة دور العلماء في الأمة.

الحادية عشرة: وسطية أهل السُّنَّة والجماعة في محبة العلماء وتوقيرهم دون غلو أو جفاء.

---

(١) «نور البصائر والألباب» (ص٦٤ ـ ٦٥).

الثانية عشرة: وسطية أهل السُّنَّة والجماعة في التعامل مع زلّات العلماء.

الثالثة عشرة: أهمية الترحم على العلماء السابقين ومعرفة قدرهم، وحسن التعامل مع زلاتهم دون إفراط أو تفريط.

الرابعة عشرة: معرفة سوء أخلاق أهل البدع والأهواء مع علماء أهل السُّنَّة والجماعة.

۞ ۞ ۞

٨

باب أحق الناس بامتثال الأخلاق الحسنة معهم هم الوالدان ثم الأقرب فالأقرب

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾﴾ [النساء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ﴾ [الأحقاف: ١٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِبْرَٰهِيمَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَـٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّى قَدْ جَآءَنِى مِنَ ٱلْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَٱتَّبِعْنِىٓ أَهْدِكَ صِرَٰطًا سَوِيًّا ﴿٤٣﴾ يَـٰٓأَبَتِ لَا تَعْبُدِ ٱلشَّيْطَـٰنَ ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلرَّحْمَـٰنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَـٰٓأَبَتِ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَـٰنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَـٰنِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ ءَالِهَتِى يَـٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ ۖ وَٱهْجُرْنِى مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلَـٰمٌ عَلَيْكَ ۖ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّىٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا ﴿٤٧﴾﴾ [مريم: ٤١ ـ ٤٧].

وقال تعالى: ﴿وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦].

عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: «قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ أَبَرُّ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**أُمَّكَ**». قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: «**ثُمَّ أَبَاكَ، ثُمَّ الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ**»[1].

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٥١٣٩)، والترمذي (برقم ١٨٩٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ١٣٩٩).

وعن عياض بن حمار رضي الله عنه: عن النَّبيِّ ﷺ قال: «**وَأَهْلُ الْجَنَّةِ ثَلَاثَةٌ: ذُو سُلْطَانٍ مُقْسِطٌ مُتَصَدِّقٌ مُوَفَّقٌ، وَرَجُلٌ رَحِيمٌ رَقِيقُ الْقَلْبِ لِكُلِّ ذِي قُرْبَى وَمُسْلِمٍ، وَعَفِيفٌ مُتَعَفِّفٌ ذُو عِيَالٍ**»(١).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن رجلًا قال: يا رسول الله! إنّ أمّي توفيت ولم توص، أفينفعها أن أتصدق عنها؟ قال: «**نَعَمْ**»(٢).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما، عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ أَبَرَّ الْبِرِّ أَنْ يَصِلَ الرَّجُلُ أَهْلَ وُدِّ أَبِيهِ**»(٣).

قال محمد بن المنكدر رحمه الله: «بِتُّ أغمز رِجْلَ أُمّي وبات أخي عمر يصلِّي، وما يسرني في ليلتي بليلته»(٤).

وقال القرطبي رحمه الله: «قال العلماء: فأحق الناس بعد الخالق المنّان بالشكر والإحسان والتزام البر والطاعة له والإذعان: مَن قرن الله الإحسان إليه ـ بعبادته وطاعته وشكره ـ بشكره، وهما الوالدان، فقال تعالى: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِي وَلِوَٰلِدَيْكَ﴾»(٥).

وقال ابن سعدي رحمه الله: «وقد أمر الله ورسوله بصلة الأرحام، وهم جميع الأقارب، قريبهم وبعيدهم. وأخبر بفضل الواصلين لأرحامهم، وأن الله يجمع لهم بين سعة العمر وسعة الرزق، وفتح أبواب البركة والأجر العظيم عند الله، وأن القاطعين لهم خلاف ذلك.

فعلى الإنسان أن يتعاهد أقاربه بالصلة في بدنه، وزيارته وقضاء حوائجهم، وإعانتهم على أمورهم، وبذل ما يقدر عليه من ذلك، ويتعاهد

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ٢٨٦٥).
(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٣٩)، والطبراني في «الأوسط» (برقم ٨٠٦١)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٤٦).
(٣) أخرجه مسلم (٢٥٥٢).
(٤) «حلية الأولياء» (٣/ ١٥٠).
(٥) «تفسير القرطبي» (٥/ ١٨٢ ـ ١٨٣).

الهدية لموسرهم، والصدقة على مُعسرهم، ويتحبب إليهم بكل ممكن، وذلك ميسور على من وفقه الله ويسّره عليه، ويجاهد نفسه على صلة القاطع منهم؛ فإن الواصل الحقيقي هو الذي يصل أرحامه كلهم، من وَصَلَه ومن قطعه، وذلك عنوان على الإخلاص لله. ولا بد إذا ثابر على ذلك أن يُؤْثِرَهُ الله، ويجعل له العاقبة الحميدة.

وإذا كان بينه وبينهم شيء من المشاكل الدنيوية المُحْدِثَة للخصام فليحتسب صلتهم عند الله، وليتنازل عن حقه أو بعضه، ويربح الصلة التي هي أفضل المكاسب، إذا كان غيره يرى المكسب في الحطام الخسيس من الدنيا.

ومن أبواب الصلة: أن يسعى في الإصلاح بينهم إذا كان بينهم ضغائن وإحَن، فإن الإصلاح فضله عظيم، وخصوصًا لمن لهم حق على الإنسان كالأقارب، ويتسبب لهم بالأسباب التي تنفعهم في دينهم ودنياهم.

واعلم أن من بينك وبينه رضاع، وإن لم يكونوا مثل الأقارب، وهم قاصرون عن رتبتهم في أمور كثيرة، لكن في باب البرّ والصلة ينبغي أن تراعي فيهم ذلك، وأن تحفظ لهم ذلك السبب الذي قوي في باب التحريم حتى ساوى النسب، فميِّز بين من بينك وبينه رضاع عن غيرهم، وخصوصًا الأم المرضعة، وصاحب اللبن، والله الموفق»(١).

قال: «**وحقوق الوالدين كثيرة، ولكن ضابطها:** ما ذكره الله في كتابه؛ فإنه أمر بالإحسان إليهما، وذلك شامل لكل إحسان بجميع وجوهه. ويُرجع في ذلك إلى العُرف والعادة، فكل ما عدَّه الناس إحسانًا فهو داخل في الإحسان المأمور به»(٢).

---

(١) «نور البصائر والألباب» (برقم ٦٩).

(٢) «نور البصائر والألباب» (ص٦٨).

فيه فوائد

الأولى: أحقّ الناس بتطبيق الأخلاق الحسنة معهم: هم الوالدان، ثمَّ الأقرب فالأقرب.

الثانية: ذمُّ الشرع لمَن لم يتأدّب مع والديه.

الثالثة: معرفة طرق برّ الوالدين بعد الممات.

الرابعة: معرفة حقوق أهل الأرحام وأنواع صلتهم.

الخامسة: فضل الصبر على أذى الأقارب وأهل الرحم.

السادسة: أهمية الإصلاح بين الأقارب وأهل الأرحام.

السابعة: الإصلاح لا يتم في بعض المشاكل إلا بتنازل أحد الخصمين عن بعض حقه.

الثامنة: معرفة ضابط حق الوالدين.

التاسعة: حسن خطاب إبراهيم عليه السلام في دعوة والده إلى الإسلام.

٩

باب الأخلاق مع النفس

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرُۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝١٨﴾ [الحشر: ١٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝٦﴾ [التحريم: ٦].

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشمس: ١٠].

عن أبي جحيفة وهب بن عبد الله رضي الله عنه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء؛ فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبذلةً، فقال: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا. فجاء أبو الدرداء فصنع له طعامًا فقال له: كُلْ؛ فإني صائم. قال: ما أنا بآكل حتى تأكل؛ فأكل. فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم؛ فقال له: نم؛ فنام. ثم ذهب يقوم فقال له: نَمْ. فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن. فصليا جميعًا؛ فقال له سلمان: إنَّ لربك عليك حقًّا، وإنَّ لنفسك عليك حقًّا، ولأهلك عليك حقًّا، فأعط كل ذي حقّ حقّه. فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له؛ فقال النبي ﷺ: «**صَدَقَ سَلْمَانُ**»(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «إنَّ للقلوب شهوة وإقبالًا، وفترة وإدبارًا، فخذوها عند شهواتها وإقبالها، وذروها عند فترتها وإدبارها»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ١٩٦٨).

(٢) أخرجه الدارمي (برقم ٤٦٢)، والخطيب في «الجامع» (برقم ٧٤١).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه: «إني لأستجم لقلبي بالشيء من اللهو، ليكون أقوى لي على الحق»[(١)].

وعن عون بن عبد الله رحمه الله قال في قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ [القصص: ٧٧] قال: «إن ناسًا يضعونها على غير موضعها: إنما هي: أقبل على طاعة ربك وعبادته»[(٢)].

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «إننا قد كلفنا حفظها ـ أي: النفس ـ، **ومن أسباب حفظها**: ميلها إلى الأشياء التي تقيمها؛ فلا بد من إعطائها ما يقيمها، وأكثر ذلك أو كله مما تشتهيه، ونحن كالوكلاء في حقها؛ لأنها ليست لنا؛ بل هي وديعة عندنا، فمنعها حقوقها على الإطلاق خطر»[(٣)].

وقال شيخ الإسلام رحمه الله في قوله عليه الصلاة والسلام: «**لَا تُشَدِّدُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ فَيُشَدِّدَ اللهُ عَلَيْكُمْ؛ فَإِنَّ قَوْمًا شَدَّدُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ فَشَدَّدَ اللهُ عَلَيْهِمْ؛ فَتِلْكَ بَقَايَاهُمْ فِي الصَّوَامِعِ وَالدِّيَارِ؛** ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾»[(٤)]، قال: «ففيه نهي النبي صلى الله عليه وسلم عن التشدد في الدين بالزيادة على المشروع. **والتشديد**: تارة يكون: باتخاذ ما ليس بواجب، ولا مستحب بمنزلة الواجب والمستحب، في العبادات. وتارة: باتخاذ ما ليس بمحرم، ولا مكروه بمنزلة المحرم والمكروه، في الطيبات. وعلل ذلك بأنَّ الذين شددوا على أنفسهم من النصارى، شدَّد الله عليهم لذلك، حتى آل الأمر إلى ما هم عليه من الرهبانية المبتدعة»[(٥)].

وقال ابن سعدي رحمه الله: «لا يزال الحكيم مع نفسه في ملاطفة،

---

(١) «بهجة المَجالس وأنس المُجالس» لابن عبد البر (١/ ١١٥).

(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ٢٤٧).

(٣) «صيد الخاطر» (ص٨٠ ـ ٨١).

(٤) أخرجه أبو داود (برقم ٤٩٠٤)، وضعفه الألباني في الضعيفة (برقم ٣٤٦٨).

(٥) «اقتضاء الصراط المستقيم» (١/ ٣٢٢).

وتدريب، وترغيب، وترهيب، وإنذار وتبشير، حتى يَلِين صعْبها ويستقيم سيرها، وتتبدلّ صفاتها الرديئة، بالصفات الطيبة، ولا يتمكن من هذا إلا بسلوك الحكمة»[١].

فيه فوائد

الأولى: الأخلاق مع النفس تكون بتربيتها على العلوم النافعة، والأعمال الصالحة، والأخلاق الفاضلة.

الثانية: معرفة خطأ من منع النفس حقوقها.

الثالثة: أهمية الحكمة مع النفس في الحياة وحال العلم والعمل.

الرابعة: معرفة ضابط الترويح عن النفس بلا إفراط ولا تفريط.

الخامسة: معرفة تفسير آية القصص.

السادسة: النهي عن التشديد على النفس ومعنى ذلك.

---

(١) «الرياض الناضرة» (ص٨٨).

١٠

باب الأخلاق بين الزوجين

قال تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩]. وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: ٦].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**خَيْرُكُمْ خَيْرُكُمْ لِأَهْلِهِ وَأَنَا خَيْرُكُمْ لِأَهْلِي**»(٢).

وقال النَّبِي ﷺ: «**إِذَا أَنْفَقَ الْمُسْلِمُ نَفَقَةً عَلَى أَهْلِهِ وَهُوَ يَحْتَسِبُهَا كَانَتْ لَهُ صَدَقَةٌ**»(٣).

وقال ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ، وَإِنَّ أَعْوَجَ شَيْءٍ فِي الضِّلَعِ أَعْلَاهُ، فَإِنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وَإِنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أَعْوَجَ، فَاسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا**»(٤).

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه لرجل همَّ بطلاق امرأته: لِم تُطَلِّقُها؟ قال:

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٦٩).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٨٩٥)، وصححه الألباني في «المشكاة» (برقم ٣٢٥٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٣٥١)، ومسلم (١٠٠٢).

(٤) أخرجه البخاري (٣٣٣١)، ومسلم (١٤٦٨).

لا أُحِبُّها. قال: أو كُلُّ البيوتِ بُنِيَتْ على الحبّ، وأين الرعايةُ والتذمُّمُ![١][٢].

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه لامرأته: «إذا رأيتني غضبتُ فرَضّيني، وإذا رأيتكِ غَضْبَى رضيّتكِ وإلا لم نَصْطحب»[٣].

وقيل للحسن رحمه الله: «الرجل ينفق على أهله النفقة لو شاء اكتفى بدونها، فقال: أيها الرجل أوسع على نفسك كما وسَّع الله عليك»[٤].

وقيل للحسن رحمه الله: «يا أبا سعيد، أرأيت إن اشتريت لامرأتي عطرًا بعشرين درهمًا أَسَرف هو؟ قال: لا»[٥].

وقال ابن حجر رحمه الله شارحًا قوله ﷺ: «**اسْتَوْصُوا بِالنِّسَاءِ خَيْرًا، فَإِنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِنْ ضِلَعٍ**»... الحديث: «وفي الحديث الندب إلى المداراة لاستمالة النفوس وتألُّف القلوب وفيه سياسة النساء بأخذ العفو منهن، والصبر على عوجهنّ، وأن مَن رام تَقويمهنّ رام مستحيلًا وفاته الانتفاع بهنّ مع أنه لا غنى للإنسان عن امرأة يسكن إليها ويستعين بها على معاشه، فكأنه قال: الاستمتاع بها لا يتم إلا بالصبر عليها»[٦].

فيه فوائد

الأولى: أهمية القيام بالحقوق الزوجية والمعاشرة بالمعروف.

الثانية: أهمية بناء المعاملة بين الزوجين على الفضل، وعدم الاستيفاء في كل الحقوق.

---

(١) عيون الأخبار (٣/ ١٨).

(٢) المقصود بالرعاية أن الزوج قد يمسك المرأة لأسباب أُخرى غير الحب؛ كحفظ الأولاد وعِفّة النفس ونحوهما، وترك ذمّ الناس له، والتذمم للصاحب حفظ عهده وحُرْمته.

(٣) «العقد الفريد» (٧/ ١٣١).

(٤) «النفقة على العيال» لابن أبي الدنيا (٢/ ٥٥٧).

(٥) المرجع السابق (٢/ ٥٦٤).

(٦) «فتح الباري» (٩/ ٢٥٤).

الثالثة: أهمية تحمّل كل واحد من الزوجين أذى الآخر الذي لا بدّ منه في الحياة.

الرابعة: خيرُ الأزواج خيرهم لزوجه.

الخامسة: استدامة العشرة بين الزوجين تكون بأن لا ينظر كل منهما لأخطاء الآخر؛ بل إلى حسنات الآخر ويُنَمّيها.

السادسة: الزوج مسؤول عن تربية زوجته على الأخلاق الفاضلة ونهيها عن الأخلاق السيئة.

السابعة: فضل التوسعة في النفقة على الأهل دون إسراف.

الثامنة: وصية الرسول ﷺ بالنساء خيرًا.

التاسعة: وصية عمر رضي الله عنه في تقويم الحياة الزوجية.

العاشرة: أهمية السياسة الحسنة بين الزوجين.

الحادية عشرة: قطع الطمع عن الحياة المثالية في الدنيا.

الثانية عشرة: عناية الإسلام وتنظيمه للحياة الأسرية بما يغني عن القوانين الوضعية، والآراء البشرية.

❁ ❁ ❁

١١

باب أخلاق الآباء مع الأبناء

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٣ - ١٩].

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كُنَّ أَزْوَاجُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَهُ لَمْ يُغَادِرْ مِنْهُنَّ وَاحِدَةً؛ فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ تَمْشِي مَا تُخْطِئُ مِشْيَتُهَا مِنْ مِشْيَةِ رسول الله ﷺ شَيْئًا؛ فَلَمَّا رَآهَا رَحَّبَ بِهَا فَقَالَ: «**مَرْحَبًا بِابْنَتِي**». ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ»[(١)].

وعن جابر بن عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ يُؤْوِيهِنَّ وَيَكْفِيهِنَّ وَيَرْحَمُهُنَّ فَقَدْ وَجَبَتْ لَهُ الْجَنَّةُ الْبَتَّةَ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَعْضِ الْقَوْمِ: وَثِنْتَيْنِ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: وَثِنْتَيْنِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٣٦٢٣)، ومسلم (برقم ٢٤٥٠).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٧٨)، والطبراني في «الأوسط» (برقم ٤٧٦٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٥٧).

وعن عامر قال: سمعت النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وهو على المنبر يقول: «أعطاني أبي عطية؛ فقالت عمرة بنت رواحة: لا أرضى حتى تُشهد رسول الله ﷺ؛ فأتى رسول الله ﷺ فقال: «إِنِّي أَعْطَيْتُ ابْنِي مِنْ عَمْرَةَ بِنْتِ رَوَاحَةَ عَطِيَّةً، فَأَمَرَتْنِي أَنْ أُشْهِدَكَ يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**أَعْطَيْتَ سَائِرَ وَلَدِكَ مِثْلَ هَذَا؟**»، قَالَ: لَا، قَالَ: «**فَاتَّقُوا اللهَ وَاعْدِلُوا بَيْنَ أَوْلَادِكُمْ**»، قَالَ: **فَرَجَعَ فَرَدَّ عَطِيَّتَهُ**». رواه البخاري(١).

وفي رواية لمسلم: «**أَيَسُرُّكَ أَنْ يَكُونُوا إِلَيْكَ فِي الْبِرِّ سَوَاءً**»، قَالَ: بَلَى، قَالَ: «**فَلَا إِذًا**»(٢).

وعن أبي قلابة، عن أبي أسماء، عن ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ دِينَارٍ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ: دِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى عِيَالِهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ الرَّجُلُ عَلَى دَابَّتِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ يُنْفِقُهُ عَلَى أَصْحَابِهِ فِي سَبِيلِ اللهِ**». قال أبو قلابة: «وبدأ بالعيال»، ثم قال أبو قلابة: «وأي رجل أعظم أجرًا من رجل يُنفق على عِيال صِغارٍ يُعِفّهم أو يَنفعُهم الله به ويُغنيهم»(٣).

وقال أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «ما رأيت أحدًا كان أرحم بالعيال من رسول الله ﷺ»(٤).

قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكم ممن أشقى ولده وفلذة كبده في الدنيا والآخرة بإهماله، وترك تأديبه، وإعانته على شهواته، ويزعم أنه يكرمه وقد أهانه، وأنه يرحمه وقد ظلمه، ففاته انتفاعه بولده، وفوَّت عليه حظه في الدنيا والآخرة، وإذا اعتبرت الفساد في الأولاد رأيت عامته من قبل الآباء»(٥).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٥٨٧).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ١٦٢٣).
(٣) أخرجه مسلم (برقم ٩٩٤).
(٤) أخرجه مسلم (برقم ٢٣١٦).
(٥) «تحفة المودود بأحكام المولود» (ص٢٤٢).

وقال الحافظ في حديث النعمان: «فيه الندب إلى التأليف بين الإخوة، وترك ما يوقع بينهم الشحناء أو يورث العقوق للآباء»(١).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «وللأولاد على والديهم حقوق؛ فإنهم أمانات عندهم، وهم مسؤولون عنهم، **فعليهم بسببهم جنسان من الواجبات:**

أحدهما: القيام بالمؤنة البدنية ـ من نفقة، وكسوة، وما يتبع ذلك ـ: فهو واجب لا بد منه، مع أنه من أفضل العبادات، وخصوصًا مع احتساب الثواب عند الله، فـ«**إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها، حتى ما تجعله في فِي امرأتك**»(٢)؛ أي: وعيالك.

والنوع الثاني: واجب التربية الدينية؛ فعلى الوالدين تعليمهم القرآن، والعلم، والكتابة، وتوابع ذلك، وتربية أخلاقهم بكفِّهم عن المفاسد كلها، وحثِّهم على الفرائض.

وبتمام الأمرين يربح العبد أولاده، وبتقصيره بالتربية الدينية يخسر أولاده خسرانًا مبينًا. فالأولاد كما أنهم مسؤولون عن القيام ببر الوالدين، والقيام بواجبهم، كذلك قبلهم الأبوان مسؤولان عن إصلاح أولادهما: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾ [التحريم: ٦] الآية، وذلك بالقيام بالأسباب التي تقيهم النار، والملاحظة التامة، وعدم إهمالهم؛ ومن أهملهم فلا يلومنَّ إلا نفسه إذا فاته الثواب، واستحقَّ بترك ما يجب عليه العقاب، وفاته بِرّ أولاده وخيرهم، ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فصلت: ٤٦]»(٣).

---

(١) «الفتح» (٥/ ٢١٥).
(٢) من حديث متفق عليه، عن سعد بن أبي وقاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.
(٣) «نور البصائر والألباب» (ص٦٩).

فيه فوائد

الأولى: أهمية تربية الأبناء على مكارم الأخلاق.

الثانية: معرفة وصايا لقمان لابنه، وعليها مدار مكارم الأخلاق.

الثالثة: أهمية العدل بين الأولاد.

الرابعة: فضل النفقة على الأولاد.

الخامسة: فضل تربية البنات والصبر على أذاهُن.

السادسة: أهمية حسن استقبال الأبناء بالبشاشة والكلمة الطيبة.

السابعة: أهمية إعانة الأبناء على البرّ.

الثامنة: تنظيم الإسلام علاقة الآباء بالأبناء.

التاسعة: معرفة حقوق الأبناء على الآباء في الإسلام.

۞ ۞ ۞

١٢

باب الأخلاق بين الإخوة والأخوات

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ٩١ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ٩٢﴾ [يوسف: ٩١ ـ ٩٢].

وقال تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ١٠٠﴾ [يوسف: ١٠٠].

عن أنس رضي الله عنه قال: كان أخوان على عهد رسول الله ﷺ، فكان أحدهما يأتي النبي ﷺ، والآخر يحترف، فشكا المحترف أخاه النبي ﷺ، فقال: «**لَعَلَّك تُرْزَقُ بِهِ**»(١).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يَكُونُ لِأَحَدِكُمْ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، أَوْ ثَلَاثُ أَخَوَاتٍ، فَيُحْسِنُ إِلَيْهِنَّ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ وَهَذِهِ الرَّحِمُ؛ شَقَقْتُ لَهَا اسْمًا مِنِ اسْمِي؛ فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَهَا بَتَتُّهُ**»(٣).

---

(١) أخرجه الترمذي (برقم ٢٣٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (برقم ٣٢٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٥٠٨٤).

(٢) رواه الترمذي (برقم ١٩١٢). والحديث له شواهد في كتب الحديث، منها: ما في سنن أبي داود: «**لا يكون لأحدكم ثلاثُ بنات، أو ثلاث أخوات، أو ابنتان، أو أُختانِ، فيتقي الله فيهنَّ، ويُحسن إليهنَّ إلا دخل الجنة**».

(٣) أخرجه أبو داود (برقم ١٦٩٤)، والترمذي (برقم ١٩٠٧)، وصححه الألباني في «صحيح أبي داود» (٥/٣٧٨).

وعن هشام بن عروة عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها أنها خرجت فيما كانت تعتمر، فنزلت ببعض الأعراب، فسمعت رجلًا يقول: أيُّ أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه؟ قالوا: ما ندري. قال: والله أنا أدري. قالت: فقلت في نفسي: في حلفه لا يستثني، إنه ليعلم أيَّ أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه. قال: موسى؛ حين سأل لأخيه النبوة. فقلت: صدق والله. قلت: وفي هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام: ﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾﴾[1] [الأحزاب: ٦٩].

وقال ابن سعْدِي رحمه الله في قوله تعالى: «﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾؛ أي: فضلك علينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى إليك، والتبعيد لك عن أبيك، فآثرك الله تعالى ومكنك مما تريد ﴿وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾، وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف.

فـ ﴿قَالَ﴾ لهم يوسف عليه السلام، كرمًا وجودًا: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: لا أُثرب عليكم ولا ألومكم؛ ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾؛ فسمح لهم سماحًا تامًّا، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين»[2].

وقال أيضًا رحمه الله في قول الله تعالى: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾: «وهذا من لطفه وحسن خطابه عليه السلام، حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي. فلم يقل: (جاء بكم من الجوع والنصب)، ولا قال: (أحسن بكم)؛ بل قال: ﴿أَحْسَنَ بِىٓ﴾؛

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢٧٩).
(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٠٤).

جعل الإحسان عائدًا إليه؛ فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب، ﴿مِنۢ بَعۡدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بَيۡنِي وَبَيۡنَ إِخۡوَتِيٓۚ﴾ فلم يقل: (نزغ الشيطان إخوتي) بل كأن الذنب والجهل، صدر من الطرفين، فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة»[١].

فيه فوائد

الأولى: أهمية الأخلاق بين الإخوة والأخوات.

الثانية: الأخلاق بين الإخوة والأخوات تكون بالقيام بحقوقهم والإحسان إليهم.

الثالثة: فضل صلة الإخوة والأخوات.

الرابعة: أهمية خلق الاعتذار وقبول الأعذار بين الإخوة والأخوات.

الخامسة: أهمية خلق العفو والسّماحة بين الإخوة والأخوات.

السادسة: أهمية لين الكلام وحسن الخطاب بين الإخوة والأخوات.

السابعة: تنظيم الإسلام العلاقة بين الإخوة والأخوات.

❁ ❁ ❁

(١) تفسير السعدي (ص٤٠٥).

١٣

باب الأخلاق مع الصديق، وكراهة التلون في الصداقة

قال تعالى: ﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: ٦٧].

عن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: لما قدمنا إلى المدينة آخى رسول الله ﷺ بيني وبين سعد بن الربيع؛ فقال سعد بن الربيع: إني أكثر الأنصار مالًا فأقسم لك نصف مالي، وانظر أيَّ زوجتي هَوَيْتَ، نزلت لك عنها، فإذا حلّت تزوجتَها. قال: فقال عبد الرحمٰن: لا حاجة لي في ذلك، هل من سوق فيه تجارة؟ قال: سوق قينقاع، قال: فغدا إليه عبد الرحمٰن، فأتى بأقط وسمن، قال: ثم تابع الغدوَّ، فما لبث أن جاء عبد الرحمٰن عليه أثر صفرة، فقال رسول الله ﷺ: «**تَزَوَّجْتَ**»؟. قَالَ: نَعَمْ، قال: «**وَمَنْ**». قال امرأة من الأنصار قال: «**كَمْ سُقْتَ**». قال زنة نواة من ذهب أو نواة من ذهب فقال له النبي ﷺ: «**أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ**»(١).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**مَا تَحَابَّا الرَّجُلَانِ إِلَّا كَانَ أَفْضَلُهُمَا أَشَدَّهُمَا حُبًّا لِصَاحِبِهِ**»(٢).

وعن زيد بن أسلم عن أبيه قال: «قال عمر رضي الله عنه: يا أسلم، لا يكن حبّك كلفًا ولا بغضك تلفًا. فقلت: كيف ذاك؟ قال: إذا أحببت كلِفت كلف الصبي، وإذا أبغضت أحببت لصاحبك التلف»(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٠٤٨)، ومسلم (برقم ١٤٢٧).

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٥٤٤)، والحاكم في «المستدرك» (برقم ٧٣٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٢٠٥).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (١٣٢٢)، والبيهقي في «الشعب» (٦١٧٣)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٥٠٢).

وعن الحسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «المؤمن مرآة أخيه؛ إن رأى فيه ما لا يعجبه سدَّدَهُ، وقوَّمَه، وحَاطَهُ، وحفِظَه في السرِّ والعلانية»(١).

وقال ابن حبان رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والود الصحيح هو الذي لا يميل إلى نفع ولا يفسده منع»(٢).

وقال أبو حاتم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الواجب على العاقل إذا رزقه الله ودّ امرئ مسلم صحيح الوداد محافظ عليه أن يتمسك به، ثم يوطن نفسه على صلته إن صرمه، وعلى الإقبال عليه إن صد عنه وعلى البذل له إن حرمه وعلى الدنو منه إن باعده حتى كأنه ركن من أركانه، وإن من أعظم عيب المرء تلونه في الوداد»(٣).

وقال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا تَنْقل إلى صديقك ما يؤلِمُ نفسه، ولا يَنتفع بمعرفته؛ فهذا فِعْلُ الأرذال، ولا تَكْتمه ما يَستضِرُّ بجهله؛ فهذا فِعْل أهل الشر»(٤).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: واعلم أن الأصحاب والرفقاء لهم حقوق مشتركة مع المسلمين، وحقوق خاصة. أما ضابط الحقوق المشتركة فميزانها الجامع لكل متفرقاتها قوله ﷺ: «**لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**»؛ فالأصحاب داخلون في ذلك؛ وعليك أن تساعدهم على مهمَّاتهم الدينية والدنيوية، وتقضي حاجاتهم، وتنوب عنهم إذا غابوا في كل أمر ينوبهم، وحيث لك من الاتصال بهم، والإدلال عليهم، والثقة بهم، ما ليس لغيرهم؛ فبمقتضى هذه الحال: انصحهم، وأرشدهم في كل قليل وكثير، وفي الأمور التي يُحتشم منها، وفي غيرها، وفي

---

(١) «الإخوان» لابن أبي الدنيا (ص١٠٧).
(٢) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص٨٦).
(٣) المرجع السابق (ص١٠٣).
(٤) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» (ص٤٧).

كثير من الأمور التي يتعذر، أو يتعسَّر، أو يشق إجراؤها مع غيرهم؛ لأن ما بينك وبينهم من الأسباب، والقرب، والاتصال، يوجب ذلك.

وكن وفيًّا لهم، حافظًا لودِّهم، مواظبًا على أخذ خواطرهم، حريصًا على تأسيس الصحبة وتنميتها بعيدًا عمَّا يخالف ذلك، مغضيًا عن معائبهم وعدم قيامهم بحقوق الصحبة، واسلك معهم ومع غيرهم ما أرشد إليه النبي ﷺ: «**لَا يَفْرَكْ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً، إِنْ كَرِهَ مِنْهَا خُلُقًا رَضِيَ مِنْهَا آخَرَ**».

فكذلك الأصحاب إذا كرهت منهم بعض الأخلاق، أو رأيت تقصيرًا وقصورًا فيها، فاذكر محاسنهم، واذكر حقوق الصحبة، واذكر حقوق الوفاء، وانظر سير الموفقين الأخيار، فإنك إذا فعلت ذلك أدركت كل مراد، وفزت بطاعة رب العباد»(١).

فيه فوائد

الأولى: معرفة فضل الصحبة في الله.

الثانية: معرفة جانب من أخلاق السلف في معاملة الصديق.

الثالثة: حاجة العبد إلى الصاحب الناصح.

الرابعة: معنى الودّ الصحيح.

الخامسة: كراهة التلون في الصداقة عند السلف.

السادسة: أهمية خلق التغافل في معاشرة الأصدقاء، والعفو عن زلاتهم.

السابعة: أهمية التوسط والاعتدال في حب الصديق أو بغضه.

الثامنة: معرفة التوسط المحمود في نقل الأخبار إلى الأصحاب.

التاسعة: أهمية اختيار الصاحب قبل تكوين الصحبة، وقديمًا قيل: الدفع أسهل من الرفع.

العاشرة: معرفة حقوق الأصحاب.

---

(١) «نور البصائر والألباب» (ص٧١ ـ ٧٢).

١٤

باب الأخلاق مع عموم المسلمين

قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِي يَقُولُوا الَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَانَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ﴾ [الإسراء: ١٧].

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَنَاجَشُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا، الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ، لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يَخْذُلُهُ، وَلَا يَحْقِرُهُ؛ التَّقْوَى هَاهُنَا** - وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ -؛ **بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ؛ كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ: دَمُهُ، وَمَالُهُ، وَعِرْضُهُ**»(١).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ شَيْءٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**السَّاعِي عَلَى الْأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ كَالْمُجَاهِدِ فِي سَبِيلِ اللهِ أَوْ الْقَائِمِ اللَّيْلَ الصَّائِمِ النَّهَارَ**»(٣).

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٦٠١١)، ومسلم (برقم ٢٥٨٦).

(٣) أخرجه البخاري (برقم ٥٣٥٣)، ومسلم (برقم ٢٩٨٢).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «**بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**»(١).

قال أبو حاتم رحمه الله: «الواجب على العاقل لزوم النصيحة للمسلمين كافة وترك الخيانة لهم بالإضمار والقول والفعل معًا؛ إذ المصطفى ﷺ كان يشترط على من بايعه من أصحابه النصح لكل مسلم مع إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة»(٢).

وقال ابن سعدي رحمه الله: «ومداره ـ أي: حسن الخلق ـ على قوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]؛ أي: خذ ما تيسر وعفى وتسهل من أخلاق الناس، ولا تطالبهم بما لا تقتضيه طباعهم، ولا تسمح به أخلاقهم. هذا فيما يأتيك منهم.

وأما ما تأتي إليهم فالأمر بالعرف، وهو نصحهم وأمرهم بكلِّ مستحسن شرعًا وعقلًا وفطرة، وأعرض عمن جهل عليك بقوله أو فعله.

فللَّه ما أحلى هذه الأخلاق وما أجمعها لكلِّ خير؛ قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤ ـ ٣٥]»(٣).

فيه فوائد

الأولى: أهمية التعاون بين المسلمين على البرّ والتقوى، وعدم التعاون على الإثم والعدوان.

الثانية: بذل النصيحة للمسلمين والحذر من غشهم.

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٥٧)، ومسلم (برقم ٥٦).
(٢) «روضة العقلاء» (ص١٩٤).
(٣) «فتح الرحيم الملك العلام» (ص١٤٣).

الثالثة: معاملة المسلمين بالأخلاق الثلاثة الواردة في أجمع آية في مكارم الأخلاق.

الرابعة: بذل أطيب الكلام لهم.

الخامسة: نصرة المسلم وعدم خذلانه أو احتقاره أو ظلمه.

السادسة: البعد عن كل الأسباب التي تجلب التباغض والتحاسد والتدابر.

السابعة: الاهتمام بأمور المسلمين، وأعظمها تصحيح عقائدهم وعباداتهم وأخلاقهم.

الثامنة: عدم الاعتداء على أموالهم ودمائهم وأعراضهم.

التاسعة: فضل السعي على الضعفاء من المسلمين كالأرملة واليتيم والمسكين.

العاشرة: تنظيم الإسلام للعلاقة بين المسلمين.

١٥

باب أخلاق الراعي مع الرعية، والرعية مع الراعي

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النساء: ٥٨ ـ ٥٩].

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: «**للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**وَمَنْ مَاتَ وَلَيْسَ فِي عُنُقِهِ بَيْعَةٌ مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً**»(٢).

وقال ﷺ: «**أَلَا مَنْ وَلِيَ عَلَيْهِ وَالٍ فَرَآهُ يَأْتِي شَيْئًا مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ فَلْيَكْرَهْ مَا يَأْتِي مِنْ مَعْصِيَةِ اللهِ، وَلَا يَنْزِعَنَّ يَدًا مِنْ طَاعَةٍ**»(٣).

وقال أنس بن مالك رضي الله عنه: نهانا كبراؤنا من أصحاب رسول الله ﷺ، قالوا: «**لَا تَسُبُّوا أُمَرَاءَكُمْ، وَلَا تَغُشُّوهُمْ، وَلَا تَبْغَضُوهُمْ، وَاتَّقُوا اللهَ وَاصْبِرُوا، فَإِنَّ الْأَمْرَ قَرِيبٌ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ٥٥).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ١٨٥١).
(٣) أخرجه مسلم (١٨٥٥).
(٤) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب السنة (برقم ١٠١٥)، والبيهقي في «الشعب» (برقم ٧١٠١).

وقال سهل بن عبد الله التستري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا يزال الناس بخير ما عظموا السلطان والعلماء، فإذا عظموا هذين أصلح الله دنياهم وأخراهم، وإذا استخفوا بهذين أفسد دنياهم وأخراهم»(١).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فصل في حقوق الأئمة.... يجب القيام بحق الأئمة، وخصوصًا الأئمة العادلين، من أمراء المسلمين، وملوكهم، وولاة أمرهم؛ فإن الله أمر بطاعتهم في قوله: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]، وهم العلماء والملوك. وقال ﷺ: «**وَمَنْ يُطِعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي**»(٢).

ومن إجلال الله إجلال السلطان المُقْسِط، وهو أحد السبعة الذين يظلهم الله في ظله، يوم لا ظل إلا ظله، والملوك هم الذين إذا صلحوا صلحت الرعية، وإذا فسدوا فسدت الرعية، وبهم قيام الدين، والإلزام بجميع شعائر الدين، وإقامة الحدود، وردع المفسدين، وبهم أَمِنَت السُبل.

لولا الخلافة لم تأمن لنا سبل وكانَ أضْعَفُنَا نَهبْا لِأقْوَانَا(٣)

وبهم قام الجهاد، بالعلم، والحجة، والبرهان، وبالسلاح، والسيف، والسِّنان.

فكم لهم من الآثار الخيرية، فحقهم عظيم على جميع الرعية؛ عليهم النصح لهم في كل ما يقدرون على نصحهم، وإعانتهم على مهمَّاتهم، واعتقاد ولايتهم، وحثّ الناس على لزوم طاعتهم، وإرشادهم إلى كل خير وصلاح، وتحذيرهم عن كل شر وضرر في الدين والدنيا

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٦٠).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ٢٩٥٧)، ومسلم (برقم ١٨٣٥).
(٣) «البيت» لابن المبارك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وهو في «السير» (٨/ ٤١٤)، وصدره: «لولا الأئمة...».

على وجه الرفق واللين، والدعاء لله بصلاحهم، فإن الدعاء لهم دعاء للرعية كلها، كما أن إرشادهم إلى مصلحة ومشروع خيري نَفْعٌ شامل.

وعلى الناس أن يغضوا عن مساويهم، ولا يشتغلوا بسبِّهم؛ بل يسألون الله لهم التوفيق، فإن سبَّ الملوك والأمراء فيه شر كبير، وضرر عام وخاص، وربما تجد السَّاب لهم لم تُحَدِّثه نفسه بنصيحتهم يومًا من الأيام، وهذا عنوان الغش للراعي والرعية.

وحقوق الملوك الصالحين لا تُعد ولا تُحصى، فهم وإن كانت لهم سيئات كثيرة فإن لهم حسنات أكثر من غيرهم من الرعية. فنسأل الله أن يأخذ بنواصيهم إلى الخير إنه جواد كريم»(١).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أما ولاة الأمور فيجب عليهم الرفق بالرعية والإحسان إليهم واتباع مصالحهم وتولية من هو أهل للولاية ودفع الشر عنهم وغير ذلك من مصالحهم لأنهم مسئولون عنهم أمام الله عَزَّ وَجَلَّ»(٢).

فيه فوائد

الأولى: معرفة الآية الجامعة في تنظيم العلاقة بين الحاكم والمحكوم.

الثانية: أهمية التناصح بين الحاكم والمحكوم.

الثالثة: السمع والطاعة للحاكم المسلم بالمعروف.

الرابعة: طاعة الحكام المسلمين بالمعروف من طاعة الله ورسوله.

الخامسة: معرفة الموقف الشرعي من معصية الحاكم بلا غلو ولا جفاء.

السادسة: حرمة الخروج على الحاكم المسلم بالفسق والمعاصي.

---

(١) «نور البصائر والألباب» (ص٦٥ ـ ٦٦).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٦٢٧).

السابعة: معرفة حكم من ليس في عنقه بيعة لإمامه.

الثامنة: عواقب الاستهانة بالعلماء والأمراء.

التاسعة: نهي الصحابة عن سبّ الأمراء.

العاشرة: معرفة حقوق الرعية في الإسلام.

الحادية عشرة: معرفة حقوق الأئمة في الإسلام.

الثانية عشرة: حسن منهج الإسلام في تنظيم علاقة الحاكم بالمحكوم والعكس دون غلو أو جفاء.

الثالثة عشرة: أهمية معرفة منهج أهل السُّنَّة والجماعة في التعامل مع الحكام.

۞ ۞ ۞

١٦

باب الأخلاق مع كبار السِّنِّ

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ [القصص: ٢٣ ـ ٢٤].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ إِجْلَالِ اللهِ إِكْرَامَ ذِي الشَّيْبَةِ الْمُسْلِم، وَحَامِلِ الْقُرْآنِ غَيْرِ الْغَالِي فِيهِ وَلَا الْجَافِي عَنْهُ، وَإِكْرَامَ ذِي السُّلْطَانِ الْمُقْسِطِ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**مَنْ لَمْ يَرْحَمْ صَغِيرَنَا وَيَعْرِفْ حَقَّ كَبِيرِنَا فَلَيْسَ مِنَّا**»(٢).

وعن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «أمرنا رسول الله ﷺ أن ننزل الناس منازلهم»(٣).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ يومًا لأصحابه: «**أَخْبِرُونِي عَنْ شَجَرَةٍ مَثَلُهَا مَثَلُ الْمُؤْمِنِ**» فجعل القوم يذكرون شجرًا

---

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٣٥٧)، وأبو داود (برقم ٤٨٤٣)، وحسنه الألباني في المشكاة (برقم ٤٩٧٢).

(٢) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٣٥٣)، وأبو داود (برقم ٤٩٤٣)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص١٤٢).

(٣) «صحيح مسلم» (٦/١).

من شجر البوادي؛ قال ابن عمر وأُلقي في نفسي ـ أو رُوعي ـ أنها النخلة؛ فجعلت أُريد أن أقولها؛ فإذا أسنان القوم؛ فأهاب أن أتكلم؛ فلما سكتوا؛ قال رسول الله ﷺ: «**هِيَ النَّخْلَةُ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**يُسَلِّمُ الصَّغِيرُ عَلَى الْكَبِيرِ وَالْمَارُّ عَلَى الْقَاعِدِ وَالْقَلِيلُ عَلَى الْكَثِيرِ**»(٢).

وعن عبد الرحمٰن بن عوف رضي الله عنه قال: «**بينا أنا واقف في الصف يوم بدر؛ فنظرت عن يميني وعن شمالي فإذا أنا بغلامين من الأنصار حديثة أسنانهما تمنيت أن أكون بين أضلع منهما؛ فغمزني أحدهما فقال: يا عم، هل تعرف أبا جهل؟ قلت: نعم، ما حاجتك إليه يا ابن أخي؟ قال: أُخبرت أنه يسب رسول الله ﷺ والذي نفسي بيده، لئن رأيتُه لا يفارق سوادي سواده حتى يموت الأعجل منا...**»(٣).

وعن الفضل بن موسى رحمه الله قال: «انتهيت أنا وعبد الله بن المبارك إلى قنطرة؛ فقلت له: تقدم. وقال لي: تقدم. فحاسبته؛ فإذا أنا أكبر منه بسنتين»(٤).

وعن يحي بن سعيد المدني رحمه الله، قال: بلغنا «أن من أهان ذا شيبة لم يمت حتى يقيض الله عز وجل له من يهينه في كبره»(٥).

فيه فوائد

الأولى: من إجلال الله إكرام ذي الشيّبة المسلم.

الثانية: معرفة أخلاق الأنبياء مع كبار السنّ.

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٦١)، ومسلم (برقم ٢٨١١).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ٦٢٣١)، ومسلم (برقم ٢١٦٠).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٣١٤١)، ومسلم (برقم ١٧٥٢).
(٤) «الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع» للخطيب البغدادي (برقم ٢٤٩).
(٥) «العمر والشيب» لابن أبي الدنيا (ص٥٣).

الثالثة: مَن أحسن إلى كبار السنّ أحسن الله إليه.

الرابعة: أهمية خلق الوفاء والتوقير لكبار السنّ.

الخامسة: استعمال الألقاب الحسنة في مناداة كبير السنّ.

السادسة: الوعيد الشديد لمن لم يعرف لكبير السنّ قدره وفضله.

السابعة: الأخلاق مع كبار السنّ تكون بالقيام بحقوقهم والإحسان إليهم وعدم أذيتهم.

الثامنة: معرفة حقوق كبار السنّ في الإسلام.

۞ ۞ ۞

١٧

باب الأخلاق مع صغار السِّنِّ

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ [الفرقان: ٧٤].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قبَّل رسول الله ﷺ الحسن بن عليٍّ وعنده الأقرع بن حابسٍ التميمي جالسًا، فقال الأقرع: إن لي عشرة من الولد ما قبَّلتُ منهم أحدًا، فنظر إليه رسول الله ﷺ ثم قال: «**مَنْ لَا يَرْحَمُ لَا يُرْحَمُ**»(١).

وعن جابر بن سَمُرة رضي الله عنه، قال: «صليتُ مع رسول الله ﷺ صلاة الأُولى؛ ثم خرج إلى أهله وخرجتُ معه، فاستقبلهُ وِلدانٌ؛ فجعل يمسح خدَّيْ أحدهم واحدًا واحدًا، قال: وأما أنا فمسح خدَّيَّ فوجدت لِيَدِهِ بردًا أو ريحًا، كأنما أخرجها من جؤنة عطّار»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه، قال: كان النبي ﷺ أحسن الناس خُلقًا، وكان لي أخٌ يُقال له: أبو عُمير ـ أحسبه فَطِيمًا ـ وكان إذا جاء ﷺ قال: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ مَا فَعَلَ النُّغَيْرِ؟**»(٣).

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: أُتِـيَ النبي ﷺ بقدح فشرب منه، وعن يمينه غلامٌ أصغر القوم، والأشياخ عن يساره فقال: «**يَا غُلَامُ، أَتَأْذَنُ لِـي أَنْ أُعْطِيَهُ الْأَشْيَاخَ؟**» قال: ما كنت لأوثر بفضلي منكَ أحدًا يا رسول الله! فأعطاه إياه. وفي رواية: «**أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ هَؤُلَاءِ؟**» فقال

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٥٩٩٧)، ومسلم (برقم ٢٣١٨).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٣٢٩).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦٢٠٣)، ومسلم (برقم ٢١٥٠).

الغلامُ: لا واللهِ يا رسول الله، لا أُوثِرُ بنصيبي منك أحدًا، قال: فَتَلَّهُ رسول الله ﷺ في يده[(١)].

وقال ﷺ لعمر بن أبي سلمة عندما رآه يأكل وتطيش يده في الصحفة: «**يَا غُلَامُ، سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[(٢)].

وقال ﷺ لعبد الله بن عباس ا: «**يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ**» الحديث[(٣)].

وعن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده: أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا نَحَلَ وَالِدٌ وَلَدًا مِنْ نَحْلٍ أَفْضَلَ مِنْ أَدَبٍ حَسَنٍ**»[(٤)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**كُلُّ مَوْلُودٍ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، أَوْ يُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ**»[(٥)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «**مُرُوا أَبْنَاءَكُمْ بِالصَّلَاةِ لِسَبْعٍ، وَاضْرِبُوهُمْ عَلَى تَرْكِهَا لِعَشْرٍ، وَفَرِّقُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ**»[(٦)].

وعن أنس رضي الله عنه: «**أنه مَرّ على صبيان فسلّم عليهم، وقال: كان النبي ﷺ يفعله**»[(٧)]

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٤٥١)، ومسلم (برقم ٢٠٣٠).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٥٣٧٦)، ومسلم (برقم ٢٠٢٢).

(٣) أخرجه الترمذي (برقم ٢٥١٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢/ ٦٠٩ ـ ٦١٠) (برقم ٢٥١٦).

(٤) أخرجه الترمذي (برقم ٢٥١٦)، وأحمد (برقم ٢٨٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٧٩٥٧).

(٥) أخرجه البخاري (برقم ١٣٨٥)، ومسلم (برقم ٢٦٥٨).

(٦) أخرجه الترمذي (٢٥١٦)، وأحمد (٢٧٦٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (برقم ٧٩٥٧).

(٧) أخرجه البخاري (برقم ٦٢٤٧)، ومسلم (برقم ٢١٦٨).

فيه فوائد

الأولى: وصية النبي ﷺ برحمة الأولاد الصغار.

الثانية: أهمية تربية الصغار على مكارم الأخلاق.

الثالثة: مداعبة الرسول ﷺ الأطفال الصغار.

الرابعة: أهمية احترام الصغير ومراعاة مشاعره وعدم احتقاره.

الخامسة: جواز تكنية الصغير.

السادسة: أهمية تعليم الصغار وإرشادهم إلى ما ينفعهم.

السابعة: الاهتمام بتربية الأولاد روحيًّا وعقليًّا وبدنيًّا.

الثامنة: علاقة فساد الأب وصلاحه بتربية الأولاد.

التاسعة: عناية الإسلام بحقوق الصغار وتربيتهم على محاسن الآداب.

❁ ❁ ❁

١٨

باب أخلاق المرأة المُسْلِمة

قال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلۡغَيۡبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِۖ وَلَا يَضۡرِبۡنَ بِأَرۡجُلِهِنَّ لِيُعۡلَمَ مَا يُخۡفِينَ مِن زِينَتِهِنَّۚ وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٣١﴾ [النور: ٣١].

وقال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ [القصص: ٢٥].

وقال النبي ﷺ: **«إِذَا صَلَّتِ الْمَرْأَةُ خَمْسَهَا، وَصَامَتْ شَهْرَهَا، وَحَفِظَتْ فَرْجَهَا، وَأَطَاعَتْ زَوْجَهَا، قِيلَ لَهَا: ادْخُلِي الْجَنَّةَ مِنْ أَيِّ الْأَبْوَابِ شِئْتِ»**(١).

وقال ﷺ: **«خَيْرُ النِّسَاءِ الَّتِي تَسُرُّهُ إِذَا نَظَرَ، وَتُطِيعُهُ إِذَا أَمَرَ، وَلَا تُخَالِفُهُ فِي نَفْسِهَا وَلَا مَالِهِ بِمَا يَكْرَهُ»**(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (برقم ١٦٦١)، وابن حبان في «صحيحه» (برقم ٤١٦٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٦٦١).

(٢) أخرجه النسائي (برقم ٣٢٣١)، وأحمد (برقم ٩٥٨٧)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (برقم ٣٢٧٢).

وقال ﷺ: «**لَا يَحِلُّ لِلْمَرْأَةِ أَنْ تَصُومَ وَزَوْجُهَا شَاهِدٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ، وَلَا تَأْذَنَ فِي بَيْتِهِ إِلَّا بِإِذْنِهِ**»(١).

وقال الرسول ﷺ: «**ثَلَاثَةٌ لَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ: رَجُلٌ فَارَقَ الْجَمَاعَةَ وَعَصَى إِمَامَهُ وَمَاتَ عَاصِيًا، وَأَمَةٌ أَوْ عَبْدٌ أَبَقَ مِنْ سَيِّدِهِ فَمَاتَ، وَامْرَأَةٌ غَابَ عَنْهَا زَوْجُهَا وَقَدْ كَفَاهَا مُؤْنَةَ الدُّنْيَا فَتَبَرَّجَتْ مِنْ بَعْدِهِ؛ فَلَا تَسْأَلْ عَنْهُمْ**»(٢).

وقال ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ اسْتَعْطَرَتْ ثُمَّ خَرَجَتْ فَمَرَّتْ عَلَى قَوْمٍ لِيَجِدُوا رِيحَهَا فَهِيَ زَانِيَةٌ**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَتْ بُخُورًا فَلا تَشْهَدْ مَعَنَا الْعِشَاءَ الْآخِرَةَ**»(٤).

وقال ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ، وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ؛ رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا**»(٥).

وعن ابن عباس قال: «**لَعَنَ رسول الله ﷺ الْمُتَشَبِّهِينَ مِنَ الرِّجَالِ بِالنِّسَاءِ، وَالْمُتَشَبِّهَاتِ مِنَ النِّسَاءِ بِالرِّجَالِ**»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٥١٩٥)، ومسلم (برقم ١٠٢٦).

(٢) أخرجه أحمد (برقم ٢٣٩٤٣)، والبخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٥٩٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣٠٥٨).

(٣) أخرجه أبو داود (برقم ٤١٧٣)، والترمذي (برقم ٢٧٨٦)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٢٧٠١).

(٤) أخرجه مسلم (برقم ٤٤٤).

(٥) أخرجه مسلم (برقم ٢١٢٨).

(٦) أخرجه البخاري (برقم ٥٨٨٥).

فيه فوائد

الأولى: عناية القرآن بأخلاق المرأة المسلمة.

الثانية: أهمية خلق الحياء والعفّة للمرأة المسلمة.

الثالثة: صيانة الإسلام للمرأة المسلمة.

الرابعة: عظم حق الزوج في الإسلام.

الخامسة: فضل طاعة الزوج بالمعروف.

السادسة: صفة خير النساء للأزواج.

السابعة: الوعيد الشديد للمتشبِّهات بالرجال.

١٩

باب الأخلاق في البيع والشراء والاقتراض ونحوه

قال تعالى: ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰا۟﴾ [البقرة: ٢٧٥].

وقال تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً﴾ [البقرة: ٢٤٥].

وقال تعالى: ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ٢٨٠﴾ [البقرة: ٢٨٠].

عن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: قال الرسول ﷺ: «**الْبَيِّعَانِ بِالْخِيَارِ مَا لَمْ يَتفَرَّقَا، فَإِنْ صَدَقَا وَبَيَّنَا بُورِكَ لَهُمَا فِي بَيْعِهِمَا، وَإِنْ كَذَبَا وَكَتَمَا مُحِقَتْ بَرَكَةُ بَيْعِهِمَا**»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**رَحِمَ اللهُ عَبْدًا سَمْحًا إِذَا بَاعَ، سَمْحًا إِذَا اشْتَرَى، سَمْحًا إِذَا اقْتَضَى**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا أَقَالَهُ اللهُ عَثْرَتَهُ**»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ ـ أَوْ: بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ ـ؟ عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٠٧٩)، ومسلم (برقم ١٥٣٢).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٢٠٧٦).

(٣) أخرجه أبو داود (برقم ٣٤٦٠)، وابن ماجه (برقم ٢١٩٩)، وصححه الألباني في «المشكاة» (برقم ٢٨٨١).

(٤) أخرجه الترمذي (برقم ٢٤٨٨)، وأحمد (برقم ٣٩٣٨).

وعن رفاعة رضي الله عنه: أنه خرج مع النبي ﷺ إلى المصلَّى؛ فرأى الناس يتبايعون، فقال: «**مَعْشَرَ التُّجَّارَ**»، فاستجابوا لرسول الله ﷺ ورفعوا أعناقهم وأبصارهم إليه، فقال: «**إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا إِلَّا مَنِ اتَّقَى اللهَ، وَبَرَّ، وَصَدَقَ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ مرَّ على صبرة طعام؛ فأدخل يده فيها؛ فنالت أصابعه بللًا فقال: «**مَا هَذَا يَا صَاحِبَ الطَّعَامِ؟**» قال: أصابته السماء يا رسول الله، قال: «**أَفَلَا جَعَلْتُهُ فَوْقَ الطَّعَامِ كَيْ يَرَاهُ النَّاسُ؟ مَنْ غَشَّ فَلَيْسَ مِنِّي**»(٢).

وقال ابن سعدي رحمه الله: «﴿وَإِن كَانَ﴾ المدين ﴿ذُو عُسْرَةٍ﴾ لا يجد وفاء ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾، وهذا واجب عليه أن ينظره حتى يجد ما يوفي به ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾﴾، إما بإسقاطها أو بعضها»(٣).

فمن السماحة في الاقتضاء أن يراعي حال المدين، وأن لا يطالبه بشدة وأمام الناس، قال ﷺ: «**مَنْ طَلَبَ حَقًّا فَلْيَطْلُبْهُ فِي عَفَافٍ وَافٍ، أَوْ غَيْرِ وَافٍ**»(٤).

فيه فوائد

الأولى: تنظيم الإسلام أحكام البيوع وفق العدل والرحمة.

الثانية: حث الإسلام على الصدق في البيع والشراء.

الثالثة: ثمرة الصدق في المعاملات.

---

(١) أخرجه الترمذي (برقم ١٢١٠)، وابن ماجه (برقم ٢١٤٦)، وحسنه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٦٩٣).

(٢) أخرجه مسلم (برقم ١٠٢).

(٣) «تفسير السعدي» (ص١١٧).

(٤) «المستدرك» (٢٢٨٥)، وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه (برقم ١٩٨٠).

الرابعة: النهي عن كل أنواع الظلم والغش والكذب في البيع والشراء.

الخامسة: توجيه الإسلام للسماحة والإحسان في المعاملات وأخذ الحقوق.

السادسة: الإسلام راعى أحوال المعسرين ورتَّب على ذلك فضلًا كبيرًا.

السابعة: وصية النبي ﷺ للتجار.

الثامنة: فضل إقالة المسلم.

التاسعة: معرفة سوء أخلاق الذين لا يراعون الأحكام الشرعية، ولا الآداب المرعية في تعاملاتهم.

۞ ۞ ۞

٢٠

باب أخلاق الموظفين

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ۝٥٨﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا ۝٧٢﴾ [الأحزاب: ٧٢].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ، فَقَالَ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعۡمَلُواْ صَٰلِحًاۖ﴾، **وَقَالَ تَعَالَى:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ **الرَّجُلَ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ يَمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ يَقُولُ: يَا رَبِّ! يَا رَبِّ! وَمَطْعَمُهُ حَرَامٌ، وَمَشْرَبُهُ حَرَامٌ، وَمَلْبَسُهُ حَرَامٌ، وَغُذِّيَ بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لَهُ؟**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ، قال: «**مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ. وَمَنْ يَسَّرَ عَلَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ**»[(٢)].

وعنه رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ الرَّاشِي وَالْمُرْتَشِي**»[(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ١٠١٥). (٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٦٩٩).

(٣) أخرجه الترمذي (برقم ١٣٣٦)، وأحمد (برقم ٩٠٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٥٠٩٣).

وعن أبي حميد الساعدي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**هَدَايَا الْعُمَّالِ غُلُولٌ**»(١).

وقال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله: «ولذلك الآن رواتب الموظفين لا يستحقها الإنسان كاملة إلا إذا أدى العمل كاملًا؛ فإن أخل بشيء منه فإنه لا يستحق مقابل ما حصل من الخلل»(٢).

وقال الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله: «الأساس في اختيار كلِّ موظف أو عامل أن يكون قويًّا أمينا؛ لأنه بالقوة يستطيع القيام بالعمل المطلوب منه، وبالأمانة يُؤدّيه على وجه تبرأ به ذمَّته؛ لأنه بالأمانة يضعُ الأمورَ في مواضعها، وبالقوة يتمكَّن من أداء الواجب عليه.

وقد أخبر الله عن إحدى ابنتي صاحب مدين أنها قالت لأبيها لَمَّا سقى لهم موسى عليه الصلاة والسلام: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُ ۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾. وقال عن العفريت من الجن الذي أبدى استعداده لسليمان عليه السلام بالإتيان بعرش بلقيس: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل: ٣٩]، والمعنى: أنه جمع بين القدرة على حمله وإحضاره والمحافظة على محتوياته. وأخبر الله عن يوسف عليه الصلاة والسلام أنه قال للملك: ﴿ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ۖ إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: ٥٥].

وضد القوة والأمانة العجز والخيانة، وهي أساس في عدم التعيين في العمل ومسوغات حقيقية للعزل منه...»(٣).

وقال أيضًا: «كبار المسؤولين قدوة في الجدّ أو الكسل لصغارهم:

(١) رواه أحمد في «مسنده» (برقم ٢٣٦٠١)، والبيهقي في «الصغير» (برقم ٣٢٦٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٧٠٢١).

(٢) «القواعد والأصول الجامعة والفروق والتقاسيم البديعة النافعة» (ص١٧٥ ـ ١٧٦).

(٣) كيف يؤدي الموظف الأمانة (ص١٣ ـ ١٤).

إذا قام كبار الموظفين بواجباتهم على التمام والكمال، اقتدى بهم في ذلك الموظفون التابعون لهم، وكلٌّ رئيس في العمل سيُسأل عن نفسه ومرؤوسيه... وإذا حافظ المسؤولون الكبار على الأعمال في جميع أوقاتها صاروا قدوة حسنة لمن دونهم»[(١)].

فيه فوائد

الأولى: تفسير الأمانة في الإسلام.

الثانية: من أخلاق الموظفين مراعاة الأمانة في العمل.

الثالثة: أهمية مراعاة العدل مع أصحاب الحقوق والمراجعين.

الرابعة: المحاباة في المناصب والولايات والأموال خلاف الأمانة والعدل.

الخامسة: مساعدة المراجعين وتيسير معاملاتهم والترويح عنهم ولو بكلمة طيبة من الأخلاق الحسنة.

السادسة: حفظ أسرار العمل والستر على أخبار الناس ومعاملاتهم واجب شرعي.

السابعة: النهي عن التفريط في العمل.

الثامنة: تحري الكسب الحلال، والبعد عن كل كسب حرام.

التاسعة: أثر الكسب الطيب في قبول الأعمال.

العاشرة: حكم هدايا العمال.

الحادية عشرة: تحريم الرشوة.

الثانية عشرة: معرفة معايير اختيار الموظف في الإسلام.

الثالثة عشرة: أهمية قيام كل مسؤول ووال بعمله كما ينبغي.

الرابعة عشرة: معرفة حقوق الموظفين على المسؤولين.

الخامسة عشرة: اهتمام الإسلام بحقوق العُمّال والرعية وتنظيمها على أكمل وجه وأتمه.

---

(١) كيف يؤدي الموظف الأمانة (ص١٦ ـ ١٧).

٢١

باب الأخلاق مع الخدم

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٣٤﴾ [آل عمران: ١٣٤].

عن أنس رضي الله عنه قال: خدمت النبي ﷺ عشر سنين، **فما قال لي: «أف» قط، وما قال لي لشيء لم أفعله: «ألا كنت فعلته؟» ولا لشيء فعلته: «لم فعلته»**(١).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ **«أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ يَحْرُمُ عَلَى النَّارِ أَوْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟: عَلَى كُلِّ قَرِيبٍ هَيِّنٍ سَهْلٍ»**(٢).

وروى أبو داود والترمذي: أن رجلًا قال: يا رسول الله كم أعفو عن الخادم؟ قال: **«كُلُّ يَوْمٍ سَبْعِينَ مَرَّةً»**(٣).

وعن المعرور رضي الله عنه قال: لقيت أبا ذر بالربذة وعليه حلة وعلى غلامه حلة، فسألته عن ذلك، فقال: إني ساببت رجلًا فعيرته بأمه، فقال لي النبي ﷺ: **«يَا أَبَا ذَرٍّ، أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ! إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ، إِخْوَانُكُمْ خَوَلُكُمْ جَعَلَهُمُ اللهُ تَحْتَ أَيْدِيكُمْ، فَمَنْ كَانَ أَخُوهُ تَحْتَ يَدِهِ فَلْيُطْعِمْهُ مِمَّا يَأْكُلُ، وَلْيُلْبِسْهُ مِمَّا يَلْبِسُ، وَلَا تُكَلِّفُوهُمْ مَا يَغْلِبُهُمْ، فَإِنْ كَلَّفْتُمُوهُمْ**

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٧٦٨)، ومسلم (٢٣٠٩).

(٢) أخرجه الترمذي (برقم ٢٤٨٨)، وأحمد (برقم ٣٩٣٨).

(٣) أخرجه أبو داود (برقم ٥١٦٤)، والترمذي (برقم ١٩٤٩)، وصححه الألباني في الصحيحة (برقم ٤٨٨).

فَأَعِينُوهُمْ»(١).

وقال ﷺ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: ثَلَاثَةٌ أَنَا خَصْمُهُمْ يَوْمَ القِيَامَةِ: رَجُلٌ أَعْطَى بِي ثُمَّ غَدَرَ، وَرَجُلٌ بَاعَ حُرًّا فَأَكَلَ ثَمَنَهُ، وَرَجُلٌ اسْتَأْجَرَ أَجِيرًا فَاسْتَوْفَى مِنْهُ وَلَمْ يُعْطِ أَجْرَهُ**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ عَلَى أَهْلِهَا، حَتَّى يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَمَّاءِ مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**»(٣).

وعن المقدام رضي الله عنه، سمع النبي ﷺ يقول: «**مَا أَطْعَمْتَ نَفْسَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ، وَمَا أَطْعَمْتَ وَلَدَكَ وَزَوْجَتَكَ وَخَادِمَكَ فَهُوَ صَدَقَةٌ**»(٤).

وقال الشنقيطي رحمه الله ـ في قوله ﷺ: «**لِلْمَمْلُوكِ طَعَامُهُ، وَكِسْوَتُهُ بِالْمَعْرُوفِ، وَلَا يُكَلَّفُ مِنَ الْعَمَلِ إِلَّا مَا يُطِيقُ**»(٥) ـ: «فأوجب على مالكيهم الرفق والإحسان إليهم، وأن يطعموهم مما يطعمون، ويكسوهم مما يلبسون، ولا يكلفوهم من العمل ما لا يطيقون، وإن كلفوهم أعانوهم؛ كما هو معروف في السُّنَّة الواردة عنه ﷺ مع الإيصاء عليهم في القرآن»(٦).

فيه فوائد

الأولى: معرفة حقوق الخدم في الإسلام.

الثانية: حث الإسلام على الإحسان في معاملة الخدم.

الثالثة: أهمية التغافل عن زلات الخدم.

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٣٠)، ومسلم (برقم ١٦٦١).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ٢٢٢٧).
(٣) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٨٢).
(٤) أخرجه أحمد (برقم ١٧١٧٩)، والبخاري في «الأدب المفرد» (برقم ١٩٥)، وصحح إسناده الألباني في «الصحيحة» (برقم ٤٥٢).
(٥) أخرجه البخاري (برقم ١٦٦٢).
(٦) أضواء البيان (٣/ ٣٠).

الرابعة: حسن معاملة الرسول ﷺ للخدم.

الخامسة: أهمية احترام الخدم ومراعاة مشاعرهم وعدم احتقارهم.

السادسة: النهي عن كل صور الإساءة إلى الخدم.

السابعة: التحذير من بخس الخدم حقوقهم.

الثامنة: معرفة جانب من أخلاق السلف في معاملة الخدم.

التاسعة: اقتصاص الخدم حقوقهم يوم القيامة من مخدوميهم إذا كانوا ظلمة.

۞ ۞ ۞

٢٢

باب الأخلاق مع أهل البدع

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨].

عن أبي رقية تميم بن أوس الداري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ. قُلْنَا: لِمَنْ؟ قَالَ: للهِ، وَلِكِتَابِهِ، وَلِرَسُولِهِ، وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١).

وقال رسول الله ﷺ: «**أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْبُغْضُ فِي اللَّهِ**»(٢).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وأئمة السُّنَّة والجماعة وأهل العلم والإيمان؛ فيهم: العلم والعدل والرحمة؛ فيعلمون الحق الذي يكونون به موافقين للسنة سالمين من البدعة. ويعدلون على من خرج منها، ولو ظلمهم، كما قال تعالى: ﴿كُونُوا۟ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ ۚ ٱعْدِلُوا۟ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [المائدة: ٨]. ويرحمون الخلق فيريدون لهم الخير والهدى والعلم، لا يقصدون الشر لهم ابتداءً؛ بل إذا عاقبوهم وبينوا خطأهم وجهلهم وظلمهم، كان قصدهم بذلك بيان الحق ورحمة الخلق»(٣).

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٣).

(٢) أخرجه أحمد (برقم ١٨٥٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (برقم ١٣)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (٢/ ٦٩٩).

(٣) «الرد على البكري» (١/ ٣٧٧ ـ ٣٨٥).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «والكلام في الناس يجب أن يكون بعلمٍ وعدلٍ لا بجهلٍ وظلمٍ كحال أهل البدع»(١).

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: وهكذا الرد على أهل البدع، إن لم يقصد فيه بيان الحق وهدي الخلق ورحمتهم والإحسان إليهم، لم يكن عمله صالحًا...»(٢).

وقال ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ أَن صَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ أَن تَعْتَدُوا۟﴾ [المائدة: ٢]: «أي: لا يحملنَّكم بُغض أقوام على ترك العدل؛ فإنَّ العدلَ واجبٌ على كلِّ أحد في كلِّ حال. وقال بعض السلف: ما عاملتَ مَن عصى الله فيك بمثل أن تطيعَ الله فيه، والعدل به قامت السموات والأرض»(٣).

فيه فوائد

الأولى: تنظيم الأخلاق الإسلامية العلاقة مع المخالفين في العقيدة أو العمل.

الثانية: من أخلاق السلف مع المخالفين معاملتهم وفق العلم والعدل والرحمة.

الثالثة: الحرص على هدايتهم وذلك ببذل النصيحة لهم، والرد على أباطيلهم.

الرابعة: بغض البدع وأهلها في الله.

الخامسة: أهمية الإخلاص والصدق والعدل في الرد على المخالفين.

السادسة: الرد على أهل البدع بسوء قصد أو ظلم أو جهل ليس من أخلاق السلف.

---

(١) «منهاج السُّنَّة» (٤/ ٣٣٧).
(٢) «منهاج السُّنَّة» (٥/ ٢٣٩).
(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٢).

السابعة: حسن منهج أهل السُّنَّة والجماعة في التعامل مع المخالفين.

الثامنة: معرفة سوء أخلاق أهل البدع والأهواء في تعاملهم مع أهل السُّنَّة والجماعة وعموم المخالفين لهم.

التاسعة: منهج أهل السُّنَّة والجماعة في التعامل مع المخالفين مبني على الكتاب والسُّنَّة وفهم سلف الأمة، لا على غير ذلك كما هو سبيل الفِرَق والطوائف والمذاهب والجماعات.

❁ ❁ ❁

٢٣

باب الأخلاق مع الكفار

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۝٨﴾ [المائدة: ٨].

وقال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وقال ﷺ: «**مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ**»(١).

وذُبِحت لعبد الله بن عمرو رضي الله عنهما شاة في أهله، فلما جاء قال: أهديتم لجارنا اليهودي؟ أهديتم لجارنا اليهودي؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**مَا زَالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجَارِ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ**»(٢).

وعن سعيد بن المسيب رحمه الله أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه «اختصم إليه مسلمٌ ويهوديٌّ فرأى عمر أن الحق لليهودي فقضى له»(٣).

وفي خلافة أبي بكر رضي الله عنه، كتب خالد بن الوليد رضي الله عنه في عقد الذمة لأهل الحيرة بالعراق ـ وكانوا من النصارى ـ: «وجعلت لهم أيمّا

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٤٠٣١)، وأحمد (برقم ٥١١٤)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (برقم ٤٣٤٧).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ٦٠١٥)، ومسلم (برقم ٢٦٢٥).
(٣) أخرجه مالك (برقم ٢٦٦٣).

شيخ ضعف عن العمل، أو أصابته آفة من الآفات، أو كان غنيًّا فافتقر، وصار أهل دينه يتصدقون عليه، طرحت جزيته، وعيل من بيت مال المسلمين هو وعياله»(١).

قال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «... ومن ذلك: النهي في كثيرٍ من الآيات عن موالاة الكافرين وعن مودتهم والاتصال بهم، وفي بعضها: الأمر بالإحسان إلى من له حق على الإنسان منهم ومصاحبته بالمعروف كالوالدين ونحوهم؛ فهذه الآيات العامات من الطرفين قد وضحها الله غاية التوضيح في قوله: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الممتحنة: ٨ ـ ٩]؛ فالنهي واقع على التولي والمحبة لأجل الدين، والأمر بالإحسان والبر واقع على الإحسان لأجل القرابة أو لأجل الإنسانية على وجه لا يخل بدين الإنسان»(٢).

وقال الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويجب على المسلم أن يعامل الكفار إذا لم يكونوا حربًا للمسلمين معاملة إسلامية: بأداء الأمانة، وعدم الغش والخيانة والكذب. وإذا جرى بينه وبينهم نزاع جادلهم بالتي هي أحسن وأنصفهم في الخصومة»(٣).

وقال الشيخ صالح الفوزان في شرحه على نواقض الإسلام: «... وبعض الناس يخلط بين ما يجوز وما لا يجوز، فمنهم من يقول: (تجوز مودة الكفار؛ لأن الله أباح لنا التعامل معهم والتزوج من الكتابيات،

---

(١) «الخراج» لأبي يوسف (ص١٥٧ ـ ١٥٨).
(٢) «القواعد الحسان لتفسير القرآن» (ص٣٨).
(٣) «مجموع فتاوى» ابن باز (٦/ ٣٩٣).

تجوز محبتهم وعدم التفرقة بيننا وبينهم)! فهذا مفرط. وفي مقابله: المفرط الغالي الذي يقول: (لا يجوز الاتصال بالكفار أصلًا لا بتجارة ولا بسفارة ولا بمكافأة بالإحسان؛ لأن هذا من الموالاة). **فنقول له**: هذا ليس من الموالاة؛ فيجب الفرق بين هذا وهذا، بين الغالي والجافي، فالدين وسط وليس فيه غلو ولا تفريط»[(١)].

فيه فوائد

الأولى: تنظيم الإسلام العلاقة مع عموم الكفار.

الثانية: من الأخلاق مع الكفار معاملتهم وفق العدل والرحمة.

الثالثة: الحرص على هدايتهم وذلك ببيان الحقّ لهم والرد على أباطيلهم.

الرابعة: مجانبتهم وبغضهم في الله.

الخامسة: مراعاة حقوقهم التي أوجبها الإسلام؛ كصلة الرحم وحسن الجوار ومراعاة العهود والمواثيق ونحوها.

السادسة: عدم التشبه بهم في شيء من خصائصهم.

السابعة: عدم ظلمهم والتعدي على حقوقهم.

الثامنة: معرفة الجمع بين النصوص الآمرة ببغض الكفار ومجانبتهم، والنصوص الآمرة بالإحسان إليهم وصلتهم.

التاسعة: وسطية منهج الإسلام في التعامل مع الكفار دون إفراط أو تفريط.

العاشرة: الحذر من الانحراف عن منهج الإسلام في التعامل مع الكفار.

الحادية عشرة: معرفة حقوق الكفار في الإسلام.

---

(١) «دروس في شرح نواقض الإسلام» (ص٩٥).

٢٤

باب الأخلاق في الجهاد

قال تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: ١٩٣].

وقال تعالى: ﴿وَإِنِ ٱسْتَنصَرُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ فَعَلَيْكُمُ ٱلنَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍۭ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾﴾ [الأنفال: ٧٢].

وعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرًا على جيش أو سريَّة أوصاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرًا، ثم قال: «**اغْزُوا بِاسْمِ اللهِ فِي سَبِيلِ اللهِ، قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، اغْزُوا وَلَا تَغُلُّوا، وَلَا تَغْدِرُوا، وَلَا تَمْثُلُوا، وَلَا تَقْتُلُوا وَلِيدًا، وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلَاثِ خِصَالٍ ـ أَوْ خِلَالٍ ـ، فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ**»(١).

وعن معاذ رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**الْغَزْوُ غَزْوَانِ: فَأَمَّا مَنْ غَزَا ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ تَعَالَى، وأَطَاعَ الإِمَامَ، وَأَنْفَقَ الْكَرِيمَةَ، وَيَاسَرَ الشَّرِيكَ، وَاجْتَنَبَ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ؛ فَإِنَّ نَوْمَهُ وَنَبْهَهُ أَجْرٌ كُلُّهُ. وَأَمَّا مَنْ غَزَا فَخْرًا، وَرِيَاءً، وَسُمْعَةً، وَعَصَى الْإِمَامَ، وَأَفْسَدَ فِي الْأَرْضِ؛ فَإِنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ بِالْكَفَافِ**»(٢).

وسئل النبي ﷺ: يا رسول الله الرجل يقاتل شجاعةً، ويقاتل حميَّةً، ويقاتل رياءً، فأي ذلك في سبيل الله؟ فقال: «**مَنْ قَاتَلَ لِتَكُونَ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٧٣١).

(٢) أخرجه أبو داود (برقم ٢٥١٥)، والنسائي (برقم ٣١٨٨)، وأحمد (برقم ٢٢٠٤٢)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (برقم ٣٨٤٦).

كَلِمَةُ اللهِ هِيَ الْعُلْيَا فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللهِ»[١].

وعن عمرو بن الحمِق رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا اطْمَأَنَّ الرَّجُلُ إِلَى الرَّجُلِ ثُمَّ قَتَلَهُ بَعْدَمَا اطْمَأَنَّ إِلَيْهِ نُصِبَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِوَاءُ غَدْرٍ**»[٢].

وعنه رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**مَنِ ائْتَمَنَهُ رَجُلٌ عَلَى دَمِهِ فَقَتَلَهُ فَأَنَا مِنْهُ بَرِيءٌ، وَإِنْ كَانَ الْمَقْتُولُ كَافِرًا**»[٣].

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «من عبد الله بغير علم كان ما يفسد أكثر مما يصلح»[٤].

وقال أبو داود رضي الله عنه: «قلت لأحمد: الرجل يحمل على العلج، فيصيح به بالرومية: قف أو ألق سلاحك؟ قال: هذا أمان. قلت: فإن العلج علم أنه ليس له منه مَنْجَا؟ فقال: هذا أمانٌ. قلت: فإن قال له: ذهبتَ، أو نحو ذلك، يريد يرعبه؟ قال: كلُّ شيء يرى العلج أنه أمانٌ فهو أمان»[٥].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «والجهاد مقصوده أن تكون كلمة الله هي العليا، وأن يكون الدين كله لله، فمقصوده إقامة دين الله...»[٦].

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في شرح باب «إثم من قتل ذميًّا بغير جُرم»: «كذا ترجم بالذمي، وأورد الخبر في المعاهد، وترجم في الجزية

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ١٢٣)، ومسلم (برقم ١٩٠٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (برقم ٢٦٨٨)، وأحمد (برقم ٢١٩٤٦)، والنسائي في «الكبرى» (برقم ٨٦٨٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣٥٧).

(٣) أخرجه ابن حبان (برقم ٥٩٨٢)، والطبراني في «الأوسط» (برقم ٤٢٥٢)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (برقم ٤٤٠).

(٤) أخرجه الدارمي (برقم ٣١٣)، والبيهقي في «الشعب» (برقم ١٦٨٠).

(٥) «مسائل الإمام أحمد بن حنبل» لأبي داوود (برقم ٣٣٣ ـ ٣٣٤).

(٦) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ١٧٠).

بلفظ «من قتل معاهدًا» كما هو ظاهر الخبر، والمراد به: من له عهد مع المسلمين سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم»(١).

وقال الشيخ عبد الرحمٰن السعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسيره: «ثم ذكر تعالى المقصود من القتال في سبيله وأنه ليس المقصود به سفك دماء الكفار وأخذ أموالهم، ولكن المقصود به أن يكون الدين لله تعالى فيظهر دين الله تعالى، على سائر الأديان، ويدفع كل ما يعارضه من الشرك وغيره، وهو المراد بالفتنة، فإذا حصل هذا المقصود فلا قتل ولا قتال»(٢).

وقال الشيخ الفوزان ـ حفظه الله ـ في شرحه على نواقض الإسلام: «ويجوز أن نعقد معهم المعاهدات إذا كان في ذلك مصلحة للمسلمين، فقد صالح النبي ﷺ اليهود في المدينة، وصالح المشركين في الحديبية، فإذا كان للمسلمين مصلحة أو أن المسلمين لا يستطيعون قتال الكفار فتجوز معاهدتهم ومهادنتهم ومصالحتهم لما في ذلك من مصالح المسلمين»(٣).

فيه فوائد

الأولى: الجهاد شُرِع لإعلاء كلمة الله، وتطهير أرض الله من الشرك.

الثانية: مكانة التوحيد في الإسلام.

الثالثة: من أخلاق المسلمين في الجهاد الوفاء بالعقود والمواثيق وعدم نقضها.

الرابعة: حث الإسلام على حقن الدماء قدر المستطاع.

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١٢/ ٢٥٩).
(٢) «تفسير السعدي» (ص٨٩).
(٣) «دروس في شرح نواقض الإسلام» (ص٩٣).

الخامسة: معرفة مفهوم القتال في سبيل الله.

السادسة: أهمية الإخلاص والاتباع في أحكام الجهاد.

السابعة: أهمية العلم في الجهاد.

الثامنة: الجهاد لا يكون إلا بعد الدعوة والبلاغ.

التاسعة: لا جهاد إلا بإمام.

العاشرة: الجهاد في الإسلام هو للمحاربين لدين الإسلام.

الحادية عشرة: النهي عن الغدر وقتل من لا يستحق القتل.

الثانية عشرة: النهي عن التمثيل وكل أنواع الفساد في الجهاد.

الثالثة عشرة: جواز معاهدة الكفار ومهادنتهم ومصالحتهم.

الرابعة عشرة: معرفة ضابط أمان الكافر.

الخامسة عشرة: إثم من قتل معاهدًا.

السادسة عشرة: التحذير من القتال تحت راية عِمّية.

السابعة عشرة: معرفة صور الانحراف عن الجهاد الشرعي.

الثامنة عشرة: معرفة سوء أخلاق الكفار وأهل البدع في الجهاد.

التاسعة عشرة: حسن منهج الإسلام في تنظيم أحكام الجهاد.

۞ ۞ ۞

٢٥

باب الأخلاق مع الحيوانات

قال تعالى: ﴿وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ١٩٥﴾ [البقرة: ١٩٥].

عن أبي يعلى شداد بن أوس رضي الله عنه: عن رسول الله ﷺ قال: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؛ فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا القِتْلَةَ، وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذِّبْحَةَ، وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ، وَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**بَيْنَا رَجُلٌ يَمْشِي، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ العَطَشُ، فَنَزَلَ بِئْرًا، فَشَرِبَ مِنْهَا، ثُمَّ خَرَجَ؛ فَإِذَا هُوَ بِكَلْبٍ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ العَطَشِ، فَقَالَ: لَقَدْ بَلَغَ هَذَا مِثْلُ الَّذِي بَلَغَ بِي؛ فَمَلأَ خُفَّهُ، ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ، ثُمَّ رَقِيَ، فَسَقَى الكَلْبَ، فَشَكَرَ اللهُ لَهُ، فَغَفَرَ لَهُ**»، قالوا: يا رسول الله، وإن لنا في البهائم أجرًا؟ قال: «**فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**بَيْنَمَا كَلْبٌ يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ، كَادَ يَقْتُلُهُ العَطَشُ؛ إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَنَزَعَتْ مُوقَهَا فَسَقَتْهُ؛ فَغُفِرَ لَهَا بِهِ**»(٣).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**عُذِّبَتِ امْرَأَةٌ فِي هِرَّةٍ حَبَسَتْهَا حَتَّى مَاتَتْ جُوعًا، فَدَخَلَتْ فِيهَا النَّارَ**» قال: فقال ـ والله أعلم ـ: «**لَا أَنْتِ أَطْعَمْتِهَا وَلَا سَقَيْتِهَا حِينَ حَبَسْتِيهَا، وَلَا أَنْتِ أَرْسَلْتِهَا،**

(١) أخرجه مسلم (برقم ١٩٥٥).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ٢٣٦٣)، ومسلم (برقم ٢٢٤٤).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٣٤٦٧)، ومسلم (برقم ٢٢٤٥).

فَأَكَلَتْ مِنْ خَشَاشِ الأَرْضِ»[١].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النبي ﷺ قَالَ: «**لَا تَتَّخِذُوا شَيْئًا فِيهِ الرُّوحُ غَرَضًا**»[٢].

وعن جابر رضي الله عنه قال: مرّ علي النبي ﷺ بدابة قد وُسِمَ يُدَخِّن منخراه! قال النبي ﷺ: «**لَعَنَ اللهُ مَنْ فَعَلَ هَذَا، لَا يَسِمَنَّ أَحَدٌ الْوَجْهَ، وَلَا يَضْرِبَنَّهُ**»[٣].

وضرب عمر رضي الله عنه جَمّالًا، وقال له: «لِمَ تحمل على بعيرك ما لا يطيق»[٤].

وقال مرعي الحنبلي رحمه الله: «وعلى مالك البهيمة إطعامها وسقيها؛ فإن امتنع: أجبر؛ فإن أبى أو عجز: أجبر على بيعها أو إجارتها أو ذبحها إن كانت تؤكل. ويحرم لعنها وتحميلها مشقًّا، وحلبها ما يضر ولدها، وضربها في وجهها، ووسمها فيه، وذبحها إن كانت لا تؤكل»[٥].

فيه فوائد

الأولى: عناية الإسلام بحقوق الحيوان.

الثانية: توجيه الإسلام إلى الإحسان إلى الحيوانات وحرمة الإساءة إليها.

الثالثة: فضل الصدقة والإحسان إلى الحيوانات في دين الإسلام.

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٣٦٥)، ومسلم (برقم ٢٢٤٢).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ١٩٥٦).
(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم ١٧٥)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (ص٨٦).
(٤) أخرجه ابن سعد في «الطبقات» (٧/ ١٢٧).
(٥) «دليل الطالب لنيل المطالب» (ص٢٩٣).

الرابعة: النهي عن كل صور الإساءة إلى الحيوانات كالوسم في الوجه وغيره.

الخامسة: أحكام الإسلام في التعامل مع الحيوانات أحسن الأحكام وأعدلها وأرحمها.

السادسة: كمال دين الإسلام وحسن تشريعاته.

۞ ۞ ۞

٢٦

باب الأخلاق مع البيئة

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: ٥٦].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يَغْرِسُ غَرْسًا، أَوْ يَزْرَعُ زَرْعًا، فَيَأْكُلُ مِنْهُ طَيْرٌ أَوْ إِنْسَانٌ أَوْ بَهِيمَةٌ، إِلَّا كَانَ لَهُ بِهِ صَدَقَةٌ»**(١).

وقال رسول الله ﷺ: **«إِذَا قَامَتِ السَّاعَةُ وَفِي يَدِ أَحَدِكُمْ فَسِيلَةٌ فَلْيَغْرِسْهَا»**(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ - أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ - شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ، وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ»**(٣).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ»**(٤).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«اتَّقُوا الْمَلَاعِنَ**

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٣٢٠)، ومسلم (برقم ١٥٥٣).

(٢) أخرجه أحمد (برقم ١٢٩٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٤٧٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ١٤٢٤).

(٣) أخرجه البخاري (برقم ٩)، ومسلم (برقم ٣٥).

(٤) أخرجه ابن ماجه (برقم ٢٣٤٠)، وأحمد (برقم ٢٨٦٥)، وقال النووي: «حديث حسن»، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٥١٧).

الثَّلَاثَ: الْبَرَازَ فِي الْمَوَارِدِ وَقَارِعَةِ الطَّرِيقِ وَالظِّلِّ»[١].

وعن يحيى بن سعيد: أن أبا بكر رضي الله عنه بعث جيوشًا إلى الشام؛ فخرج يمشي مع يزيد بن أبي سفيان، وكان يزيد أمير ربع من تلك الأرباع، فقال: إني موصيك بعشر خلال: «لا تقتل امرأة، ولا صبيًّا، ولا كبيرًا هرمًا، ولا تقطع شجرًا مثمرًا، ولا تخرب عامرًا، ولا تَعْقِرَنَّ شاة، ولا بعيرًا إلّا لِمَأْكَلَةٍ، ولا تَعْقِرَنَّ نَخْلًا ولا تُحَرِّقْهُ وَلَا تَغْلُلْ، وَلَا تَجْبُنْ»[٢].

فيه فوائد

الأولى: معرفة الآداب الإسلامية في التعامل مع البيئة والمحافظة عليها.

الثانية: النهي عن كل أنواع الضّرَر والفساد في الأرض.

الثالثة: فضل الغرس في الأرض.

الرابعة: فضل إماطة الأذى عن الطرقات.

الخامسة: النهي عن قضاء الحاجة في أماكن مجامع الناس.

السادسة: أهمية نظافة الطرق في الإسلام.

السابعة: النهي عن قطع الشجر المثمر، وتحريق النخل.

الثامنة: النهي عن تخريب العمران.

❁ ❁ ❁

---

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٢٦)، وابن ماجه (برقم ٣٢٨)، وحسنه الألباني في «الإرواء» (برقم ٦٢).

(٢) أخرجه مالك في «الموطأ» (برقم ١٦٢٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (برقم ٣٣١٢١).

٢٧

باب لا ينفع علم إلا بعمل

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصف: ٢، ٣].

عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ: عَنْ عُمُرِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»[١].

وعن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَثَلُ الْعَالِمِ الَّذِي يُعَلِّمُ النَّاسَ الْخَيْرَ وَيَنْسَى نَفْسَهُ كَمَثَلِ السِّرَاجِ يُضِيءُ لِلنَّاسِ وَيَحْرِقُ نَفْسَهُ**»[٢].

وقال الحسن البصري رحمه الله: «كان الرجل يطلب العلم فلا يلبث أن يرى ذلك في تخشعه وهديه ولسانه ويده»[٣].

وقال أبو قلابة رضي الله عنه: «إذا أَحْدث الله لك علمًا فأحدث له عبادة، ولا يكن همّك أن تحدِّث به»[٤].

---

(١) أخرجه الترمذي (برقم ٢٤١٧)، والدارمي (برقم ٥٥٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٧٢٩٩).

(٢) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» (برقم ١٦٨١)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٥٨٣١).

(٣) أخرجه الدارمي (برقم ٣٩٨)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (برقم ١٦٧٠).

(٤) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (برقم ١١٣٤)، والبيهقي في المدخل إلى «السنن الكبرى» (برقم ٥٢٧).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولهذا كان من أحسن الدعاء قوله: «اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلْنِي عِبْرَةً لِغَيْرِي وَلَا تَجْعَلْ أَحَدًا أَسْعَدَ بِمَا عَلَّمْتَنِي مِنِّي»[(١)].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أعظم ما يتعيّن على أهل العلم الاتصاف بما يدعو إليه العلمُ من الأخلاق والأعمال والتعليم، فهم أحق الناس بالاتصاف بالأخلاق الجميلة، والتخلي عن كلِّ خلقٍ رذيل، وهم أولى الناس بالقيام بالواجبات الظاهرة والباطنة، وترك المحرمات لِما تميزوا به من العلم والمعارف التي لم تحصل لغيرهم، ولأنهم قدوة للناس، والناس مجبولون على الاقتداء بعلمائهم شاؤوا أم أبوا في كثيرٍ من أمورهم، ولأنهم يتطرق إليهم من الاعتراض والقوادح عندما يتركون ما يدعو إليه العلم أعظم مما يتطرق على غيرهم.

وأيضًا كان السلف يستعينون بالعمل على العلم، فإن عمل به استقر ودام ونما وكثرت بركته، وإن ترك العمل به ذهبت أو عُدمت بركته، فروح العلم وحياته وقوامه إنما هو القيام به عملًا وتخلقًا وتعليمًا ونصحًا، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم»[(٢)].

يَا أَيُّهَا الرَّجُلُ الْمُعَلِّمُ غَيْرَهُ ... هَلَّا لِنَفْسِكَ كَانَ ذَا التَّعْلِيمُ
تَصِفُ الدَّوَاءَ لِذِي السَّقَامِ وَذِي الضَّنَى ... كَيْمَا يَصِحَّ بِهِ وَأَنْتَ سَقِيمُ
وَأَرَاكَ تُلقِّحُ بِالرَّشَادِ عُقُولَنَا ... أَبَدًا وَأَنْتَ مِنَ الرَّشَادِ عَقِيمُ
لَا تَنْهَ عَنْ خُلُقٍ وَتَأْتِيَ مِثْلَهُ ... عَارٌ عَلَيْكَ إِذَا فَعَلْتَ عَظِيمُ
ابْدَأْ بِنَفْسِكَ فَانْهَهَا عَنْ غَيِّهَا ... فَإِذَا انْتَهَتْ عَنْهُ فَأَنْتَ حَكِيمُ

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٤/ ٣٠٧). وهذه دعوة مأثورة عن مطرف بن عبد الله بن الشخير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رواها عنه الإمام أحمد في كتابه «الزهد».
(٢) «آداب المعلمين والمتعلمين» (ص٢٩).

فَهُنَاكَ يُقْبَلُ مَا تَقُولُ وَيُقْتَدَى   بِالعِلْمِ مِنْكَ وَيَنْفَعُ التَّعْلِيمُ[(١)]

فيه فوائد

الأولى: أهمية العمل بالعلم.

الثانية: ذمُّ الشرع لمن لم يعمل بعلمه.

الثالثة: حرص السلف على انتفاعهم بالعلم.

الرابعة: أهمية الأخلاق للدعاة وطلاب العلم.

الخامسة: معرفة بعض أسباب سوء الخلق لدى بعض الدعاة وطلاب العلم.

السادسة: العلم حجة لك أو عليك.

السابعة: الحذر من الأسباب التي تمنع من الانتفاع بالعلم وتُذهب زينته.

❁ ❁ ❁

(١) هذه الأبيات تنسب لأبي الأسود الدؤلي، وتنسب لغيره. انظر: «شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب» (١/ ٢٦٤).

الفصل الثالث

مكارم الأخلاق وأضدادها
في ضوء الكتاب والسُّنَّة

١

باب ما جاء في خلق الإخلاص، وذمِّ الرياء والتسميع

قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾ [البينة: ٥].

وقال تعالى: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلۡمَوۡتَ وَٱلۡحَيَوٰةَ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡغَفُورُ ٢﴾ [الملك: ٢].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَا نَوَى...**»(١).

وقال النبي ﷺ فيما يرويه عن ربه تعالى: «**أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ مَعِي فِيهِ غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**مَنْ سَمَّعَ سَمَّعَ اللهُ بِهِ، وَمَنْ يُرَائِي يُرَائِي اللهُ بِهِ**»(٣).

قال الحسن البصري رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولقد أدركنا أقوامًا ما كان على ظهر الأرض من عمل يقدرون على أن يعملوه في سر فيكون علانية أبدًا»(٤).

وقال ميمون رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن أعمالكم قليلة فأخلصوا هذا القليل»(٥).

وقال ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: «رُبّ عملٍ صغير تكثره النية، ورُبَّ عمل كثير تصغره النية»(٦).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللَّهُ - في قوله تعالى: ﴿لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ١)، ومسلم (برقم ١٦٠).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٩٨٥).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦٤٩٩)، ومسلم (برقم ٢٩٨٦).
(٤) «الزهد» لابن المبارك (١/ ٤٥). (٥) «حلية الأولياء» (٤/ ٩٢).
(٦) «سير أعلام النبلاء» (٨/ ٤٠٠).

عَمَلًاۚ﴾ ـ: «هو أخلَصُهُ وأصوَبُهُ. قالوا: يا أبا علي: ما أخلصه وأصوبه؟ فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يُقبل، وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا لم يُقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص أن يكون لله، والصواب أن يكون على السُّنَّة؛ ثم قرأ قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾﴾ [الكهف: ١١٠]»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «لَا يجْتَمع الْإِخْلَاص فِي الْقلب ومحبة الْمَدْح وَالثنَاء والطمع فِيمَا عِنْد النَّاس إِلَّا كَمَا يجْتَمع المَاء وَالنَّار، والضب والحوت، فَإِذا حدثتك نَفسك بِطَلَب الْإِخْلَاص، فَأقبل على الطمع أَولًا فاذبحه بسكين الْيَأْس، وَأَقْبل على الْمَدْح وَالثنَاء فازهد فيهمَا زهد عشّاق الدُّنْيَا فِي الْآخِرَة، فَإِذا استقام لَك ذبح الطمع والزهد فِي الثَّنَاء والمدح سهل عَلَيْك الْإِخْلَاص»[٢].

وقال أيضًا: «الإخلاص هو تجريد القصد طاعة للمعبود»[٣].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الإخلاص في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة الإخلاص وثمراته.

الثالثة: معرفة شروط قبول العبادة.

الرابعة: معنى حسن العمل في آية سورة الملك.

الخامسة: الاختبار والابتلاء وقع في هذه الأمة بحسن العمل لا بكثرته.

السادسة: الجزاء من جنس العمل.

السابعة: معرفة أحوال السلف مع الإخلاص.

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ٨٨ ـ ٨٩). (٢) «الفوائد» (ص١٤٩).
(٣) «أعلام الموقعين» (٢/ ١٢٥).

الثامنة: أثر النية في مضاعفة ثواب العمل.

التاسعة: أهمية تطهير القلوب من أمراضها.

العاشرة: ذمّ الرياء والتسميع وكل ما يقدح في الإخلاص.

الحادية عشرة: ذمّ العُجْبِ وحب المدح والثناء.

الثانية عشرة: معرفة عواقب الشرك الوخيمة.

الثالثة عشرة: العجب والرياء وحبّ المدح والثناء من الأخلاق السيئة.

الرابعة عشرة: ذمّ التكسب بالعلم بحيث يتعلم للدنيا أو يُخضع النصوص والفتوى لها ويُهون من تعظيم شعائر الدين ومقاصده.

❁ ❁ ❁

٢

باب ما جاء في خلق الصِّدق، وذمِّ الكذب

قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [التوبة: ١١٩].

وقال تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَـٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّـٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّـٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١١٩﴾﴾ [المائدة: ١١٩].

عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«إِنَّ الصِّدْقَ يَهْدِي إِلَى الْبِرِّ، وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِي إِلَى الْجَنَّةِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا. وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِي إِلَى الْفُجُورِ، وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِي إِلَى النَّارِ، وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا»**(١).

وعنه رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«أَرْبَعٌ إِذَا كُنَّ فِيكَ فَلَا عَلَيْكَ مَا فَاتَكَ فِي الدُّنْيَا: حِفْظُ أَمَانَةٍ، وَصِدْقُ حَدِيثٍ، وَحُسْنُ خَلِيقَةٍ، وَعِفَّةٌ فِي طُعْمَةٍ»**(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»**(٣).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٦٠٩٤)، ومسلم (برقم ٢٦٠٧).

(٢) أخرجه أحمد (برقم ٦٦٥٢)، والحاكم في «المستدرك» (برقم ٧٨٧٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ٧٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (برقم ٣٤)، ومسلم (برقم ٥٨).

قال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ما تزيّن الناس بشيء، أفضل من الصدق، والله عَزَّ وَجَلَّ يسأل الصادقين عن صدقهم - منهم عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ -، كيف بالكذابين المساكين؟ ثم بكى وقال أتدرون في أي يوم يسأل الله عَزَّ وَجَلَّ عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؟ يوم يجمع الله الأولين والآخرين - آدم فمن دونه -، ثم قال: وكم من قبيح تكشفه القيامة غدًا»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**والصدق ثلاثة أقسام**: الصدق في الأقوال، والصدق في الأعمال، والصدق في الأحوال، فعلى العبد السعي في تحقيقها.

فالصدق في الأقوال: استواء اللسان على الأقوال، كاستواء السنبلة على ساقها.

والصدق في الأعمال: استواء الأفعال على الأمر والمتابعة، كاستواء الرأس على الجسد.

والصدق في الأحوال: استواء أعمال القلب والجوارح على الإخلاص، واستفراغ الوسع، وبَذْلك الطاقة.

فبذلك يكون العبد من الذين جاءوا بالصدق.

وبحسب كمال هذه الأمور فيه وقيامها به، تكون صديقيته»[٢].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الصدق في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة الصدق وأنواعه.

الثالثة: معرفة فضل الصدق وثمراته.

الرابعة: الحذر من صفات المنافقين.

---

(١) «حلية الأولياء» (٨/ ١٠٨).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٥٨).

الخامسة: ذمّ الكذب في الأقوال والأعمال.

السادسة: الأخلاق السيئة يولّد بعضها بعضا.

السابعة: عواقب الكذب.

الثامنة: العبرة بالحقائق لا بالدعاوى.

التاسعة: الكذب بجميع أنواعه من الأخلاق السيئة.

۞ ۞ ۞

٣

باب ما جاء في خلق العدل، وذمِّ الظلم

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الْمُقْسِطِينَ عِنْدَ اللهِ عَلَى مَنَابِرَ مِنْ نُورٍ عَنْ يَمِينِ الرَّحْمٰنِ ـ وَكِلْتَا يَدَيْهِ يَمِينٌ ـ؛ الَّذِينَ يَعْدِلُونَ فِي حُكْمِهِمْ وَأَهْلِيهِمْ وَمَا وَلُوا**»(١).

وقال تعالى في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا...**»(٢).

وقال النبي ﷺ: «**الظُّلْمُ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يَتْرُكُهُ اللهُ، وَظُلْمٌ يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ. فَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُغْفَرُ: فَالشِّرْكُ، لَا يَغْفِرُهُ اللهُ. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي يُغْفَرُ: فَظُلْمُ الْعَبْدِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ رَبِّهِ. وَأَمَّا الظُّلْمُ الَّذِي لَا يُتْرَكُ: فَظُلْمُ الْعِبَادِ، فَيَقْتَصُّ اللهُ لِبَعْضِهِمْ مِنْ بَعْضٍ**»(٣).

قال ابن حزم رحمه الله: «أفضل نعم الله تعالى على المرء أن يطبعه على العدل وحبّه، وعلى الحقّ وإيثاره»(٤).

وقال ابن سعدي رحمه الله: «فالعدل الذي أمر الله به: يشمل العدل في حقه وفي حق عباده؛ فالعدل في ذلك أداء الحقوق كاملة موفرة، بأن

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ١٨٢٧). (٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٧٧).

(٣) أخرجه أبو داود الطيالسي (برقم ٢٢٢٣) وصححه الألباني في «الصحيحة» (برقم ١٩٢٧).

(٤) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» (ص٣٨).

يؤدي العبد ما أوجب الله عليه من الحقوق المالية والبدنية والمركبة منهما في حقه وحق عباده، ويعامل الخلق بالعدل التام، فيؤدي كل وال ما عليه تحت ولايته سواء في ذلك ولاية الإمامة الكبرى، وولاية القضاء ونواب الخليفة، ونواب القاضي.

والعدل هو ما فرضه الله عليهم في كتابه، وعلى لسان رسوله، وأمرهم بسلوكه، ومن العدل في المعاملات أن تعاملهم في عقود البيع والشراء وسائر المعاوضات، بإيفاء جميع ما عليك فلا تبخس لهم حقًّا ولا تغشهم ولا تخدعهم وتظلمهم.

فالعدل واجب، والإحسان فضيلة مستحب»(١).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق العدل في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة العدل وأنواعه.

الثالثة: عظم ثواب أهل العدل.

الرابعة: معرفة أنواع الظلم وحكمها.

الخامسة: الحذر من الشرك لأنه أعظم أنواع الظلم.

السادسة: عِظم حقوق العباد.

السابعة: معرفة معنى ظلم النفس.

الثامنة: الظلم بجميع أنواعه من الأخلاق السيئة.

التاسعة: الله عدل منزه عن الظلم.

❁ ❁ ❁

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٤٧).

٤

باب ما جاء في خُلق الرحمة، وذمِّ القسَّوة والغِلْظَة

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**الرَّاحِمُونَ يَرْحَمُهُمُ الرَّحْمٰنُ، ارْحَمُوا مَنْ فِي الأَرْضِ يَرْحَمْكُمْ مَنْ فِي السَّمَاءِ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل: يا رسول الله! ادعُ على المشركين، قال: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّانًا وَإِنَّمَا بُعِثْتُ رَحْمَةً**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت أبا القاسم ﷺ يقول: «**لَا تُنْزَعُ الرَّحْمَةُ إِلَّا مِنْ شَقِيٍّ**»(٣).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «فَإِنَّ الرَّأْفَةَ وَالرَّحْمَةَ يُحِبُّهُمَا اللهُ مَا لَمْ تَكُنْ مُضَيِّعَةً لِدِينِ اللهِ»(٤).

وقال ابن القيم رحمه الله: «إن الرحمة صفة تقتضي إيصال المنافع والمصالح إلى العبد وإن كرهتها نفسه وشقّتْ عليها، فهذه هي الرحمة الحقيقية، فأرحم الناس بك مَن شقّ عليك في إيصال مصالحك ودفع المضار عنك؛ فمن رحمة الأب بولده: أن يكرهه على التأدب بالعلم والعمل، ويشق عليه في ذلك بالضرب وغيره، ويمنعه شهواته التي تعود

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٤٩٤١)، والترمذي (برقم ١٩٢٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣٥٢٢).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٩٩).
(٣) أخرجه أبو داود (برقم ٤٩٤٢)، والترمذي (برقم ١٩٢٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٧٤٦٧).
(٤) «مجموع الفتاوى» (١٥/ ٢٩١).

بضرره، ومتى أهمل ذلك من ولده كان لقلة رحمته به، وإن ظن أنه يرحمه ويرفهه ويريحه، فهذه رحمة مقرونة بجهل كرحمة الأم»[١].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والرحمة التي يتصف بها العبد نوعان:**

النوع الأول: رحمة غريزية، قد جبل الله بعض العباد عليها، وجعل في قلوبهم الرأفة والرحمة والحنان على الخلق، ففعلوا بمقتضى هذه الرحمة جميع ما يقدرون عليه من نفعهم، بحسب استطاعتهم. فهم محمودون مثابون على ما قاموا به، معذورون على ما عجزوا عنه، وربما كتب الله لهم بنياتهم الصادقة ما عجزت عنه قواهم.

والنوع الثاني: رحمة يكتسبها العبد بسلوكه كل طريق ووسيلة، تجعل قلبه على هذا الوصف، فيعلم العبد أن هذا الوصف من أجلِّ مكارم الأخلاق وأكملها، فيجاهد نفسه على الاتصاف به، ويعلم ما رتب الله عليه من الثواب، وما في فواته من حرمان الثواب؛ فيرغب في فضل ربه، ويسعى بالسبب الذي ينال به ذلك. ويعلم أن الجزاء من جنس العمل. ويعلم أن الأخوة الدينية والمحبة الإيمانية، قد عقدها الله وربطها بين المؤمنين، وأمرهم أن يكونوا إخوانا متحابين، وأن ينبذوا كل ما ينافي ذلك من البغضاء، والعداوات، والتدابر»[٢].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وعلامة الرحمة الموجودة في قلب العبد، أن يكون محبًّا لوصول الخير لكافة الخلق عمومًا، وللمؤمنين خصوصًا، كارها حصول الشر والضرر عليهم. فبقدر هذه المحبة والكراهة تكون رحمته»[٣].

---

(١) «إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان» (٢/ ١٧٤).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار» (ص١٨٨ ـ ١٨٩).

(٣) المرجع السابق (ص١٨٩).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خُلق الرحمة في الإسلام.

الثانية: معرفة مفهوم خُلق الرحمة في الإسلام.

الثالثة: فضل خُلق الرحمة.

الرابعة: معرفة ضابط الرحمة المحمودة.

الخامسة: علامة الرحمة في قلب العبد.

السادسة: أنواع الرحمة من حيث الغريزة والاكتساب.

السابعة: معرفة الأسباب التي تنال بها رحمة الله.

الثامنة: النبي ﷺ بُعِث رحمة للعالمين.

التاسعة: الوصية النبوية برحمة مَنْ في الأرض.

العاشرة: معرفة جانب من رحمة النبي ﷺ بالمشركين.

الحادية عشرة: أهمية الرحمة بالعصاة والمذنبين.

الثانية عشرة: ذمّ خُلق القسوة والغلظة.

الثالثة عشرة: خُلق القسوة والغِلظة يُنفِّر ولا يجمع.

۞ ۞ ۞

٥

باب ما جاء في خُلق الصبر، وذمِّ الجَزَع

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصْبِرُواْ وَصَابِرُواْ وَرَابِطُواْ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝١٠﴾ [الزمر: ١٠].

عن صهيب بن سنان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**عَجَبًا لأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ، وَلَيسَ ذَلِكَ لأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءُ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءُ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ**»(١).

وعن أبي سعيد الخدريّ رضي الله عنه: أن ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم، حتى نفد ما عنده، فقال: «**مَا يَكُونُ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَتَصَبَّرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ عَطَاءً خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: مرّ النبي صلى الله عليه وسلم بامرأة تبكي عند قبر فقال: «**اتَّقِي اللهَ وَاصْبِرِي**». قالت: إليك عنِّي؛ فإنّك لم تصب بمصيبتي، ولم تعرفه. فقيل لها: إنّه النبي صلى الله عليه وسلم فأتت باب النبي صلى الله عليه وسلم فلم تجد عنده بوّابين. فقالت: لم أعرفك. فقال: «**إِنَّمَا الصَّبْرُ عِنْدَ الصَّدْمَةِ الْأُولَى**»(٣).

قال عبيد بن عمير رحمه الله: «ليس الجَزَع أن تدمع العين، ويحزن القلب، ولكن الجَزَع: القول السَّيِّئ والظَّنُّ السَّيِّئ»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ٢٩٩٩).
(٢) تقدم تخريجه (ص٣١).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ١٢٨٣)، ومسلم (برقم ٩٢٦).
(٤) «عدة الصابرين» (ص٩٩).

وقال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الصبر على ضروب ثلاثة: فالصبر عن المعاصي، والصبر على الطاعات، والصبر عند الشدائد المصيبات»[(١)].

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «واللهُ تَعالى ذكر في القرآنِ «الْهَجْرَ الْجَمِيلَ» و«الصَّفْحَ الْجَمِيلَ» و«الصَّبْرَ الْجَمِيلَ». وقد قِيل: إنَّ «الْهَجْرَ الْجَمِيلَ» هو هَجْرٌ بِلا أَذى. «وَالصَّفْحَ الْجَمِيلَ» صَفْحٌ بِلا مُعاتبةٍ. «وَالصَّبْرَ الْجَمِيلَ» صَبْرٌ بِغَير شَكْوى إلى المخْلُوقِ؛ ولِهذا قُرِئَ على أحمد بن حنبل في مرضه أَنَّ طاوسا كان يكره أَنِينَ المريض ويقول: إنَّه شكوى فما أَنَّ أحمد حتى مات. وأمَّا الشَّكْوى إلى الخالِقِ فلا تُنافي الصَّبْرَ الجميل؛ فإنَّ يعقوب قال: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ وَقَالَ: ﴿إِنَّمَآ أَشْكُواْ بَثِّي وَحُزْنِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾»[(٢)].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن الإنسان لا يستغني عن الصبر في حال من الأحوال؛ فإنه بين أمر يجب عليه امتثاله وتنفيذه، ونهي يجب عليه اجتنابه وتركه، وقدر يجري عليه اتفاقًا، ونعمة يجب عليه شكر المنعم عليها؛ وإذا كانت هذه الأحوال لا تفارقه فالصبر لازم له إلى الممات. وكل ما يلقى العبد في هذه الدار لا يخلو من نوعين: أحدهما يوافق هواه ومراده، والآخر يخالفه، وهو محتاج إلى الصبر في كل منهما»[(٣)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الصبر في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة الصبر وأنواعه.

الثالثة: فضل الصبر بأنواعه الثلاثة.

---

(١) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص١٦٢).
(٢) «الفتاوى الكبرى» لابن تيمية (٥/ ١٨١ ـ ١٨٢).
(٣) «عدة الصابرين» (ص٦٣).

الرابعة: معرفة خلق المؤمن في السراء والضراء.

الخامسة: حاجة العبد إلى الصبر في كل أحواله.

السادسة: فضل الصبر عند الصدمة الأولى.

السابعة: دمع العين وحزن القلب لا ينافيان الصبر.

الثامنة: معرفة معنى الصبر الجميل، والهجر الجميل، والصفح الجميل.

التاسعة: معرفة بواعث الصبر.

العاشرة: النهي عن الجزع.

٦

باب ما جاء في خُلق الرضا، وذمِّ التَّسخط

قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرۡضُوهُ﴾ [التوبة: ٦٢].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ عِظَمَ الْجَزَاءِ مَعَ عِظَمِ الْبَلَاءِ، وَإِنَّ اللهَ إِذَا أَحَبَّ قَوْمًا ابْتَلَاهُمْ؛ فَمَنْ رَضِيَ فَلَهُ الرِّضَا، وَمَنْ سَخِطَ فَلَهُ السَّخَطُ**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سَمِعْتُ رسول الله ﷺ يَقُولُ: «**مَنِ الْتَمَسَ رِضَاءَ اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ اللهُ مُؤْنَةَ النَّاسِ، وَمَنِ التَمَسَ رِضَاءَ النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى النَّاسِ**»(٢).

قال ابن القيّم رحمه الله ـ بعد أن ساق حديثين: **الأوّل**: قوله ﷺ: «**ذَاقَ طَعْمَ الْإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا**»(٣). **والثّاني**: قوله ﷺ: «**مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: (رَضِيتُ بِاللهِ رَبًّا وَبِالْإِسْلَامِ دِينًا وَبِمُحَمَّدٍ رَسُولًا) غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ**»(٤) ـ:

«هذان الحديثان عليهما مدار مقامات الدّين، وإليهما ينتهي، وقد تضمّنا: الرّضا بربوبيّته سبحانه وألوهيّته، والرّضا برسوله والانقياد له، والرّضا بدينه والتّسليم له.

ومن اجتمعت له هذه الأربعة فهو الصّدّيق حقًّا، وهي سهلة بالدّعوى واللّسان، وهي من أصعب الأمور عند حقيقة الامتحان،

(١) أخرجه الترمذي (برقم ٢٣٩٦)، وابن ماجه (برقم ٤٠٣١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (برقم ١٥٦٦).

(٢) أخرجه الترمذي (برقم ٢٤١٤)، وابن حبان (برقم ٢٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٦٠٩٧).

(٣) أخرجه مسلم (برقم ٣٤).

(٤) أخرجه مسلم (برقم ٣٨٦).

ولا سيّما إذا جاء ما يخالف هوى النّفس ومرادها، من ذلك يتبيّن أنّ الرّضا كان لسانه به ناطقًا، فهو على لسانه لا على حاله.

فالرّضا بإلهيّته: يتضمّن الرّضا بمحبّته وحده، وخوفه، ورجائه، والإنابة إليه، والتّبتّل إليه، وانجذاب قوى الإرادة والحبّ كلّها إليه، فعل الرّاضي بمحبوبه كلّ الرّضا. وذلك يتضمّن: عبادته والإخلاص له، **والرّضا بربوبيّته**: يتضمّن الرّضا بتدبيره لعبده. ويتضمّن: إفراده بالتّوكّل عليه، وبالاستعانة به والثّقة به، والاعتماد عليه، وأن يكون راضيًا بكلّ ما يفعل به. **فالأوّل**: يتضمّن رضاه بما يؤمر به. **والثّاني**: يتضمّن رضاه بما يقدّره عليه.

وأمّا الرّضا بنبيّه رسولًا: فيتضمّن: كمال الانقياد له، والتّسليم المطلق إليه؛ بحيث يكون أولى به من نفسه، فلا يتلقّى الهدى إلّا من مواقع كلماته ولا يحاكم إلّا إليه، ولا يحكّم عليه غيره، ولا يرضى بحكم غيره البتّة لا في شيء من أحكام ظاهره وباطنه، ولا يرضى في ذلك بحكم غيره ولا يرضى إلّا بحكمه. فإن عجز عنه كان تحكيمه غيره من باب غذاء المضطرّ إذا لم يجد ما يقيته إلّا من الميتة والدّم. وأحسن أحواله: أن يكون من باب التّراب الّذي إنّما يتيمّم به عند العجز عن استعمال الماء الطّهور.

وأمّا الرّضا بدينه: فإذا قال، أو حكم، أو أمر، أو نهى، رضي كلّ الرّضا، ولم يبق في قلبه حرج من حكمه وسلّم له تسليمًا، ولو كان مخالفًا لمراد نفسه أو هواها، أو قول مقلّده وشيخه وطائفته»[١].

وقال الرّاغب رَحِمَهُ اللَّهُ: «رضا العبد عن الله أن لا يكره ما يجري به قضاؤه، ورضا الله عن العبد هو أن يراه مؤتمرًا بأمره ومنتهيًا عن نهيه»[٢].

---

(١) «مدارج السالكين» (٢/ ١٧١).

(٢) «المفردات في غريب القرآن» (ص٣٥٦).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «منزلة الرضى أعلى من منزلة الصبر، فإن الصبر حبس النفس وكفها على ما تكره، مع وجود منازعة فيها، وبالرضى تضمحل تلك المنازعة، ويرضى عن الله رضى مطمئن منشرح الصدر؛ بل ربما تلذذ بالبلاء كتلذذ غيره بالرخاء.

وإذا نزل العبد بهذه المنزلة طابت حياته، وقرت عينه؛ ولهذا سمي الرضا (جنة الدنيا ومستراح العابدين)، ومن رضي عن الله رضي الله عنه، ومن رضي عن الله باليسير من الرزق، رضي الله منه باليسير من العمل.

فحقيقة الرضى تلقي أحكام الله الأمرية الدينية، وأحكامه الكونية القدرية بانشراح صدر، وسرور نفس، لا على وجه التكره والتلمظ»[(١)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الرضا في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة خلق الرضا وأنواعه.

الثالثة: فضل خلق الرضا وعظم ثمراته.

الرابعة: معرفة معنى الرضا بالله ربًّا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًّا.

الخامسة: معرفة معنى رضا العبد عن الله، ورضا الله عن العبد.

السادسة: فضل التسليم لشرع الله وقدره.

السابعة: منزلة الرضى أعلى من منزلة الصبر.

الثامنة: الاعتراض على شرع الله أو الرضا بغير حكمه ينافي الرضا عن الله ورسوله ﷺ.

التاسعة: النهي عن التّسخّط.

---

(١) «شرح منظومة السير إلى الله» (ص٢٣).

٧

باب ما جاء في خُلق الشُّكر، وذمِّ الجُحود والنُّكران

قال تعالى: ﴿وَٱشْكُرُواْ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ ۝١٥٢﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ۝٤٠﴾ [النمل: ٤٠].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ»**(١).

وعن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«التَّحَدُّثُ بِنِعَمِ اللهِ شُكْرٌ وَتَرْكُهَا كُفْرٌ، وَمَنْ لَا يَشْكُرُ الْقَلِيلَ لَا يَشْكُرُ الْكَثِيرَ»**(٢).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنّ رسول الله ﷺ أخذ بيده وقال: **«يَا مُعَاذُ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ، وَاللهِ إِنِّي لَأُحِبُّكَ**، فَقَالَ: **أُوصِيكَ يَا مُعَاذُ لَا تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كُلِّ صَلَاةٍ تَقُولُ: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ»**(٣).

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: **«إنّ النّعمة موصولة بالشّكر، والشّكر يتعلّق بالمزيد، وهما مقرونان في قرن؛ فلن ينقطع المزيد من الله حتّى ينقطع الشّكر من العبد»**(٤).

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨١١)، والترمذي (١٩٥٤)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٧١٩).

(٢) أخرجه أحمد (١٨٤٤٩)، والبيهقي في «الشعب» (٤١٠٥)، وحسنه الألباني في «السلسة الصحيحة» (برقم ٦٦٧).

(٣) أخرجه أبو داود (برقم ١٥٢٢)، والنسائي (برقم ١٣٠٣)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٧٩٦٩).

(٤) أخرجه البيهقي في «الشعب» (برقم ٤٢١٤).

وقال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ۝٦﴾: «يعد المصائب وينسى النعم»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**والشكر مبني على خمس قواعد**: خضوع الشاكر للمشكور، وحبه له، واعترافه بنعمته، وثناؤه عليه بها، وأن لا يستعملها فيما يكره.

فهذه الخمس، هي أساس الشكر وبناؤه عليها؛ فمتى عدم منها واحدة: اختل من قواعد الشكر قاعدة، وكل من تكلم في الشكر وحدِّه فكلامه إليها يرجع وعليها يدور»[٢].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «**الشكر يكون بالقلب**، وهو: الاعتراف بنعم الله، والإقرار بها، وعدم رؤية نفسه لها أهلًا؛ بل هي محض فضل ربه. ويكون باللسان، وهو الثناء على الله بها، والتحدث بها.

ويكون بالجوارح، وهو كفها عن معاصي الله، والاستعانة بنعمه على طاعته.

فإن أعطاه شيئًا من الدنيا شكره عليه، وإن زوى عنه شيئًا منها شكره أيضًا، إذ ربما كانت نعمته عليه صارفة منه شرًّا أعظم منها، وإن وفقه لطاعة من الطاعات رأى المنّة لله في توفيقه لها وشكره عليها. والله المستعان»[٣].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الشكر في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة الشكر وأنواعه.

الثالثة: عِظم ثواب الشاكرين.

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٥٨٧). (٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٣٤).

(٣) «شرح منظومة السير إلى الله» (ص٢٤).

الرابعة: التحدث بنعم الله من الشكر.

الخامسة: من لا يشكر الناس لا يشكر الله.

السادسة: معرفة أسباب زيادة النعم الدينية والدنيوية.

السابعة: الشكر يكون بالقلب واللسان والجوارح.

الثامنة: معرفة القواعد التي يقوم عليها خلق الشكر.

التاسعة: جحود النِّعم ونكرانها من الأخلاق السيئة.

العاشرة: ذمّ خلق الجحود والنكران.

الحادية عشرة: ذمّ من طبعه عدم شكر الناس وجحود فضلهم.

الثانية عشرة: استعمال نِعَم الله في المعاصي مُناف للشكر.

الثالثة عشرة: معرفة الصور التي تخلّ بخلق الشكر.

۞ ۞ ۞

٨

باب ما جاء في خلق الحياء، وذمِّ الوَقَاحَةِ

قال تعالى: ﴿وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ﴾ [الأعراف: ٢٦].

عن أبي مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِمَّا أَدْرَكَ النَّاسُ مِنْ كَلَامِ النُّبُوَّةِ الْأُولَى: إِذَا لَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ ـ أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ ـ شُعْبَةً، أَعْلَاهَا: قَوْلُ: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ. وَأَدْنَاهَا: إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ. وَالْحَيَاءُ شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ**»(٢).

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**الْحَيَاءُ لَا يَأْتِي إِلَّا بِخَيْرٍ**»(٣).

ومَرّ النبي عليه السلام على رجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: (إنك لتستحيي!) حتى كأنه يقول: (قد أضر بك)، فقال رسول الله ﷺ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ الْحَيَاءَ مِنَ الْإِيمَانِ**»(٤).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اسْتَحْيُوا مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ**». قال: قلنا يا رسول الله إنا لنستحيي والحمد لله. قال: «**لَيْسَ ذَاكَ، وَلَكِنَّ الاسْتِحْيَاءَ مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ أَنْ تَحْفَظَ الرَّأْسَ وَمَا وَعَى، وَتَحْفَظَ الْبَطْنَ وَمَا حَوَى، وَتَتَذَكَّرَ الْمَوْتَ وَالْبِلَى، وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ تَرَكَ زِينَةَ الدُّنْيَا، فَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ فَقَدِ اسْتَحْيَا**

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٣٤٨٣).
(٢) تقدم تخريجه (ص١٤٨).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦١١٧)، ومسلم (برقم ٣٧).
(٤) أخرجه البخاري (برقم ٢٤)، ومسلم (برقم ٣٦).

مِنَ اللهِ حَقَّ الْحَيَاءِ»(١).

وعن مجاهد رَحِمَهُ اللهُ، قال: «إن هذا العلم لا يتعلمه مُستَحٍ ولا مُتكبر»(٢).

وقال الفضيل بن عياض رَحِمَهُ اللهُ: «خمس من علامات الشقاوة: القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل»(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «والمقصود أن الذنوب تضعف الحياء من العبد حتى ربما انسلخ منه بالكلية حتى ربما أنه لا يتأثر بعلم الناس بسوء حاله ولا باطلاعهم عليه بل كثير منهم يخبر عن حاله وقبح ما يفعله، والحامل على ذلك انسلاخه من الحياء وإذا وصل العبد إلى هذه الحالة لم يبق في صلاحه مطمع»(٤).

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللهُ: «وحقيقة الحياء خلق يبعث على فعل الحسن وترك القبيح»(٥).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الحياء في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة خلق الحياء وأنواعه.

الثالثة: فضل خلق الحياء وثمراته.

الرابعة: الحياء من أخلاق الأنبياء.

الخامسة: الحياء لا يأتي إلا بخير.

---

(١) أخرجه الترمذي (برقم ٢٤٥٨)، وأحمد (برقم ٣٦٧١)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (٢٤٥٨).

(٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٢٨٧).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٤٩).

(٤) «الداء والدواء» (ص٦٩).

(٥) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٢٧).

السادسة: معرفة بعض الأسباب التي تُضعِف الحياء.

السابعة: خلق الحياء يتعلق بالقلب واللسان والجوارح.

الثامنة: النهي عن الوقاحة وأنها من الأخلاق السيئة.

التاسعة: ذمّ الخجل الذي يمنع من التعلم والسؤال.

❁ ❁ ❁

٩

باب ما جاء في خلق التواضع، وذمِّ الكِبْرْ

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

عن عياض بن حمار رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال: رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ أَوْحى إِلَيَّ أَنْ تَواضَعُوا حَتَّى لا يَفْخَرَ أَحَدٌ على أَحَدٍ ولا يَبْغِي أَحَدٌ على أَحَدٍ**»(١).

وقال ﷺ: «**مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ**»(٢).

وقال الرسول ﷺ: «**يُحْشَرُ الْمُتَكَبِّرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْثَالَ الذَّرِّ فِي صُورَةِ الرِّجَالِ، يَغْشَاهُمُ الذُّلُّ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ، قَالَ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة؟ قال: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ: بَطَرُ الْحَقِّ وَغَمْطُ النَّاسِ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ٢٨٦٥).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٨٨).
(٣) أخرجه أحمد (برقم ٦٦٧٧)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٨٠٤٠).
(٤) أخرجه مسلم (برقم ٩١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «إنكم لتغفلون؛ أفضل العبادة: التواضع»(١).

وسئل الفضيل بن عياض رحمه الله عن التواضع فقال: «يخضع للحق وينقاد له ويقبله ممن قاله»(٢).

وقال يحيى بن معين رحمه الله: «ما رأيت مثل أحمد بن حنبل صحبناه خمسين سنة ما افتخر علينا بشيء مما كان فيه من الخير»(٣).

وقال إسماعيل بن إسحاق الثقفي رحمه الله: «قلت لأبي عبد الله أول ما رأيته: يا أبا عبد الله، ائذن لي أن أُقبّل رأسك. فقال: لم أَبلغ أنا ذاك»(٤).

وقال أبو حاتم رحمه الله: «والتواضع تواضعان أحدهما محمود والآخر مذموم. والتواضع المحمود: ترك التطاول على عباد الله والإزراء بهم. والتواضع المذموم: هو تواضع المرء لذي الدنيا رغبة في دنياه. فالعاقل يلزم مفارقة التواضع المذموم على الأحوال كلها، ولا يفارق التواضع المحمود على الجهات كلها»(٥).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «الكبر ينافي حقيقة العبودية»(٦).

وقال ابن القيم رحمه الله: «فسّر النبي ﷺ الكبر بضده فقال: «**الكبر بطر الحق وغمص الناس**»، فبطر الحق: رده وجحده، والدفع في صدره كدفع الصائل. وغمص الناس: احتقارهم وازدراؤهم، ومتى احتقرهم وازدراهم: دفع حقوقهم وجحدها واستهان بها»(٧).

---

(١) أخرجه داود (برقم ٣٢٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (برقم ٧٧٩٨).
(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٤).
(٣) «حلية الأولياء» (٩/ ١٨١).
(٤) «الآداب الشرعية» (٢/ ٢٥٨).
(٥) «روضة العقلاء» (ص٥٩).
(٦) «مجموع الفتاوى» (١٠/ ١٩٦).
(٧) «مدارج السالكين» (٢/ ٣١٧ ـ ٣١٨).

وقال البزار رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو يذكر تواضع ابن تيمية: «وأما تواضعه: فما رأيت ولا سمعت بأحد من أهل عصره مثله في ذلك، كان يتواضع للكبير والصغير والجليل والحقير والغني الصالح والفقير، وكان يدني الفقير الصالح ويكرمه ويؤنسه ويباسطه بحديثه المستحلى زيادة على مثله من الأغنياء، حتى أنه ربما خدمه بنفسه، وأعانه بحمل حاجته؛ جبرًا لقلبه وتقربًا بذلك إلى ربه.

وكان لا يسأم ممن يستفتيه أو يسأله بل يقبل عليه ببشاشة وجه ولين عريكة ويقف معه حتى يكون هو الذي يفارقه؛ كبيرًا كان أو صغيرًا رجلًا أو امرأة حرًّا أو عبدًا عالمًا أو عاميًّا حاضرًا أو باديًا ولا يُجبه ولا يحرجه ولا ينفره بكلام يوحشه بل يجيبه ويفهمه ويعرفه الخطأ من الصواب بلطف وانبساط، وكان يلزم التواضع في حضوره من الناس ومغيبه عنهم في قيامه وقعوده ومشيه ومجلسه ومجلس غيره»[(١)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق التواضع في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة التواضع وأنواعه.

الثالثة: فضل التواضع وعظم ثمراته.

الرابعة: التواضع من أخلاق الأنبياء والمؤمنين.

الخامسة: معرفة جانب من تواضع السلف.

السادسة: معرفة معنى التواضع لله ورسوله ﷺ.

السابعة: معرفة معنى التواضع للخلق.

الثامنة: معرفة الذلّ المذموم.

التاسعة: النهي عن الكبر.

العاشرة: معرفة حقيقة الكبر وأنواعه.

الحادية عشرة: الكبر ينافي العبودية لله.

---

(١) «الأعلام العلية في مناقب ابن تيمية» (ص٥٠).

١٠

باب ما جاء في خُلق الحِكْمَة، وذمِّ السَّفه وضَعْف العقل

قال تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البقرة: ٢٦٩].

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا فَسَلَّطَهُ عَلَى هَلَكَتِهِ فِي الْحَقِّ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال لها: «**يَا عَائِشَةُ، لَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثُو عَهْدٍ بِجَاهِلِيَّةٍ لَأَمَرْتُ بِالْبَيْتِ فَهُدِمَ، فَأَدْخَلْتُ فِيهِ مَا أُخْرِجَ مِنْهُ، وَأَلْزَقْتُهُ بِالْأَرْضِ، وَجَعَلْتُ لَهُ بَابَيْنِ: بَابًا شَرْقِيًّا، وَبَابًا غَرْبِيًّا، فَبَلَغْتُ بِهِ أَسَاسَ إِبْرَاهِيمَ**»(٢). وفي رواية: «**إِنَّ قَومَكِ قَصَّرَتْ بِهِمُ النَّفَقَةُ**»، قلت: فما شأن بابه مرتفعًا؟ قال: «**فَعَلَ ذَلِكَ قَوْمُكِ لِيُدْخِلُوا مَنْ شَاءُوا وَيَمْنَعُوا مَنْ شَاءُوا، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمَكِ حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِالْجَاهِلِيَّةِ فَأَخَافُ أَنْ تُنْكِرَ قُلُوبُهُمْ أَنْ أُدْخِلَ الجَدْرَ فِي الْبَيْتِ، وَأَنْ أُلْصِقَ بَابَهُ بِالْأَرْضِ**»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «كان النبي ﷺ يتخوَّلُنا بالموعظة في الأيام كراهة السآمة علينا»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٧٣)، ومسلم (برقم ٨١٦).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ١٥٨٦)، ومسلم (برقم ١٣٣٣).

(٣) أخرجه البخاري (برقم ١٥٨٤)، ومسلم (برقم ١٣٣٣).

(٤) أخرجه البخاري (برقم ٦٨)، ومسلم (برقم ٢٨٢١).

وقال علي رضي الله عنه: «حدِّثوا الناس بما يعرفون، أتحبون أن يُكذَّبَ الله ورسوله»[(١)].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما أنت بِمُحدِّثٍ قومًا حديثًا لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة»[(٢)].

وقيل لابن المبارك رحمه الله: «ما خير ما أُعطي الرجل، قال: غريزة عقل»[(٣)].

وقال أبو حاتم رحمه الله: «**والعَجِل** يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويَحْمدُ قبل أن يجرِّب، ويذمُّ بعد ما يحمد، ويعزم قبل أن يفكِّر، ويمضي قبل أن يعزم. والعَجِل تصحبه النَّدامة، وتعتزله السَّلامة. وكانت العرب تكنِّي العجلة: أمَّ النَّدامات»[(٤)].

وقال ابن القيّم رحمه الله: «**الحِكْمَة**: فعل ما ينبغي، على الوجه الذي ينبغي، في الوقت الذي ينبغي»[(٥)].

وقال النَّووي رحمه الله: «**وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ حِكْمَةً فَهُوَ يَقْضِي بِهَا، وَيُعَلِّمُهَا**»، معناه: يعمل بها ويعلِّمها احتسابًا، **والحكمة**: كلُّ ما منع من الجهل، وزجر عن القبيح»[(٦)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الحكمة في الإسلام.

الثانية: معرفة حقيقة الحكمة.

الثالثة: فضل من أُوتي الحكمة.

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ١٢٧).
(٢) أخرجه مسلم (١/ ١١).
(٣) «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء» (ص١٧).
(٤) «روضة العقلاء» (ص٢١٦).
(٥) «مدارج السالكين» (٢/ ٤٤٩).
(٦) «شرح النووي على مسلم» (٦/ ٩٨).

الرابعة: أهمية خلق الحكمة في الدعوة والتعليم ومعالجة الأمور.

الخامسة: معرفة عواقب ترك الحكمة.

السادسة: ذمّ السلف لمن لم يراع الحكمة في أقواله وأفعاله.

السابعة: ذمّ خلق السّفه والطيش، وضعف العقل.

الثامنة: العجلة أمّ الندامات.

التاسعة: حاجة المربّين إلى خلق الحكمة.

۞ ۞ ۞

١١

باب ما جاء في خلق الحِلْمِ والأنَاة، وذَمِّ العَجَلة والطيِّش

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَعۡجَلۡ بِٱلۡقُرۡءَانِ مِن قَبۡلِ أَن يُقۡضَىٰٓ إِلَيۡكَ وَحۡيُهُۥۖ وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ۝١١٤﴾ [طه: ١١٤].

عن عبد الله بن سرجس المزني رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «**السَّمْتُ الحَسَنُ، وَالتُّؤَدَةُ، وَالاِقْتِصَادُ: جُزْءٌ مِنْ أَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»(١).

وعن ابن عبَّاس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ للأشجِّ - أشجِّ عبد القيس -: «**إِنَّ فِيكَ خَصْلَتَيْنِ يُحِبُّهُمَا اللهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاةُ**»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه: عن النبي ﷺ: «**التَّأَنِّي مِنَ اللهِ، وَالْعَجَلَةُ مِنَ الشَّيْطَانِ**»(٣).

وعن سعد بن أبي وقَّاص رضي الله عنه أنَّه قال: قال رسول الله ﷺ: «**التُّؤَدَةُ فِي كُلِّ شَيْءٍ خَيْرٌ إِلَّا فِي عَمَلِ الْآخِرَةِ**»(٤).

وقال عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه: «ليس الخير أن يكثر مالك وولدك، ولكنّ الخير أن يكثر علمك ويعظم حلمك، وأن لا تباهي النّاس

---

(١) أخرجه الترمذي (برقم ٢٠١٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣٦٩٢).

(٢) تقدم تخريجه (ص٦٣).

(٣) أخرجه البيهقي في الكبرى (٢٠٢٧٠)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (١٧٩٥).

(٤) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢١٣) وقال: «صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي.

بعبادة الله، وإذا أحسنت حمدت الله تعالى، وإذا أسأت استغفرت الله تعالى»(١).

وشَتَمَ رَجُلٌ عُمَرَ بْنَ ذَرٍّ فقال له عمر بن ذر رَحِمَهُ اللهُ: «يا هذا، لا تُغْرِق في شَتْمنا، ودَعْ للصُّلح مَوْضعًا، فإنا لا نُكافئ مَن عصى الله فينا بأكثر من أن نُطيع الله فيه»(٢).

وقال إبراهيم بن أدهم رَحِمَهُ اللهُ: «ذكروا الأناة في الأشياء كلِّها، فقال الأحنف: أمَّا أنا فإذا حضرت جنازة لم أتأنَّ، وإذا وجدت كفؤًا زوَّجت ولم أتأنَّ، وإذا حضرت الصَّلاة لم أتأنَّ»(٣).

وقال أبو إسحاق القيرواني رَحِمَهُ اللهُ: «قال بعض الحكماء: إيَّاك والعَجَلَة؛ فإنَّ العرب كانت تكنِّيها أمَّ الندامة؛ لأنَّ صاحبها يقول قبل أن يعلم، ويجيب قبل أن يفهم، ويعزم قبل أن يفكِّر، ويقطع قبل أن يقدِّر، ويحمد قبل أن يجرِّب، ويذمُّ قبل أن يخبر، ولن يصحب هذه الصِّفة أحدٌ إلَّا صحب النَّدامة، واعتزل السَّلامة»(٤).

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللهُ ـ في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ﴿١٦﴾﴾ ـ: «ومِن أسرارها ـ سورة القيامة ـ: أنَّها تضمَّنت التَّأنِّي والتَّثبُّت في تلقِّي العِلْم، وأن لا يحمل السَّامع شدَّة محبَّته وحرصه وطلبه على مبادرة المعلِّم بالأخذ قبل فراغه مِن كلامه. بل مِن آداب الرَّب التي أدب بها نبيَّه: أَمْرُه بترك الاستعجال على تلقِّي الوحي؛ بل يصبر إلى أن يفرغ جبريل مِن قراءته، ثمَّ يقرأه بعد فراغه عليه؛ فهكذا ينبغي لطالب العلم ولسامعه أن يصبر على معلِّمه حتى يقضي كلامه»(٥).

---

(١) «حلية الأولياء» (١/ ٧٥).
(٢) «حلية الأولياء» (٥/ ١١٣)، «شعب الإيمان» (١١/ ٣١).
(٣) «شعب الإيمان» (١١/ ٤٥٩).
(٤) «زهر الآداب وثمر الألباب» (٤/ ٩٤٢).
(٥) «التبيان في أقسام القرآن» (ص١٥٩).

وقال المناوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «التَّأَنِّي مِن الله تعالى؛ أي: ممَّا يرضاه ويثيب عليه. والعَجَلَة مِن الشَّيطان؛ أي: هو الحامل عليها بوسوسته؛ لأنَّ العَجَلَة تمنع مِن التَّثبُّت، والنَّظر في العواقب»(١).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «الأناة: التَّأَنِّي في الأمور وعدم التَّسرُّع؛ وما أكثر ما يهلك الإنسان ويزلُّ بسبب التَّعجُّل في الأمور، وسواء في نقل الأخبار، أو في الحكم على ما سمع، أو في غير ذلك. فمِن النَّاس ـ مثلًا ـ مَن يتخطَّف الأخبار بمجرَّد ما يسمع الخبر يحدِّث به، ينقله، . . ومِن النَّاس مَن يتسرَّع في الحكم، سمع عن شخص شيئًا مِن الأشياء، ويتأكَّد أنَّه قاله، أو أنَّه فعله ثمَّ يتسرَّع في الحكم عليه، أنَّه أخطأ أو ضلَّ أو ما أشبه ذلك، وهذا غلط، التَّأَنِّي في الأمور كلُّه خيرٌ»(٢).

وقال الراغب الأصفهاني في حد الحلم: «الحلم: ضبط النفس والطبع عند هيجان الغضب»(٣).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الحلم والأناة في الإسلام.

الثانية: مفهوم خلق الحلم والأناة.

الثالثة: فضل خلق الحلم والأناة وثمراته.

الرابعة: التأني من الله، والعجلة من الشيطان.

الخامسة: التؤدة كلها خير إلا في عمل الآخرة.

السادسة: معرفة جانب من حلم السلف.

السابعة: أهمية التؤدة في طلب العلم.

---

(١) «فيض القدير» (٣/ ١٨٤).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٥٧٧).

(٣) «المفردات» (برقم ٢٥٣).

الثامنة: التؤدة والتأني وعدم العجلة من أخلاق المهمة للمتعلم مع المعلِّم.

التاسعة: العجلة والطيش من الأخلاق السيئة.

العاشرة: ذمّ نقل الأخبار والكلام دون تَثبُّتٍ.

الحادية عشرة: ذمُّ إطلاق الحُكْم قبل التثبت.

١٢

باب ما جاء في خلق الرِّفق واللِّين، وذمِّ الشِّدَّة والغِلْظَة في غير موضعها

قال تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾﴾ [الشعراء: ٢١٥].

وقال تعالى: ﴿ٱذْهَبَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُۥ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾﴾ [طه: ٤٣، ٤٤].

وقال النبي ﷺ: «**إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ**»(١).

وعن عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ قال لها: «**إِنَّهُ مَنْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنَ الرِّفْقِ، فَقَدْ أُعْطِيَ حَظَّهُ مِنْ خَيْرِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ وَصِلَةُ الرَّحِمِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَحُسْنُ الْجِوَارِ يَعْمُرَانِ الدِّيَارَ، وَيَزِيدَانِ فِي الْأَعْمَارِ**»(٢).

وعنها رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول في بيتي هذا: «**اللَّهُمَّ مَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَاشْقُقْ عَلَيْهِ. وَمَنْ وَلِيَ مِنْ أَمْرِ أُمَّتِي شَيْئًا فَرَفَقَ بِهِمْ، فَارْفُقْ بِهِ**»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إذا رأيتم أخاكم قارف ذنبًا

---

(١) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٩٤).

(٢) أخرجه أحمد (برقم ٢٥٢٥٩)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ٥١٩).

(٣) أخرجه مسلم (برقم ١٨٢٨).

فلا تكونوا أعوانًا للشيطان عليه، تقولوا: اللَّهُمَّ أخزه! اللَّهُمَّ الْعنه! ولكن، سلوا الله العافية؛ فإنا ـ أصحاب محمد ﷺ ـ كنا لا نقول في أحد شيئًا حتى نعلم علام يموت؟ فإن ختم له بخير علمنا أن قد أصاب خيرًا، وإن ختم بشر خفنا عليه»[١].

وعن عروة بن الزبير رَحِمَهُ اللهُ: «كان يقال: الرفق رأس الحكمة»[٢].

وقال سفيان رَحِمَهُ اللهُ لأصحابه: «تدرون ما الرفق؟ قالوا: قل يا أبا محمد، قال: أن تضع الأمور في مواضعها: الشدة في موضعها، واللين في موضعه، والسيف في موضعه، والسوط في موضعه»[٣].

وقال أَبُو حاتم رَحِمَهُ اللهُ: «ولا يكاد المرء يتمكن من بغيته في سلوك قصده في شيء من الأشياء على حسب الذي يحب إلا بمقارنة الرفق ومفارقة العجلة»[٤].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ: «من رَفَقَ بعبادِ الله رَفَقَ الله به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد الله عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن منعهم خيره منعه خيره، ومن عامل خلقه بصفةٍ عامله الله بتلك الصِّفة بعينها في الدنيا والآخرة، فالله تعالى لعبده حسب ما يكون العبد لخلقه»[٥].

وقال ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ في تعريف الرفق: «هو لين الجانب بالقول والفعل والأخذ بالأسهل وهو ضد العنف»[٦].

وقال ابن فارس عن اللين هو: «ضد الخشونة»[٧].

---

(١) أخرجه ابن المبارك (برقم ٨٩٦)، والبيهقي في «الشعب» برقم (٦٢٦٥).
(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٥٣٠٨).
(٣) «فيض القدير» (٤/ ٥٦).
(٤) «روضة العقلاء» (ص٢١٥).
(٥) انظر: «الوابل الصيب» (ص٣٥).
(٦) «فتح الباري» لابن حجر (١٠/ ٤٤٩).
(٧) «معجم مقاييس اللغة» (باب اللام والياء).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الرفق واللين في الإسلام.

الثانية: مفهوم خلق الرفق واللين.

الثالثة: فضل خلق الرفق واللين وثمراته.

الرابعة: معرفة مجالات تطبيق خلق الرفق واللين.

الخامسة: الجزاء من جنس العمل.

السادسة: أثر الرفق في إصلاح الأُسَر.

السابعة: رحمة السلف بالعصاة والمذنبين.

الثامنة: أهمية خلق الرفق واللين للدعاة والمربين.

التاسعة: أهمية الرفق واللين في خطاب الأمراء والوجهاء وعموم الناس.

العاشرة: أهمية خلق الرفق واللين لكل من ولي أمرًا من أمور المسلمين.

الحادية عشرة: الشّدة والغلظة في موضعها لا تنافي خلق الرفق واللين في موضعه.

الثانية عشرة: الشريعة جاءت بالرفق واللين وهو الأصل، وجاءت بالشّدة والغلظة في موضعها.

الثالثة عشرة: دعوة النبي ﷺ على مَن شقّ على أُمّته.

الرابعة عشرة: من عامل العِباد بصفة عامله الله بمثلها.

الخامسة عشرة: الحذر من الانحراف عن مفهوم خلق الرفق واللين إلى الإفراط أو التفريط.

۞ ۞ ۞

١٣

باب ما جاء في خُلق السَّمت الحَسَن والوَقَار والسَّكينة، وذمِّ العَجلة والحَمَاقَة

قال تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴿٦٣﴾﴾ [الفرقان: ٦٣].

وقال تعالى: ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: ١٩].

عن عبد الله بن عبَّاس رضي الله عنهما: أنَّ النبي ﷺ قال: «**إِنَّ الْهَدْيَ الصَّالِحَ، وَالسَّمْتَ الصَّالِحَ، وَالِاقْتِصَادَ جُزْءٌ مِنْ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ جُزْءًا مِنَ النُّبُوَّةِ**»[(١)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**خَصْلَتَانِ لَا تَجْتَمِعَانِ فِي مُنَافِقٍ: حُسْنُ سَمْتٍ وَفِقْهٌ فِي الدِّينِ**»[(٢)].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْإِقَامَةَ، فَامْشُوا إِلَى الصَّلَاةِ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ، وَلَا تُسْرِعُوا؛ فَمَا أَدْرَكْتُمْ فَصَلُّوا، وَمَا فَاتَكُمْ فَأَتِمُّوا**»[(٣)(٤)].

---

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٤٧٧٦)، وأحمد (برقم ٢٦٩٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ١٩٩٣).

(٢) أخرجه الترمذي (برقم ٢٦٨٤)، والطبراني في «الأوسط» (برقم ٨٠١٠)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ٢٧٨).

(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦٣٦)، ومسلم (برقم ٦٠٢).

(٤) **الوقار**: غض البصر وخفض الصوت وعدم الالتفات. **والسكينة**: التأني في الحركات واجتناب العبث. قال النَّوويُّ: «قيل: هما بمعنى... والظَّاهر أنَّ بينهما فَرْقًا، وأنَّ السَّكينة هي التَّأنِّي في الحركات واجتناب العبث، والوَقَار =

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «**ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعًا قطُّ ضاحكًا، حتى تُرى منه لهواته، وإنَّما كان يتبسَّم**»[(١)].

وعن عمران بن مسلم: أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه قال: «تعلَّموا العلم، وعلِّموه النَّاس، وتعلَّموا له الوَقَار والسَّكينة، وتواضعوا لمن يعلِّمكم عند العلم، وتواضعوا لمن تعلِّموه العلم، ولا تكونوا جبابرة العلماء، فلا يقوم علمكم بجهلكم»[(٢)].

وقال المروذي رحمه الله: «لم أرَ الفقير في مجلس أعزَّ منه في مجلس أحمد، كان مائلًا إليهم، مُقْصرًا عن أهل الدُّنيا، وكان فيه حلم، ولم يكن بالعَجُول، وكان كثير التَّواضع، تعلوه السَّكِينَة والوَقَار، وإذا جلس في مجلسه بعد العصر للفُتيا، لا يتكلَّم حتَّى يُسْأل، وإذا خرج إلى مسجده، لم يتصدَّر»[(٣)].

ويقال: «لا تُخلِّق نفسك بالحرص، فتُذهب عنك بهجة الوَقَار».

وقال النَّوويُّ رحمه الله: «حقيقة الأَحْمَق: مَن يعمل ما يضرُّه مع علمه بقُبْحه»[(٤)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق السّكينة والوقار في الإسلام.

الثانية: معرفة مفهوم السكينة والوقار.

= في الهيئة كغضِّ البصر، وخفض الصَّوت وعدم الالتفات»، وقال: «الوَقَار في الهيئة وغض البصر، وخفض الصَّوت، والإقبال على طريقه بغير التفات ونحو ذلك، والله أعلم». شرح النووي على مسلم (٥/ ١٠٠).

(١) أخرجه البخاري (برقم ٤٨٢٨)، ومسلم (برقم ٨٩٩).

(٢) أخرجه ابن عبد البر في «جامع بيان العلم» (برقم ٨٩٣)، والبيهقي في «الشعب» (برقم ١٦٥١).

(٣) «سير أعلام النبلاء» (١١/ ٢١٨).

(٤) «روضة الطالبين» (٨/ ١٨٧).

الثالثة: حث السلف على تعلم خلق السكينة والوقار.

الرابعة: أهمية خلق السكينة والوقار لطلاب العلم.

الخامسة: خصلتان لا تجتمعان إلا في مؤمن: حسن سمت وفقه في الدين.

السادسة: المنافق قد يكون حسن السّمت بلا فقه في الدين، ولهذا شاهد في القرآن.

السابعة: ذمّ العجلة والحمق.

الثامنة: العجلة والطيش والخِفّة من الأخلاق السيئة.

التاسعة: الحذر من صفات العلماء الجبابرة.

۞ ۞ ۞

١٤

باب ما جاء في خُلق الإحسان وذمِّ الإساءة

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ﴿٩٠﴾﴾ [النحل: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٩٥﴾﴾ [البقرة: ١٩٥].

وقال تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾ [الرحمٰن: ٦٠].

عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: ثنتان حفظتهما عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِنَّ اللهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**»(١).

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه: أنَّ النَّبي صلى الله عليه وسلم بعثه إلى قوم، فقال: يا رسول الله، أوصني. قال: «**افْشِ السَّلَامَ وَابْذُلِ الطَّعَامَ... وَإِذَا أَسَأْتَ فَأَحْسِنْ، وَلْتُحَسِّنْ خُلُقَكَ مَا اسْتَطَعْتَ**»(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**مَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَقِيَ غُفِرَ لَهُ مَا مَضَى، وَمَنْ أَسَاءَ فِيمَا بَقِيَ أُخِذَ بِمَا مَضَى وَمَا بَقِيَ**»(٣).

وقرأ الحسن البصري رحمه الله هذه الآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ...﴾ الآية [النحل: ٩٠]، ثم وقف فقال: «إن الله جمع لكم الخير كله والشر كله في آية واحدة، فوالله ما ترك العدل والإحسان شيئًا من طاعة الله عز وجل إلا جمعه، ولا ترك الفحشاء والمنكر والبغي من معصية الله

---

(١) رواه مسلم (برقم ١٩٥٥).

(٢) أخرجه البزار في «مسنده» (برقم ٢٦٤٢)، والمروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (رقم ٨٢٥)، وصححه الألباني بشواهده في الصحيحة (برقم ٣٥٥٩).

(٣) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (برقم ٦٨٠٦)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ٣٣٨٩).

شيئًا إلا جمعه»[١].

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «مفتاح حصول الرحمة الإحسان في عبادة الخالق والسعي في نفع عبيده»[٢].

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللَّهُ في شرحه لحديث «**إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الْإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ**..»: «وهذا الحديثُ يدلُّ على وجوب الإحسانِ في كل شيء من الأعمال؛ لكنْ إحسانُ كُلِّ شيء بحسبه:

فالإحسانُ في الإتيان بالواجبات الظاهرة والباطنةِ: الإتيانُ بها على وجه كمال واجباتها؛ فهذا القدرُ من الإحسان فيها واجب. وأمَّا الإحسانُ فيها بإكمالِ مستحباتها فليس بواجب.

والإحسانُ في ترك المحرَّمات: الانتهاءُ عنها، وتركُ ظاهرها وباطنها، كما قال تعالى: ﴿وَذَرُواْ ظَٰهِرَ ٱلْإِثْمِ وَبَاطِنَهُۥٓ﴾؛ فهذا القدرُ من الإحسان فيها واجب.

وأما الإحسانُ في الصبر على المقدورات: فأنْ يأتي بالصبر عليها على وجهه من غير تَسَخُّطٍ ولا جَزَع.

والإحسانُ الواجبُ في معاملة الخلق ومعاشرتهم: القيامُ بما أوجب الله من حقوق ذلك كلِّه.

والإحسانُ الواجب في ولاية الخلق وسياستهم: القيام بواجبات الولاية كُلِّها.

والقدرُ الزائد على الواجب في ذلك كلِّه إحسانٌ ليس بواجب.

والإحسانُ في قتل ما يجوزُ قتله من الناس والدواب: إزهاقُ نفسه على أسرعِ الوجوه وأسهلِها وأَوحاها من غير زيادةٍ في التعذيب، فإنَّه

(١) أخرجه البيهقي في «شعب الإيمان» (برقم ١٣٨)، وأبو نعيم في «الحلية» (٢/ ١٥٨).

(٢) «حادي الأرواح» (ص٦٩).

إيلامٌ لا حاجة إليه»[١].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الإحسان في الإسلام.

الثانية: مفهوم خلق الإحسان وأنواعه.

الثالثة: فضل خلق الإحسان وعظم ثمراته.

الرابعة: معرفة مجالات تطبيق خلق الإحسان.

الخامسة: معرفة أجمع آية عرّفت بأصول الخير وأصول الشر.

السادسة: مفهوم الإحسان في العبادات الظاهرة والباطنة.

السابعة: مفهوم الإحسان في ترك المحرمات.

الثامنة: مفهوم الإحسان في معاملة الخلق.

التاسعة: مفهوم الإساءة في حقوق الله وحقوق الخلق.

العاشرة: الإساءة في الأقوال والأعمال من الأخلاق السيئة.

۞ ۞ ۞

---

(١) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٣٨١ ـ ٣٨٢).

١٥

باب ما جاء في خُلق الأُلفة والتودُّد، وذمِّ التّفرق والتّباغض

قال تعالى: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْ ۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «**إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ: أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمُوَطَّئُونَ أَكْنَافًا**[١]**، الَّذِينَ يَأْلَفُونَ وَيُؤْلَفُونَ**[٢]**. وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ: الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفَرِّقُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْمُلْتَمِسُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ**»[٣][٤].

---

(١) قال ابن الأثير: هذا مثل، وحقيقته: من التوطئة، وهي التمهيد والتذليل، وفراش وطيء: لا يؤذي جنب النائم. والأكناف: الجوانب. أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى. «النهاية في غريب الحديث» (٥/ ٢٠١).

(٢) قال الراغب في «المفردات» (ص٨١): «**الإلف**: اجتماع مع التئام، يقال: ألفت بينهم، ومنه: الألفة»، فهي اجتماع والتئام ومحبة. **والتَّودُّد**: قال ابن حجر: «هو تقرُّب شخص من آخر بما يحب. وقال ابن أبي جمرة: التَّوَادُد: التَّواصل الجالب للمحبَّة». «فتح الباري» (١٠/ ٤٣٩).

(٣) قال ابن الأثير في «النهاية»: «العنت: المشقة والفساد والهلاك والإثم والغلط والخطأ... والحديث يحتمل كلها. أي يطلبون العيب». النهاية في «غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٠٦).

(٤) أخرجه الطبراني في الأوسط (برقم ٧٦٩٧)، وحسنه لغيره الألباني في صحيح الترغيب (برقم ٢٦٥٨).

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الْمُؤْمِنُ يَأْلَفُ وَيُؤْلَفُ، وَلَا خَيْرَ فِيمَنْ لَا يَأْلَفُ، وَلَا يُؤْلَفُ، وَخَيْرُ النَّاسِ أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ**»(١).

وقال ﷺ: «**النَّاسُ مَعَادِنُ؛ كَمَعَادِنِ الْفِضَّةِ وَالذَّهَبِ؛ خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقِهُوا. وَالْأَرْوَاحُ جُنُودٌ مُجَنَّدَةٌ، مَا تَعَارَفَ مِنْهَا ائْتَلَفَ، وَمَا تَنَاكَرَ مِنْهَا اخْتَلَفَ**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَقَاطَعُوا وَلَا تَدَابَرُوا وَلَا تَحَاسَدُوا وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا لَا يَحِلُّ لِمُسْلِمٍ أَنْ يَهْجُرَ أَخَاهُ فَوْقَ ثَلَاثٍ**»(٣).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُم بِمَنْ يَحْرُمْ عَلَى النَّارِ، وَبِمَنْ تَحْرُمْ النَّارُ عَلَيْهِ؟ عَلَى كُلِّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ قَرِيبٍ سَهْلٍ**»(٤).

وقال ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَوَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى عَمَلٍ إِذَا عَمِلْتُمُوهُ تَحَابَبْتُمْ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ! قَالَ: أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»(٥).

وسئل الحسن رحمه الله عن حسن الخلق، فقال: «الكرم، والبذلة، والتَّودُّد إلى النَّاس»(٦).

وقال يونس الصدفي رحمه الله: «ما رأيت أعقل من الشافعي؛ ناظرته

---

(١) أخرجه الطبراني في «الأوسط» (برقم ٥٧٨٧)، والبيهقي في «الشعب» (برقم ٧٢٥٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٦٦٦٢).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ٣٤٩٣)، ومسلم (برقم ٢٦٣٨).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦٠٦٥)، ومسلم (برقم ٢٥٥٩).
(٤) أخرجه الترمذي (برقم ٢٤٨٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٢٦٠٩).
(٥) أخرجه مسلم (برقم ٥٤).
(٦) «الموشى للوشاء» (ص٢٨).

يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانا وإن لم نتفق في مسألة»(١).

وقال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجب على العاقل أنْ يتحبَّب إلى النَّاس بلزوم حسن الخلق، وترك سوء الخلق؛ لأنَّ الخلق الحسن يذيب الخطايا كما تذيب الشَّمس الجليد، وإن الخلق السَّيئ ليفسد العمل كما يفسد الخلُّ العسل، وقد تكون في الرَّجل أخلاق كثيرة صالحة كلُّها، وخلق سيئ، فيفسد الخلق السَّيئ الأخلاق الصَّالحة كلَّها»(٢).

وقال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: «إن السلف كانوا يختلفون في المسائل الفرعية، مع بقاء الألفة والعصمة وصلاح ذات البين»(٣).

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ: «وظيفة المسلم مع إخوانه، أن يكون هينًا لينًا بالقول وبالفعل؛ لأن هذا مما يوجب المودة والألفة بين الناس، وهذه الألفة والمودة أمرٌ مطلوب للشرع، ولهذا نهى النبي ﷺ عن كل ما يوجب العداوة والبغضاء»(٤).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الأُلفة والتّودد إلى الناس في الإسلام.

الثانية: مفهوم خلق الألفة والتودد.

الثالثة: فضل خلق الألفة والتودد وثمراته.

الرابعة: المؤمن يألف ويؤلف.

الخامسة: معرفة بعض الأسباب التي تجلب الألفة والمودة.

السادسة: فضل معاشرة الناس باللطف واللين والمودة.

---

(١) «سير أعلام النبلاء» (١٠/ ١٦).
(٢) «روضة العقلاء» (ص٦٤).
(٣) «الفتاوى الكبرى» (٦/ ٩٢).
(٤) «شرح رياض الصالحين» (٢/ ٥٤٤).

السابعة: ذمّ التفرق والتباغض.

الثامنة: الاعتصام بالكتاب والسُّنَّة يوجب الألفة ويدفع الفُرقة.

التاسعة: الاختلاف في المسائل الاجتهادية لا يوجب التباغض ولا الفُرقة.

العاشرة: الخلاف الذي لم يقبله السلف يرفع الألفة ويجلب البغضة.

الحادية عشرة: النهي عن الأسباب التي تجلب الفرقة والتباغض بين المسلمين.

الثانية عشرة: الأرواح جنود مجندة فما تَعارف مِنها ائْتَلَف وما تَناكر منها اخْتَلف.

۞ ۞ ۞

١٦

باب ما جاء في طَلَاقَة الوَجه والبَشَاشَة، وذمِّ التَّمَعُّر والعَبُوس وطي البِشْر

قال تعالى: ﴿وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾ [لقمان: ١٨].

وقال تعالى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ١﴾ [عبس: ١].

عن أبي ذرٍّ رضي الله عنه، قال: قال لي النبي ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(١).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ مَعْرُوفٍ صَدَقَةٌ، وَإِنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»(٢).

وعن أبي ذر رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ لَكَ صَدَقَةٌ**»(٣).

وعن جرير رضي الله عنه قال: «**مَا حَجَبَنِي النبي ﷺ مُنْذُ أَسْلَمْتُ، وَلَا رَآنِي إِلَّا تَبَسَّمَ فِي وَجْهِي**»(٤).

قال عبد الله بن المبارك رحمه الله: «حسن الخلق: طلاقة الوجه، وبذل المعروف، وكفُّ الأذى»(٥).

وقال ابن عيينة رحمه الله: «البَشَاشَة مصيدة المودَّة، والبِرُّ شيء هيِّن، وجه طليق، وكلام ليِّن»(٦).

وقال ابن حبان رحمه الله: «البَشَاشَة إدام العلماء، وسجيَّة الحكماء؛

---

(١) أخرجه مسلم (٢٦٢٦). (٢) أخرجه الترمذي (١٩٧٠).

(٣) أخرجه الترمذي (برقم ١٩٥٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (برقم ٥٧٢).

(٤) أخرجه البخاري (برقم ٣٠٣٥)، ومسلم (برقم ٢٤٧٥).

(٥) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٤٥٧). (٦) «فيض القدير» (٣/ ٢٢٦).

لأنَّ البِشْر يطفئ نار المعاندة، ويحرق هيجان المباغضة، وفيه تحصين من الباغي، ومنجاة من الساعي»[(١)].

وقال أبو جعفر المنصور رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنْ أحببت أنْ يكثر الثَّناء الجميل عليك من النَّاس بغير نائل، فالْقَهُمْ ببِشْر حسن»[(٢)].

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «طلاقة الوجه والبِشْر المحمود وسط بين التَّعبيس والتَّقطيب وتصعير الخدِّ وطيِّ البِشْر عن البَشَر، وبين الاسترسال مع كلِّ أحد بحيث يذهب الهيبة، ويزيل الوقار، ويطمع في الجانب. كما أنَّ الانحراف الأوَّل يوقع الوحشة، والبغضة، والنُّفرة في قلوب الخَلْق. وصاحب الخُلُق الوسط: مهيب محبوب، عزيز جانبه، حبيب لقاؤه. وفي صفة نبيِّنا: «**من رآه بديهة هابه، ومن خالطه عشرة أحبَّه**»[(٣)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق طلاقة الوجه والبشاشة في الإسلام.

الثانية: فضل استقبال الناس بطلاقة الوجه وبشاشة المحيا والكلمة الطيبة.

الثالثة: معرفة ثمرات خلق طلاقة الوجه والبشاشة.

الرابعة: معرفة مفهوم حسن الخلق مع الناس.

الخامسة: الأخلاق الظاهرة عنوان الأخلاق الباطنة.

السادسة: معرفة الأسباب التي تجلب المودة.

السابعة: وسطية خلق طلاقة الوجه والبشاشة بين التعبيس وبين الاسترسال مع كل أحد.

الثامنة: مقابلة الناس بالعبوس وَطيْ البِشْر والكلام البذيء من الأخلاق السيئة.

---

(١) «روضة العقلاء» (ص٧٥).

(٢) «عين الأدب والسياسة» لابن هذيل (ص١٥٤).

(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٢٩٦).

١٧

باب ما جاء في فضل الكلمة الطيِّبة، وذمِّ بَذاءة اللّسان

قال تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُۚ﴾ [الإسراء: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ﴾ [فاطر: ١٠].

عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُّ سُلَامَى مِنَ النَّاسِ عَلَيْهِ صَدَقَةٌ: كُلَّ يَوْم تَطْلُعُ فِيهِ الشَّمْسُ، تَعْدِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ صَدَقَةٌ، وَتُعِينُ الرَّجُلَ فِي دَابَّتِهِ فَتَحْمِلُهُ عَلَيْهَا أَوْ تَرْفَعُ لَهُ عَلَيْهَا مَتَاعَهُ صَدَقَةٌ، وَالْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ صَدَقَةٌ، وَبِكُلِّ خُطْوَةٍ تَمْشِيهَا إِلَى الصَّلَاةِ صَدَقَةٌ، وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ؛ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ**»(٢).

وعن عروة بن الزُّبير: أنَّ عائشة رَضِيَٱللَّهُعَنْهَا أخبرته قالت: استأذن رجل على رسول الله ﷺ؛ فقال: «**ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، أَوِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**»، فلما دخل، أَلَان له الكلام. قلت: يا رسول الله قلت الذي قلت، ثم أَلَنت له الكلام قال: «**أَيْ عَائِشَةُ؛ إِنَّ شَرَّ النَّاس مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ**»(٣).

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ**

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٩٨٩)، ومسلم (برقم ١٠٠٩).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ٦٠٢٣)، ومسلم (برقم ١٠١٦).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦٠٣٢)، ومسلم (برقم ٢٥٩١).

المُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ»[(١)].

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: عِظْني وأَوجز، فقال ﷺ: «**إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِك فَصَلِّ صَلَاةَ مُوَدِّعٍ، وَلَا تَكَلَّمْ بِكَلَامٍ تَعْتَذِرُ مِنْهُ غَدًا، وَأَجْمِعِ الْيَأْسَ مِمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ**»[(٢)].

وقال عقبة بن عامر رضي الله عنه: يا رسول الله: ما النجاة؟ فقال ﷺ: «**أَمْسِكْ عَلَيْكَ لِسَانَكَ، وَلْيَسَعْكَ بَيْتُكَ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ**»[(٣)].

قال النووي رحمه الله: «اعلم أنه ينبغي لكل مكلَّف أن يحفظ لسانه عن جميع الكلام، إلا كلامًا تظهر المصلحة فيه، ومتى استوى الكلام وتركه في المصلحة، فالسُّنَّة الإمساك عنه؛ لأنه قد ينجر الكلام المباح إلى حرام أو مكروه؛ بل هذا كثير أو غالب في العادة، والسلامة لا يعدلها شيء»[(٤)].

وقال ابن كثير رحمه الله ـ في قوله تعالى: ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا۟ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ ـ: «يأمر تعالى رسوله ﷺ أن يأمر عباد الله المؤمنين، أن يقولوا في مخاطباتهم ومحاوراتهم الكلام الأحسن والكلمة الطيبة؛ فإنهم إذا لم يفعلوا ذلك، نزغ الشيطان بينهم، وأخرج الكلام إلى الفعال، ووقع الشر والمخاصمة والمقاتلة، فإن الشيطان عدو لآدم وذريته من حين امتنع من السجود لآدم، فعداوته ظاهرة بينة؛ ولهذا نهى أن يشير الرجل إلى أخيه

---

(١) أخرجه الترمذي (برقم ١٩٧٧)، وأحمد (برقم ٣٨٣٩)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (برقم ٣٢٠).

(٢) أخرجه ابن ماجه (برقم ٤١٧١)، وأحمد (برقم ٢٣٤٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٧٤٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٤٠٦)، وأحمد (٢٢٢٣٥)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ١٣٩٢).

(٤) «رياض الصالحين» (ص٤٢١).

المسلم بحديدة، فإن الشيطان ينزغ في يده؛ أي: فربما أصابه بها»[١].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فكل كلام يقرب إلى الله ويحصل به النفع لعباد الله، فهو داخل في الكلمة الطيبة»[٢].

وقال أيضًا رَحِمَهُ اللَّهُ: «من تغافل عن عيوب الناس، وأمسك لسانه عن تتبع أحوالهم التي لا يحبون إظهارها، سلم له دينه، وألقى الله محبته في قلوب العباد، وستر الله عورته»[٣].

فيه فوائد

الأولى: فضل الكلمة الطيبة في الإسلام.

الثانية: معرفة مفهوم الكلمة الطيبة في الشرع.

الثالثة: من أخلاق المؤمنين التنزه عن الفحش في الأقوال والأفعال.

الرابعة: شرّ الناس من تركه الناس اتقاء فحشه.

الخامسة: الحذر من الكلام الذي يعتذر منه.

السادسة: وجوب حفظ اللسان.

السابعة: الإيمان يمنع من الطعن واللعن والكلام الفاحش البذيء.

الثامنة: الأخلاق السيئة من أسباب ضعف الإيمان.

التاسعة: حرمة أعراض المسلمين.

العاشرة: الذكر من الكلم الطيب.

الحادية عشرة: معرفة جانب من هدي الرسول ﷺ في معاملة المخالفين.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٨٦).

(٢) «بهجة قلوب الأبرار» (ص١٨٢).

(٣) «الفواكه الشهية» (ص١١١ ـ ١١٢).

١٨

باب ما جاء في خُلق الكَرَم والجُود والسَّخَاء، وذمِّ البُخْل والشُّح والإسراف(١)

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ۝٦٧﴾ [الفرقان: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ [القصص: ٧٧].

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**دِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ فِي رَقَبَةٍ، وَدِينَارٌ تَصَدَّقْتَ بِهِ عَلَى مِسْكِينٍ، وَدِينَارٌ أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ؛ أَعْظَمُهَا أَجْرًا: الَّذِي أَنْفَقْتَهُ عَلَى أَهْلِكَ**»(٢).

وقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَى جَوَادٌ يُحِبُّ الْجُودَ وَيُحِبُّ مَعَالِي الْأَخْلَاقِ وَيَكْرَهُ سَفْسَافَهَا**»(٣).

وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، قال: قال رسول الله ﷺ: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا وَتَصَدَّقُوا وَالْبَسُوا مَا لَمْ يُخَالِطْهُ إِسْرَافٌ،**

---

(١) قال الراغب في الفرق بين الجود والسخاء: «**السخاء**: اسم للهيئة التي عليها الإنسان. **والجود**: اسم للفعل الصادر عنها وإن كان قد يسمى كل واحد باسم الآخر من فضله». «الذريعة إلى مكارم الشريعة» (ص٩٧).
وقال أبو هلال العسكري في الفرق بين الجود والكرم: (أن الجواد هو الذي يعطي مع السؤال. والكريم: الذي يعطي من غير سؤال. وقيل بالعكس. وقيل: الجود إفادة ما ينبغي لا لغرض. والكرم: إيثار الغير بالخير). «معجم الفروق اللغوية» (ص١٧١).
والإسراف: صرف الشيء فيما ينبغي زائدًا على ما ينبغي، والتبذير صرف الشيء فيما لا ينبغي، وقد يجتمعان فيكون لهما المعنى نفسه.

(٢) أخرجه مسلم (برقم ٩٩٥). (٣) أخرجه الترمذي (برقم ٢٧٩٩).

أَوْ مَخِيلَةٌ»[١].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِيَّاكُمْ وَالظُّلْمَ، فَإِنَّ الظُّلْمَ ظُلُمَاتٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؛ وَاتَّقُوا الشُّحَّ، فَإِنَّ الشُّحَّ أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، حَمَلَهُمْ عَلَى أَنْ سَفَكُوا دِمَاءَهُمْ، وَاسْتَحَلُّوا مَحَارِمَهُمْ**»[٢].

وقال طلحة بن عبيد الله رضي الله عنه: «إنا لنجد بأموالنا ما يجد البخلاء، لكننا نتصبر»[٣].

وقال عطاء رحمه الله: «ما رأيت مجلسًا قط أكرم من مجلس ابن عباسٍ، أكثر فقهًا، وأعظم جفنةً، إن أصحاب القرآن عنده، وأصحاب النحو عنده، وأصحاب الشعر، وأصحاب الفقه، يسألونه كلهم، يصدرهم في وادٍ واسعٍ»[٤].

وقال حبيش بن مبشّر الثّقفيّ رحمه الله: «قعدت مع أحمد بن حنبل ويحيى بن معين والنّاس متوافرون؛ فأجمعوا أنّهم لا يعرفون رجلًا صالحًا بخيلًا»[٥].

وقال ابن سعدي رحمه الله: «مَن رُزق الإيثار فقد وُقي شُحّ نفسه: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩﴾؛ ووقاية شح النفس، يشمل وقايتها الشح في جميع ما أمر به، فإنه إذا وقي العبد شح نفسه، سمحت نفسه بأوامر الله ورسوله، ففعلها طائعًا منقادًا، منشرحًا بها صدره، وسمحت نفسه بترك ما نهى الله عنه، وإن كان محبوبًا للنفس، تدعو إليه، وتطلع إليه، وسمحت نفسه ببذل الأموال في سبيل الله وابتغاء مرضاته، وبذلك يحصل الفلاح والفوز، بخلاف من لم يوق شح نفسه،

---

(١) أخرجه ابن ماجه (برقم ٣٦٠٥)، وأحمد (برقم ٦٦٩٥)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (برقم ٤٣٨١).
(٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٥٧٨).
(٣) «إحياء علوم الدين» (٣/ ٢٥٥).
(٤) «المعرفة والتاريخ» (١/ ٥١٢).
(٥) «طبقات الحنابلة» (١/ ١٤٧).

بل ابتلي بالشح بالخير، الذي هو أصل الشر ومادته»[١].

وقال في قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ﴾: «الذي يراد منهم، وهذا شر ما في الإنسان، أن يكون شحيحًا بما أمر به، شحيحًا بماله أن ينفقه في وجهه، شحيحًا في بدنه أن يجاهد أعداء الله، أو يدعو إلى سبيل الله، شحيحًا بجاهه، شحيحًا بعلمه، ونصيحته ورأيه»[٢].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الكرم والجود والسخاء في الإسلام.

الثانية: فضل خلق الكرم وثمراته.

الثالثة: وسطية خلق الكرم بين البخل والإسراف.

الرابعة: الله كريم يحب الكرماء.

الخامسة: معرفة جانب من كرم النبي ﷺ.

السادسة: فضل النفقة والتوسعة على الأهل.

السابعة: الكرم يكون بالمال والعلم والجاه والكلام والفِعال.

الثامنة: معرفة جانب من كرم السلف في بذل العلم.

التاسعة: البخل والشح والإسراف والتبذير من الأخلاق السيئة.

العاشرة: تنزه الصالحين عن خلق البخل.

الحادية عشرة: معرفة مفهوم البخل والشح والإسراف والتبذير.

الثانية عشرة: من الشح عدم القيام بما أمر الله به.

الثالثة عشرة: أهمية تطهير النفس من خلق الشح والبخل بأنواعه.

❁ ❁ ❁

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٨٥١).

(٢) المرجع السابق (ص٦٦١).

١٩

باب ما جاء في خُلق الإِيثار والمُواساة، وذمِّ الاستئثار والأَثرة

قال تعالى: ﴿قَالُواْ لَن نُّؤْثِرَكَ عَلَىٰ مَا جَآءَنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلَّذِى فَطَرَنَا ۖ فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ ۖ﴾ [طه: ٧٢].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٩﴾ [الحشر: ٩].

عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ الأَشْعَرِيِّينَ إِذَا أَرْمَلُوا فِي الغَزْوِ، أَوْ قَلَّ طَعَامُ عِيَالِهِمْ بِالْمَدِينَةِ جَمَعُوا مَا كَانَ عِنْدَهُمْ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ اقْتَسَمُوهُ بَيْنَهُمْ فِي إِنَاءٍ وَاحِدٍ بِالسَّوِيَّةِ، فَهُمْ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُمْ**»(١).

قال ابن القيم رحمه الله: «والإيثار المتعلق بالخالق أجلّ من هذا ـ أي: من الإيثار المتعلق بالخلق ـ وأفضل؛ وهو إيثار رضاه على رضى غيره، وإيثار حبّه على حبّ غيره، وإيثار خوفه ورجائه على خوف غيره ورجائه، وإيثار الذل له والخضوع والاستكانة والضراعة والتملق على بذل ذلك لغيره، وكذلك إيثار الطلب منه والسؤال وإنزال الفاقات به على تعلق ذلك بغيره»(٢).

وقال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾: «أي: يقدمون

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٢٤٨٦)، ومسلم (برقم ٢٥٠٠).
(٢) «طريق الهجرتين» (ص٣٠١).

المحاويج على حاجة أنفسهم، ويبدؤون بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك»[١].

وقال القرطبيُّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الإيثار هو تقديم الغير على النّفس في حظوظها الدّنيويّة رغبة في الحظوظ الدّينيّة، وذلك ينشأ عن قوّة اليقين وتوكيد المحبّة، والصّبر على المشقّة»[٢].

والإيثار ينقسم إلى أقسام: الأول: إيثار الخالق على المخلوق. **الثاني**: إيثار الرسول ﷺ بالاتباع على غيره من البشر. **الثالث**: الإيثار المشروع بين الخلق.

قال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أقسام الإيثار المتعلق بالخلق وأحكامه:

«**القسم الأول: وهو الممنوع**: وهو أن تؤثر غيرك بما يجب عليك شرعًا؛ فإنه لا يجوز أن تقدم غيرك فيما يجب عليك شرعًا.... فالإيثار في الواجبات الشرعية حرام، ولا يحل؛ لأنه يستلزم إسقاط الواجب عليك.

القسم الثاني: وهو المكروه أو المباح: فهو الإيثار في الأمور المستحبة؛ وقد كرهه بعض أهل العلم وأباحه بعضهم، لكن ترْكه أولى لا شك، إلا لمصلحة.

القسم الثالث وهو المباح: وهذا المباح قد يكون مستحبًّا وذلك أن تؤثر غيرك في أمر غير تعبدي؛ أي: تؤثر غيرك وتقدمه على نفسك في أمر غير تعبدي»[٣].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٧٠).
(٢) «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢٦).
(٣) «شرح رياض الصالحين» (٣/ ٤١٦).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الإيثار والمواساة في الإسلام.

الثانية: معرفة مفهوم خلق الإيثار وأنواعه.

الثالثة: فضل خلق الإيثار والمواساة وثمراته.

الرابعة: أعظم مراتب الإيثار: إيثار الحق على الخلق، وذلك بإيثار الله على ما سواه من الخلق، وإيثار الرسول ﷺ بالاتباع على غيره من البشر.

الخامسة: معرفة أقسام الإيثار بين الخلق وأحكامه.

السادسة: معرفة مكانة خلق الإيثار والمواساة في حياة السلف.

السابعة: ذمّ خلق الاستئثار والأنانية في الإسلام.

٢٠

باب ما جاء في خُلق العفّة والعفاف، وذمِّ الفُحْش في الأقوال والأعمال

قال تعالى: ﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾﴾ [البقرة: ٢٧٣].

وقال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: «إنَّ ناسًا من الأنصار سألوا رسول الله ﷺ، فأعطاهم، ثم سألوه فأعطاهم؛ حتى إذا نفد ما عنده قال: «**مَا يَكُنْ عِنْدِي مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ أَدَّخِرَهُ عَنْكُمْ، وَمَنْ يَسْتَعْفِفْ يُعِفَّهُ اللهُ، وَمَنْ يَسْتَغْنِ يُغْنِهِ اللهُ، وَمَنْ يَصْبِرْ يُصَبِّرْهُ اللهُ، وَمَا أُعْطِيَ أَحَدٌ مِنْ عَطَاءٍ خَيْرًا وَأَوْسَعَ مِنَ الصَّبْرِ**»»[1].

وعنه رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه كان يقول: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى**»[2].

وقال ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ الْفَاحِشَ الْمُتَفَحِّشَ**»[3].

وقال أبو حاتم رحمه الله: «أعظم المصائب سوء الخلق والمسألة من الناس، والهمّ بالسؤال نصف الهرم فكيف المباشرة بالسؤال، ومن عزّت

---

(١) رواه مسلم (برقم ١٠٥٣).

(٢) أخرجه مسلم (برقم ٢٧٢١).

(٣) أخرجه أبو داود (برقم ٤٧٩٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٧٩٢٢).

عليه نفسه صغرت الدنيا في عينيه، ولا ينبل الرجل حتى يعف عما في أيدي الناس ويتجاوز عما يكون منهم، والسؤال من الإخوان ملال، ومن غيرهم ضد النوال»[(١)].

وقال النووي رَحِمَهُ اللهُ: «أما العفاف والعِفّة فهو التنـزه عما لا يباح والكف عنه، والغِنَى هنا غِنَى النفس والاستغناء عن الناس وعما في أيديهم»[(٢)].

وقال الراغب رَحِمَهُ اللهُ: «الفحش، والفحشاء، والفاحشة: ما عَظُم قُبْحُه من الأفعال والأقوال»[(٣)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق العفّة والعفاف في الإسلام.

الثانية: مفهوم خلق العفّة.

الثالثة: الجزاء من جنس العمل.

الرابعة: حثُّ الإسلام على عزة النفس والاستغناء عن الناس.

الخامسة: ذمّ الفحش في الأقوال والأفعال.

السادسة: معرفة مكانة خلق العِفّة في حياة السلف.

السابعة: مَن يَستعْفف يُعفَّه الله ومَن يَستغن يُغْنه الله.

❁ ❁ ❁

(١) «روضة العقلاء» (ص١٤٦).
(٢) «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ٤١).
(٣) «المفردات في غريب القرآن» (ص٦٢٦).

٢١

باب ما جاء في حسن الظَّنِّ، وذمِّ سُوء الظن(١)

قال تعالى: ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [فصلت: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ [الحجرات: ١٢].

وقال تعالى: ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾﴾ [النور: ١٢].

وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «**أنا عند ظنِّ عبدي بي؛ إن ظنَّ خيرًا فله، وإن ظنَّ شرًّا فله**»(٢).

وعن جابر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قبل موته بثلاثة أيام يقول: «**لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِاللهِ عز وجل**»(٣).

وقال النبي ﷺ: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا**»(٤).

---

(١) **الحُسْن لغةً**: نقيض القُبْح. **ومعنى حُسْن الظَّن**: ترجيح جانب الخير على جانب الشَّر.

(٢) رواه البخاري (برقم ٧٤٠٥) ومسلم (برقم ٢٦٧٥).

(٣) أخرجه مسلم (برقم ٢٨٧٧).

(٤) أخرجه البخاري (برقم ٥١٤٣)، ومسلم (برقم ٢٥٦٣).

وقال عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه: «لا يحلُّ لامرئ مسلم يسمع من أخيه كلمة يظنُّ بها سوءًا، وهو يجد لها في شيء من الخير مخرجًا»(١).

وقال أبو حاتم رحمه الله: «**سوء الظَّن على ضربين:**

أحدهما: منهي عنه بحكم النبي صلى الله عليه وسلم.

والآخر: مستحب. فأما الذي نهى عنه، فهو استعمال سوء الظَّن بالمسلمين كافةً، وأمَّا الذي يستحب من سوء الظَّن، فهو كمن بينه وبين آخر عداوة أو شحناء في دين أو دنيا، يخاف على نفسه من مَكْرِه؛ فحينئذ يلزمه سوء الظَّن بمكائده ومَكْرِه؛ كي لا يصادفه على غرَّة بمكره فيهلكه»(٢).

وقال النَّووي رحمه الله: «**إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ**»: «المراد: النَّهي عن ظنِّ السَّوء، قال الخطَّابي: هو تحقيق الظَّن وتصديقه دون ما يهجس في النَّفس، فإنَّ ذلك لا يُمْلَك. ومراد الخطَّابي أنَّ المحَرَّم من الظَّن ما يستمر صاحبه عليه، ويستقر في قلبه، دون ما يعرض في القلب ولا يستقر، فإنَّ هذا لا يكلَّف به»(٣).

وقال ابن القيِّم رحمه الله: «كلما كان العبد حَسن الظَّن بالله، حَسن الرَّجاء له، صادق التوكُّل عليه: فإنَّ الله لا يخيِّب أمله فيه البتَّة؛ فإنَّه سبحانه لا يخيِّب أمل آملٍ، ولا يضيِّع عمل عاملٍ، وعبَّر عن الثقة وحُسْن الظَّن بالسَّعة؛ فإنَّه لا أشرح للصَّدر، ولا أوسع له بعد الإيمان من ثقته بالله، ورجائه له، وحُسْن ظنِّه به»(٤).

وقال: «**سوء الظن**: هو امتلاء القلب بالظنون السيئة بالناس؛ حتى يطفح على اللسان والجوارح»(٥).

---

(١) «الآداب الشرعية» (برقم ١/ ٤٧). (٢) «روضة العقلاء» (ص١٢٧).
(٣) «شرح النووي على مسلم» (١٦/ ١١٩).
(٤) «مدارج السالكين» (١/ ٤٦٩). (٥) «الروح» (ص٢٣٨).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق حسن الظن في الإسلام.

الثانية: مفهوم حسن الظن وأنواعه.

الثالثة: معرفة معنى حسن الظن بالله.

الرابعة: معرفة معنى حسن الظن بالناس.

الخامسة: معرفة أخلاق المؤمنين مع إخوانهم عند ورود الشائعات والأمور المشتبهات.

السادسة: خطأ من غلّب سوء الظن على ما يعرفه من صلاح المرء.

السابعة: سوء الظن من الأخلاق السيئة.

الثامنة: معرفة عواقب سوء الظن بالله، وسوء الظن بالخلق.

التاسعة: معرفة سوء الظن المنهي عنه.

٢٢

باب ما جاء في سلامة الصّدر، وذمِّ الغِلِّ والحَسَد ونحوهما

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ١٠﴾ [الحشر: ١٠].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ مَالٞ وَلَا بَنُونَ ٨٨ إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ ٨٩﴾ [الشُّعراء ٨٨، ٨٩].

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا يُبَلِّغُنِي أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِي عَنْ أَحَدٍ شَيْئًا، فَإِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَخْرُجَ إِلَيْكُمْ وَأَنَا سَلِيمُ الصَّدْرِ**»(١).

وعن محمَّد بن كعب رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَوَّلَ مَنْ يَدْخُلُ مِنْ هَذَا الْبَابِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَدَخَلَ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلَام، فَقَامَ إِلَيْهِ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ رسول الله ﷺ فَأَخْبَرُوهُ بِذَلِك، وَقَالُوا: أَخْبِرْنَا بِأَوْثَقِ عَمَلٍ فِي نَفْسِكَ تَرْجُو بِهِ. فَقَالَ: إِنِّي لَضَعِيفٌ، وَإِنَّ أَوْثَقَ مَا أَرْجُو بِهِ اللهَ سَلَامَةُ الصَّدْرِ، وَتَرْكُ مَا لَا يَعْنِينِي**»(٢).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أيُّ النَّاس أفضل؟ قال: «**كُلُّ مَخْمُومِ الْقَلْبِ، صَدُوقِ اللِّسَانِ**». قالوا: صدوق اللِّسان

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٨٦٠) وسكت عنه، والترمذي (٣٨٩٦)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (٦٣٢٢).

(٢) «الصمت» لابن أبي الدنيا (ص٩٤). قال العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (ص١٠٠١): «أخرجه ابْن أبي الدُّنْيَا هَكَذَا مُرْسلًا، وَفِيه أَبُو نجيح اخْتلف فِيهِ».

نعرفه، فما مَخْموم القلب؟ قال: «**هُوَ النَّقِيُّ التَّقِيُّ، لَا إِثْمَ عَلَيْهِ، وَلَا بَغْيَ وَلَا غِلَّ وَلَا حَسَدَ**»(١).

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ثَلَاثٌ لَا يُغِلُّ عَلَيْهِنَّ قَلْبُ مُسْلِم: إِخْلَاصُ العَمَلِ للهِ، وَمُنَاصَحَةُ أَئِمَّةِ المُسْلِمِينَ، وَلُزُومُ جَمَاعَتِهِمْ، فَإِنَّ الدَّعْوَةَ تُحِيطُ مِنْ وَرَائِهِمْ**»(٢).

وعن الفضل بن أبي عيَّاش رحمه الله، قال: «كنت جالسًا مع وهب بن منبِّه، فأتاه رجل، فقال: إنِّي مررت بفلان وهو يشتُمك. فغضب، فقال: ما وجد الشَّيطان رسولًا غيرك؟ فما بَرِحْت من عنده حتَّى جاءه ذلك الرَّجل الشَّاتم، فسلَّم على وهب، فردَّ عليه، ومدَّ يده، وصافحه، وأجلسه إلى جنبه»(٣).

وقال سفيان بن دينار رحمه الله: قلت لأبي بشير ـ وكان من أصحاب علي ـ: أخبرني عن أعمال من كان قَبْلنا؟ قال: كانوا يعملون يسيرًا، ويُؤْجَرون كثيرًا. قلت: ولم ذاك؟ قال: لسَلَامة صدورهم(٤).

وقال الفضيل بن عياض رحمه الله: «ما أدرك عندنا من أدرك بكثرة الصلاة والصيام، وإنما أدرك عندنا بسخاء الأنفس، وسلامة الصدور، والنصح للأمة»(٥).

وقال أيضًا رحمه الله: «ما من أحدٍ أحبَّ الرِّياسة إلا حَسد وبَغى، وتَتبَّع عيوب النَّاس، وكره أن يُذكر أحد بخير»(٦).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (برقم ٤٢١٦)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (برقم ٩٤٨).
(٢) أخرجه الترمذي (برقم ٢٦٥٨)، وأحمد (برقم ١٣٣٥٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٦٧٦٦).
(٣) «حلية الأولياء» (٤/ ٧١).
(٤) «الزهد» لهناد بن السري (٢/ ٦٠٠).
(٥) «جامع العلوم والحكم» (١/ ٢٢٥).
(٦) «جامع بيان العلم وفضله» (١/ ٥٧١).

وقال ابن الأثير رَحِمَهُ اللهُ في حديث ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «إنَّ هذه الخِلال الثَّلاث تُسْتَصلح بها القلوب، فمن تمسَّك بها طَهُر قلبه من الخيانة والدَّخل والشَّر»(١).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللهُ: «وكم من مُتَعبّد في كثرة الصلاة والصوم، ولا يعاني صلاح القلب، وقد يكون عنده الكبر والرياء والنفاق والجهل بالعلم ولا يحس بذلك، وقد يكون تطلعه إلى تقبيل يده وإجابة دعائه، وهذه آفات لا دواء لها إلا الرياضة بالعلم، ليقع التهذيب بإصلاح دائه، وإنما تنفع العبادة، وتظهر آثارها، وتبين لذاتها مع إصلاح أمراض القلب»(٢).

وقال ابن رجب رَحِمَهُ اللهُ: «أفضل الأعمال سَلَامة الصَّدر من أنواع الشَّحْناء كلِّها، وأفضلها السَّلَامة من شحناء أهل الأهواء والبدع التي تقتضي الطَّعن على سلف الأمَّة، وبغضهم والحقد عليهم، واعتقاد تكفيرهم أو تبديعهم وتضليلهم. ثمَّ يلي ذلك سَلَامة القلب من الشَّحْناء لعموم المسلمين، وإرادة الخير لهم، ونصيحتهم، وأن يحبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه. وقد وصف الله تعالى المؤمنين عمومًا بأنَّهم يقولون: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾﴾ [الحشر: ١٠]»(٣).

وقال علي القاري رَحِمَهُ اللهُ: «**مخموم القلب**»: «أي: سليم القلب، لقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشُّعراء: ٨٩]، من خَمَمْت البيت، إذا كنسته، على ما في «**القاموس**» وغيره؛ فالمعنى: أن يكون قلبه مكنوسًا من غبار الأغيار، ومُنَظَّفًا من أخلاق الأقذار»(٤).

(١) «النهاية في غريب الحديث والأثر» (٣/ ٣٨١).
(٢) «التبصرة» (٢/ ٢٠٨).
(٣) «لطائف المعارف» (ص١٣٩).
(٤) «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٢٦٧).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق سلامة الصدر في الإسلام.

الثانية: معرفة مفهوم سلامة الصدر.

الثالثة: فضل خلق سلامة الصدر وثمراته.

الرابعة: من أخلاق المؤمنين سلامة صدورهم وألسنتهم تجاه الصحابة وعموم المؤمنين.

الخامسة: من هدي النبي ﷺ في سلامة الصدر.

السادسة: حرص السلف على سلامة صدورهم.

السابعة: أهمية البعد عن الأسباب التي توغر الصدر.

الثامنة: أهمية تطهير النفس من الغلّ والبغي والحسد وسائر أمراض القلوب، وآفات النفوس.

التاسعة: فضل التوحيد ولزوم جماعة المسلمين ومناصحة أئمتهم.

العاشرة: أثر البدعة في فساد القلوب.

۞ ۞ ۞

٢٣

باب ما جاء في خُلق العَفْو واحتمال الأذى في مرضات الله، وذمِّ الانتقام بغير وجه حق

قال تعالى: ﴿وَٱلْكَـٰظِمِينَ ٱلْغَيْظَ وَٱلْعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٤﴾﴾ [آل عمران: ١٣٣].

وقال تعالى: ﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور: ٢٢].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾ [فصلت: ٣٤، ٣٥].

وقال تعالى: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ [الشورى: ٤٠].

وقال تعالى حاكيا عن يوسف وإخوته: ﴿قَالُوا۟ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَـٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ ۖ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ ۖ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩١ ـ ٩٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«مَا نَقَصَتْ صَدَقَةٌ مِنْ مَالٍ، وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ إِلَّا عِزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ للهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللهُ»**(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: **«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ»**(٢).

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٧٨).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٦١١٤)، ومسلم (برقم ٢٦٠٩).

وعن سهل بن معاذ بن أنس الجهني، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: **«مَنْ كَظَمَ غَيْظًا، وَهُوَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُؤُوسِ الْخَلَائِقِ، حَتَّى يُخَيِّرَهُ فِي أَيِّ الْحُورِ شَاءَ»**(١).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: **«ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين إلَّا أخذ أيسرهما، ما لم يكن إثمًا، فإن كان إثمًا كان أبعد النَّاس منه، وما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه، إلا أن تُنتَهك حُرْمَة الله فينتقم لله بها»**(٢).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «قدم عيينة بن حصن بن حذيفة، فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته ـ كهولًا كانوا أو شبانًا ـ فقال عيينة لابن أخيه: يا ابن أخي لك وجه عند هذا الأمير، فاستأذن لي عليه، قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: (هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل)؛ فغضب عمر، حتى همّ أن يوقع به، فقال له الحر: (يا أمير المؤمنين، إن الله تعالى قال لنبيه ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ١٩٩﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين). والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله»(٣).

وقال الحسن بنُ علي رضي الله عنهما: «لو أنَّ رجلًا شتَمني في أذني هذه، واعتذر في أُذني الأخرَى، لقبِلتُ عذرَه»(٤).

وقال أبو حاتم رحمه الله: «الواجب على العاقل لزوم الصفح عند ورود

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٤٧٧٧)، والترمذي (برقم ٢٠٢١)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٦٥٢٢).
(٢) أخرجه البخاري (برقم ٣٥٦٠)، ومسلم (برقم ٢٣٢٧).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٤٦٤٢).
(٤) «الآداب الشرعية» (١/ ٣٠٢).

الإساءة عليه من العالَم بأسرهم؛ رجاء عفو الله عن جناياته التي ارتكبها في سالف أيامه؛ لأن صاحب الصفح إنما يتكلف الصفح بإيثاره الجزاء، وصاحب العقاب وإن انتقم كان إلى الندم أقرب، فأما من له أخ يُودّه فإنه يحتمل عنه الدهر كله زلّاته»(١).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «الواجب على العاقل توطين النفس على لزوم العفو عن الناس كافة وترك الخروج لمجازاة الإساءة إذ لا سبب لتسكين الإساءة أحسن من الإحسان، ولا سبب لنماء الإساءة وتهييجها أشدّ من الاستعمال بمثلها»(٢).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ ـ ذاكرًا بعض مناقب شيخه ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ وأخلاقه وسلامة صدره ـ: «وما رأيت أحدًا قط أجمع لهذه الخصال من شيخ الإسلام ابن تيمية قدس الله روحه، وكان بعض أصحابه الأكابر يقول: وددت أني لأصحابي مثله لأعدائه وخصومه، وما رأيته يدعو على أحد منهم قط، وكان يدعو لهم، وجئت يومًا مبشرًا له بموت أكبر أعدائه، وأشدهم عداوة وأذى له؛ فنهرني وتنكَّر لي واسترجع، ثم قام من فوره إلى بيت أهله فعزاهم، وقال: إني لكم مكانه، ولا يكون لكم أمر تحتاجون فيه إلى مساعدة إلا وساعدتكم فيه، ونحو هذا من الكلام، فسُرُّوا به، ودعوا له، وعظموا هذه الحال منه»(٣).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومن أعظم أنواع الإحسان والبر: أن يحسن إلى من أساء، ويعفو عمن ظلم، ويغفر لمن أذنب، ويتوب على من تاب إليه»(٤).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ في قول الله تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]: «أي: إذا أَسَاء إليك أعداؤك بالقول والفعل، فلا تقابلهم

---

(١) «روضة العقلاء» (ص١٦٨).
(٢) المرجع السابق (ص١٦٦).
(٣) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢٨).
(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٨٧).

بالإِسَاءة، مع أنَّه يجوز معاقبة المسيء بمثل إساءته، ولكن ادفع إساءتهم إليك بالإحسان منك إليهم، فإنَّ ذلك فَضْلٌ منك على المسيء.

ومِن مصالح ذلك: أنَّه تَخِفُّ الإِسَاءة عنك في الحال، وفي المستقبل، وأنَّه أَدْعَى لجلب المسيء إلى الحقِّ، وأقرب إلى ندمه وأسفه، ورجوعه بالتَّوبة عمَّا فعل، وليتَّصف العافي بصفة الإحسان، ويقهر بذلك عدوَّه الشَّيطان، وليستوجب الثَّواب مِن الرَّبِّ»[1].

فيه فوائد

الأولى: فضل خلق العفو وثمراته.

الثانية: فضل كظم الغيظ.

الثالثة: من أخلاق المؤمنين العفو عند المقدرة.

الرابعة: خلق العفو لا يزيد المرء إلا عزا.

الخامسة: عفو نبي الله يوسف عليه السلام عن إساءة إخوته.

السادسة: عفو النبي ﷺ عن قومه وعدم انتقامه منهم.

السابعة: عفو أبي بكر رضي الله عنه عن بعض قرابته ممن تكلم في عرضه.

الثامنة: عفو عمر رضي الله عنه عمن أساء إليه زمن خلافته.

التاسعة: عفو شيخ الإسلام ابن تيمية عن خصومه.

العاشرة: مكانة خلق العفو في حياة السلف.

الحادية عشرة: قبول أعذار المعتذرين من أخلاق الأنبياء والصالحين.

الثانية عشرة: فضل تحمل أذى الأقارب وعموم الناس.

الثالثة عشرة: الشريعة تأمر بالعدل وتندب للفضل وتحرّم الظلم.

الرابعة عشرة: تعظيم السلف للنصوص الشرعية وعدم تجاوزها.

الخامسة عشرة: البغي والظلم من الأخلاق السيئة.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٥٥٨).

٢٤

باب ما جاء في خلق المُدَارَاة، وذمِّ المُداهَنة

قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾﴾ [آل عمران: ٢٨].

وقال تعالى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَدُّوا۟ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [القلم: ٨، ٩].

عن عروة بن الزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أخبرته: أنه استأذن على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رجل؛ فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ائْذَنُوا لَهُ؛ فَبِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ أَوِ ابْنُ الْعَشِيرَةِ»** فلما دخل أَلَانَ له الكلام. قلت: يا رسول الله قلت الذي قلت، ثم أَلَنت له الكلام! قال: **«أَيْ عَائِشَةُ، إِنَّ شَرَّ النَّاس مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»**[(١)].

وقال أبو الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إنا لَنَكْشِرُ في وجوه أقوام ونضحك إليهم، وإن قلوبنا لتلعنهم»[(٢)].

وقال أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لزوجته: «إذا غضبتُ فرضيني، وإذا غضبتِ رضيتكِ، فإذا لم نكن هكذا ما أَسرع ما نفترق»[(٣)].

وقال معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «لو أن بيني وبين الناس شعرة ما انقطعت، قيل: وكيف؟ قال: لأنهم إنّ مدوها خليتها، وإنّ خلوا مددتها»[(٤)].

---

(١) تقدم تخرجه (ص٢٠٣).

(٢) أورده البخاري معلقًا (٨/ ٣١)، وهو عند البيهقي في «الشعب» (٧٧٤٩) موصولًا.

(٣) أخرجه ابن حبان في «روضة العقلاء» (ص٧٢).

(٤) المرجع السابق نفسه.

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «خالطوا الناس بالأخلاق وزايلوهم بالأعمال»(١).

وقال الحسن البصري رحمه الله: «كانوا يقولون: المداراة نصف العقل. وأنا أقول: هي العقل كله»(٢).

وقال ابن القيم رحمه الله: «المداراة صفة مدح، والمداهنة صفة ذم، والفرق بينهما: أنَّ المداري يتلطَّف بصاحبه حتى يستخرج منه الحقَّ، أو يردَّه عن الباطل. والمداهن يتلطَّف به؛ ليقره على باطله، ويتركه على هواه. فالمداراة لأهل الإيمان، والمداهنة لأهل النفاق»(٣).

وقال ابن بطال رحمه الله: «المداراة من أخلاق المؤمنين، وهي: خفض الجناح للناس، ولين الكلمة، وترك الإغلاظ لهم في القول، وذلك من أقوى أسباب الألفة»(٤).

فيه فوائد

الأولى: فضل خلق المداراة وأهميته في معاشرة الناس.

الثانية: معرفة مفهوم خلق المداراة، والفرق بيْنه وبيْن المداهنة.

الثالثة: حرص السلف على مداراة الناس وعدم هجرهم والخلاف معهم.

الرابعة: المعاملة الحسنة لا تعني موافقة الناس على مخالفاتهم الشرعية.

الخامسة: تفريق السلف في معاملة المخالفين بين المداراة والمداهنة.

السادسة: المداراة تزرع الألفة، وتجمع بين القلوب، وتطفئ العداوة بين الناس.

السابعة: المداراة من صفات المؤمنين والمداهنة من صفات المنافقين.

الثامنة: ذمّ المداهنة في الدين.

---

(١) «مداراة الناس» لابن أبي الدنيا (ص٣٧).

(٢) «الآداب الشرعية» (٣/ ٤٦٨). (٣) «الروح» (ص٢٣١).

(٤) «شرح صحيح البخاري» (٩/ ٣٠٥).

٢٥

باب ما جاء في خُلق التغافل ومراعاة المشاعِر، وذمِّ التَّنقيب وكثرة العتاب

قال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾ [التحريم: ٣].

وقال تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠].

عن الصعب بن جَثَامة رضي الله عنه قال: أهديت رسول الله ﷺ حمارًا وحشيًّا؛ فرده علي؛ فلما رأى ما في وجهي قال: «**إِنَّا لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ إِلَّا أَنَّا حُرُمٌ**»[(١)].

قال مطرِّف بن عبد الله رحمه الله لِبعض إخوانه: يا أبا فلان، إذا كان لك حاجةٌ فلا تُكلِّمني، واكتبها في رُقْعة؛ فإني أكرهُ أرى في وجهك ذُلَّ السؤال[(٢)].

وقال الحسن رحمه الله: «ما استقصى كريم قط، قال تعالى: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾»[(٣)].

وعن الربيع بن سليمان رحمه الله قال: سمعت الشافعي يقول: «اللبيب العاقل، هو الفطن المتغافل»[(٤)].

وقال عثمان بن زائدة رحمه الله: «العافية عشرة أجزاء تسعة منها في التغافل»[(٥)].

---

(١) أخرجه البخاري (١٨٢٥)، ومسلم (١١٩٣).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٢١٠).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٨/ ١٨٧).

(٤) «حلية الأولياء» (٩/ ١٢٣).

(٥) أخرجه البيهقي في «الشعب» (٨٠٢٨).

وقال الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ معلقًا على قول عثمان: «العافية عشرة أجزاء كلها في التغافل»[١].

وعن أيوب السختياني رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «لا يسود العبد حتى تكون فيه خصلتان: اليأس مما في أيدي الناس، والتغافل عما يكون منهم»[٢].

وقال ابن حزم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «استبقاك مَن عاتبك، وزهِد فيك مَن استهان بسيئاتك»[٣].

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «العتاب للصديق كالسبْكِ للسّبيكة؛ فإما تَصْفو، وإما تَطير»[٤].

وقال بعض الحكماء: «وجدت أكثر أمور الدُّنيا لا تجوز إلا بالتَّغافل»[٥].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ ـ في تفسير قول الله تعالى ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ﴾ ـ: «وهذا من لطفه وحسن خطابه عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ؛ حيث ذكر حاله في السجن، ولم يذكر حاله في الجب، لتمام عفوه عن إخوته، وأنه لا يذكر ذلك الذنب، وأن إتيانكم من البادية من إحسان الله إلي؛ فلم يقل: (جاء بكم من الجوع والنصب)، ولا قال: (أحسن بكم)؛ بل قال ﴿أَحْسَنَ بِىٓ﴾؛ جعل الإحسان عائدًا إليه.

فتبارك من يختص برحمته من يشاء من عباده، ويهب لهم من لدنه رحمة إنه هو الوهاب؛ ﴿مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾؛ فلم يقل: (نزغ الشيطان إخوتي)؛ بل كأن الذنب والجهل صدر من الطرفين؛ فالحمد لله الذي أخزى الشيطان ودحره، وجمعنا بعد تلك الفرقة الشاقة.

﴿إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ﴾، يوصل بره وإحسانه إلى العبد من حيث

---

(١) المرجع السابق نفسه. (٢) «حلية الأولياء» (٣/ ٥).
(٣) «الأخلاق والسير في مداواة النفوس» (ص٤٠).
(٤) المرجع السابق نفسه. (٥) «أدب الدنيا والدين» (ص١٨٠).

لا يشعر، ويوصله إلى المنازل الرفيعة من أمور يكرهها؛ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ﴾ الذي يعلم ظواهر الأمور وبواطنها، وسرائر العباد وضمائرهم، ﴿ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ في وضعه الأشياء مواضعها، وسوقه الأمور إلى أوقاتها المقدرة لها»[١].

وخلق التغافل هو غض الطرف والإعراض عن زلل الناس مع العلم به حلمًا وسماحة أو مراعاة لمشاعرهم.

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق التغافل ومراعاة المشاعر في الإسلام.

الثانية: مفهوم خلق التغافل.

الثالثة: أهمية خلق التغافل في معاشرة الناس.

الرابعة: أهمية مراعاة مشاعر الناس وعدم الإساءة إليهم.

الخامسة: الكريم لا يستقصي جميع حقه.

السادسة: حسن خطاب يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ لإخوته، ومراعاته لمشاعرهم.

السابعة: هدي النبي ﷺ في التغافل ومراعاة المشاعر.

الثامنة: ذمّ كثرة العتاب والتنقيب عن عثرات الناس والأهل والأولاد والأصحاب ونحوهم.

التاسعة: لا بأس بالعتاب اليسير للإصلاح.

❁ ❁ ❁

(١) «تفسير السعدي» (ص٤٠٥).

٢٦

باب ما جاء في خلق الاعتذار وقبول الأعذار، وذمِّ الإعراض والاستكبار

قال تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [يوسف: ٩١، ٩٢].

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إِيَّاكَ وَكُلَّ أَمْرٍ يُعْتَذَرُ مِنْهُ**»(١).

وعن أبي قلابة رحمه الله قال: «إذا بلغك عن أخيك شيْء تكرهه، فالتمس له العذْر جُهدَك، فإن لم تجد له عذرًا، فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه»(٢).

وقال الأحنف رحمه الله: «إذا اعتذر إليك معتذر، فلتلقه بالبِشْر»(٣).

وقال ابن المبارك رحمه الله: «المؤمن طالب عذر إخوانه، والمنافق طالب عثراتهم»(٤).

وقيل لخالد بن صفوان رحمه الله: أيّ إخوانك أحبُّ إليك؟ قال: «الذي يَغفِرُ زَلَلي، ويَقبَلُ عِلَلي، ويَسُدُّ خللي»(٥).

---

(١) أخرجه الضياء في «المختارة» (٢١٩٩)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٦٧١).

(٢) «حلية الأولياء» (٢/ ٢٨٥).

(٣) بهجة المجالس وأنس المجالس (١/ ١٠٦).

(٤) «آداب العشرة وذكر الصحبة والأخوة» (ص٥٦).

(٥) «عيون الأخبار» (٣/ ٢٢).

وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولا يخلو المعتذر في اعتذاره من أحد رجلين:

إما أن يكون صادقًا في اعتذاره، أو كاذبًا.

فإن كان صادقًا؛ فقد استحق العفو؛ لأن شر الناس من لم يُقِل العثرات، ولا يستر الزلات.

وإن كان كاذبًا؛ فالواجب على المرء إذا علم من المعتذر إثم الكذب، وريبته، وخضوع الاعتذار وذلّته أن لا يعاقبه على الذنب السالف؛ بل يشكر له الإحسان المُحدث، الذي جاء به في اعتذاره.

وليس يعيب المعتذر إن ذلّ وخضع في اعتذاره إلى أخيه»[(١)].

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «**لم أرَ لإبليس أَصْيَد ولا أَقْبَح ولا أَحْمَق مِن كلمتين ألقاهما على أَلْسِنة دُعَاته**:

إحداهما: اعتذار مَن أَسَاء؛ بأنَّ فلانًا أَسَاء قبله.

والثَّانية: استسهال الإنسان أن يُسيء اليوم؛ لأنَّه قد أَسَاء أمس. أو أن يُسيء في وجهٍ ما؛ لأنَّه قد أَسَاء في غيره».

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «من أساء إليك ثم جاء يعتذر من إساءته، فإن التواضع يوجب عليك قبول معذرته حقًّا كانت أو باطلًا، وتكل سريرته إلى الله تعالى، كما فعل رسول الله في المنافقين الذين تخلفوا عنه في الغزو؛ فلما قدم جاءوا يعتذرون إليه فقبل أعذارهم ووكل سرائرهم إلى الله تعالى. وعلامة الكرم والتواضع: أنك إذا رأيت الخلل في عذره لا توقفه عليه ولا تحاجّه، وقُل: (يمكن أن يكون الأمر كما تقول)، (ولو قضي شيء لكان)، و(المقدور لا مدفع له)، ونحو ذلك»[(٢)].

---

(١) «روضة العقلاء» (ص١٨٤).

(٢) «مدارج السالكين» (٢/ ٣٢١).

وقال المناوي رَحِمَهُ اللهُ: «الاعتذار: تحرّي الإنسان ما يمحو أثر ذنبه»[١].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ في قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾: أي: فضلك علينا بمكارم الأخلاق ومحاسن الشيم، وأسأنا إليك غاية الإساءة، وحرصنا على إيصال الأذى إليك، والتبعيد لك عن أبيك، فآثرك الله تعالى ومكنك مما تريد، ﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِـِٔينَ ﴿٩١﴾﴾؛ وهذا غاية الاعتراف منهم بالجرم الحاصل منهم على يوسف. فـ﴿قَالَ﴾ لهم يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ، كرمًا وجودًا: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ﴾؛ أي: لا أثرب عليكم ولا ألومكم؛ ﴿يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٩٢﴾﴾؛ فسمح لهم سماحًا تامًّا، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة. وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين»[٢].

فيه فوائد

الأولى: فضل خلق الاعتذار وقبول الأعذار.

الثانية: تحذير النبي ﷺ من الأقوال والأفعال التي توجب الاعتذار.

الثالثة: من أخلاق المؤمنين التماس العذر لإخوانهم، وقبول أعذار المعتذرين.

الرابعة: النهي عن طلب عثرات الناس والإخوان.

الخامسة: معرفة بعض موانع الاعتذار.

السادسة: من كمال الأخلاق ألا توقف المعتذرين على الخلل في أعذارهم.

السابعة: ذمّ خلق الإصرار على الأخطاء، والإعراض والاستكبار.

---

(١) **وقبول الأعذار**: يشمل التماس العذر للناس، وقبول عذر صاحب العذر، والعفو عن زلل الناس.

(٢) «تفسير السعدي» (ص٤٠٤).

٢٧

باب ما جاء في خُلُق الوفاء في الحياة وبعد الممات، وذمِّ النُّكران[(١)]

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾﴾ [الحج: ٣٨].

عن عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال النبي ﷺ: «**إِنَّ خَيْرَ عِبَادِ اللهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ الْمُوفُونَ الْمُطَيِّبُونَ**»[(٢)].

وقالت رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «ما غِرْتُ على امرأة للنبي ﷺ ما غِرْتُ على خديجة؛ هلَكتْ قبل أن يتزوجني؛ لِما كنت أسمعه يذكرها، وأمره الله أن يُبشرها ببيت من قصب، وإن كان ليذبح الشاة فيهدي في خلائلها منها ما يسعهن»[(٣)].

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال النبي ﷺ: «**أُرِيتُ النَّارَ؛ فَإِذَا أَكْثَرُ أَهْلِهَا النِّسَاءُ، يَكْفُرْنَ**» قيل: أيكفرن بالله؟ قال: «**يَكْفُرْنَ العَشِيرَ، وَيَكْفُرْنَ الإِحْسَانَ، لَوْ أَحْسَنْتَ إِلَى إِحْدَاهُنَّ الدَّهْرَ، ثُمَّ رَأَتْ مِنْكَ شَيْئًا، قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ مِنْكَ خَيْرًا قَطُّ**»[(٤)].

قال الحسن رَحِمَهُ اللَّهُ عن حال السلف: «إن كان الرجل ليخلُف أخاه في أهله بعد موته أربعين سنة»[(٥)].

---

(١) **المراد بالوفاء هنا:** حفظ الود ومواصلة المحبة، وعدم نسيان الجميل.

(٢) أخرجه أحمد (برقم ٢٦٣١٢)، والبزار (برقم ٨٨)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٢٠٦٢)، المطيِّبُون ـ بكسر الياء وقيل بفتحها ـ؛ أي: الذين طيبوا أنفسهم. وبالكسر الذين طيب الله أوصافهم.

(٣) أخرجه البخاري (برقم ٣٨١٦)، ومسلم (برقم ٢٤٣٥).

(٤) أخرجه البخاري (برقم ٢٩)، ومسلم (برقم ٨٨٤).

(٥) «الزهد» للإمام أحمد (برقم ١٤٦٥).

وقال الفضل بن دلهم رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان الحسن إذا فقد الرجل من إخوانه أتى منزله؛ فإن كان غائبًا وصل أهله وعياله، وإن كان شاهدًا سأله عن أمره وحاله ثم دعا بعض ولده من الأصاغر فأعطاهم الدراهم ووهب لهم، وقال أبا فلان: إن الصبيان يفرحون بهذا»[(١)].

وعن معمر رَحِمَهُ اللَّهُ: أن طاووسًا رَحِمَهُ اللَّهُ أقام على رفيق له مريض حتى فاته الحج[(٢)].

وقيل لمحمد بن المنكدر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما بقي مما تَسْتَلِذّه؟ قال: الإفضال على الإخوان»[(٣)].

وقال عبد الله ابن الإمام أحمد لأبيه: يا أبت، أي شيء كان الشافعي رَحِمَهُ اللَّهُ، فإني سمعتك تكثر من الدعاء له: فقال لي: «يا بُني كان الشافعي كالشمس للدنيا، وكالعافية للناس؛ فهل لهذين من خلف أو منهما عوض؟!»[(٤)].

وعن الأصمعي رَحِمَهُ اللَّهُ قال: «إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل ووفاء عهده فانظر إلى حنينه إلى أوطانه وتشوقه إلى إخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه»[(٥)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الوفاء في الإسلام.

الثانية: معرفة مفهوم خلق الوفاء.

---

(١) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٩٥).
(٢) «حلية الأولياء» (٤/ ١٠).
(٣) «مكارم الأخلاق» لابن أبي الدنيا (ص٩٥).
(٤) «صفة الصفوة» (١/ ٤٣٥).
(٥) «الآداب الشرعية» (٣/ ٥٦٢).

الثالثة: أهمية القيام بحقوق الله والوفاء بها.

الرابعة: وفاء النبي ﷺ مع زوجته خديجة رضي الله عنها.

الخامسة: أهمية خلق الوفاء بين الزوجين والأصدقاء.

السادسة: ذمّ نكران الجميل ونسيان الوداد.

۞ ۞ ۞

٢٨

باب ما جاء في خُلق النصيحة، وذمِّ الغش والخداع للمسلمين

قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ لَيۡسَ بِي ضَلَٰلَةٞ وَلَٰكِنِّي رَسُولٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٦١ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢﴾ [الأعراف: ٦١، ٦٢].

عن تميم الداري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**الدِّينُ النَّصِيحَةُ**». قلنا: لمن؟ قال: «**للهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**حَقُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ سِتٌّ**». قيل: ما هن يا رسول الله؟. قال: «**إِذَا لَقِيتَهُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، وَإِذَا دَعَاكَ فَأَجِبْهُ، وَإِذَا اسْتَنْصَحَكَ فَانْصَحْ لَهُ، وَإِذَا عَطَسَ فَحَمَدَ اللهَ فَشَمِّتْهُ وَإِذَا مَرِضَ فَعُدْهُ، وَإِذَا مَاتَ فَاتَّبِعْهُ**»(٢).

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه، قال: «**بايعت رسول الله ﷺ على إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم**»(٣).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ، وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ، يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ، وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**»(٤).

---

(١) تقدم تخريجه (ص١١٢).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ١٢٤٠)، ومسلم (برقم ٢١٦٢).

(٣) أخرجه البخاري (٥٧)، ومسلم (٥٦).

(٤) أخرجه أبو داود (برقم ٤٩١٨)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٦٦٥٦).

قال عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ: «لو أن المرء لا يَعظ أخاه حتى يُحْكِم أَمر نفسه، ويكمل الذي خلق له من عبادة ربه؛ إذن لتواكل الناس الخير، وإذن يرفع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقلّ الواعظون والساعون لله عَزَّ وَجَلَّ بالنصيحة في الأرض»[١].

وسئل ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: أي الأعمال أفضل؟ قال: «النصح لله»[٢].

وقال معمر رَحِمَهُ اللَّهُ كان يقال: «أنصح الناس لك من خاف الله فيك. وكان السلف إذا أرادوا نصيحة أحد، وعظوه سرًّا حتى قال بعضهم: من وعظ أخاه فيما بيْنه وبيْنه، فهي نصيحة، ومن وعظه على رؤوس الناس فإنما وبخه»[٣].

وقال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: «فمعنى النصيحة لله سبحانه: صحة الاعتقاد في وحدانيته وإخلاص النية في عبادته، والنصيحة لكتاب الله الإيمان به والعمل بما فيه، والنصيحة لرسوله التصديق بنبوته وبذل الطاعة له فيما أمر به ونهى عنه، والنصيحة لأئمة المؤمنين أن يطيعهم في الحق وأن لا يرى الخروج عليهم بالسيف إذا جاروا، والنصيحة لعامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم»[٤].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «النصيحة كلمة جامعة معناها حيازة الحظ للمنصوح له»[٥].

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «إذا نصحت فانصح سرًّا لا جهرًا، أو بتعريض لا بتصريح؛ إلا لمن لا يفهم؛ فلا بد من التصريح له. ولا تنصح على شرط القبول منك؛ فإن تعديت هذه الوجوه، فأنت ظالم لا ناصح،

---

(١) «الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» لابن أبي الدنيا (ص١٣٩).
(٢) جامع العلوم والحكم (١/ ٢٢٥). (٣) المرجع السابق نفسه.
(٤) «معالم السنن» (٤/ ١٢٦).
(٥) «فتح الباري» لابن حجر (١/ ١٣٨).

وطالب طاعة لا مؤدي حق ديانة وأخوة. وليس هذا حكم العقل ولا حكم الصداقة، ولكن حكم الأمير مع رعيته والسيد مع عبيده»(١).

وقال ابن مفلح رَحِمَهُ اللَّهُ: «وظاهر كلام أحمد والأصحاب وجوب النصح للمسلم، وإن لم يسأله ذلك كما هو ظاهر الأخبار»(٢).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**وإذا استنصحك فانصح له**»؛ أي: إذا استشارك في عمل من الأعمال: هل يعمله أم لا؟ فانصح له بما تحبه لنفسك. فإن كان العمل نافعًا من كل وجه، فحثه على فعله؛ وإن كان مضرًّا، فحذره منه؛ وإن احتوى على نفع وضرر، فاشرح له ذلك، ووازن بين المصالح والمفاسد.

وكذلك إذا شاورك على معاملة أحد من الناس أو تزويجه أو التزوج منه؛ فابذل له محض نصيحتك، وأعمل له من الرأي ما تعمله لنفسك. وإياك أن تَغشّه في شيء من ذلك؛ فمن غش المسلمين فليس منهم، وقد ترك واجب النصيحة.

وهذه النصيحة واجبة مطلقًا، ولكنها تتأكد إذا استنصحك وطلب منك الرأي النافع. ولهذا قيده في هذه الحالة التي تتأكد»(٣).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق النصيحة في الإسلام.

الثانية: مدار قيام الدين على النصيحة.

الثالثة: معرفة مفهوم النصيحة لله وكتابه ورسوله.

الرابعة: معرفة مفهوم النصيحة لأئمة المسلمين وعامتهم.

الخامسة: بذل النصيحة لعامة الناس من أخلاق الأنبياء والمصلحين.

---

(١) «رسائل ابن حزم» (١/ ٣٦٤). (٢) «الآداب الشرعية» (١/ ٢٩١).

(٣) «بهجة قلوب الأبرار» (ص٨١).

السادسة: المؤمن مرآة أخيه يحفظه من ضيعته ويحوطه من ورائه.

السابعة: ليس من شرط النصيحة كمال الناصح.

الثامنة: النصيحة في السر أنفع في قبولها والانتفاع بها.

التاسعة: العاقل لا يرد النصيحة لخلل في بعض آدابها؛ بل يقبل الحق ممن جاء به.

العاشرة: معرفة بعض آداب النصيحة.

الحادية عشرة: النهي عن كل أنواع الغش والخداع للمسلمين.

الثانية عشرة: معرفة حكم بذل النصيحة.

❁ ❁ ❁

٢٩

باب ما جاء في خُلق الأمانة وحفظ السر، وذمِّ الخيانة ونشر الأسرار

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء: ٥٨].

وقال تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَـٰنُ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وقال النبي ﷺ: «**آيَةُ الْمُنَافِقِ ثَلَاثٌ: إِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا وَعَدَ أَخْلَفَ، وَإِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَدِّ الْأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلَا تَخُنْ مَنْ خَانَكَ**»(٢).

وعنه أيضًا رضي الله عنه قال: «بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم جاء أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث. فقال بعض القوم: سمع ما قال فكره ما قال، وقال بعضهم: بل لم يسمع. حتى إذا قضى حديثه قال: «**أَيْنَ أُرَاهُ السَّائِلُ عَنِ السَّاعَةِ؟**» قال: ها أنا يا رسول الله. قال: «**فَإِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «**إِذَا وُسِّدَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِ أَهْلِهِ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ**»(٣).

وقال الرسول ﷺ: «**الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ**»(٤).

---

(١) أخرجه البخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٥٣٤)، والترمذي (١٢٦٤)، وصححه الألباني في الصحيحة (٤٢٣).

(٣) أخرجه البخاري (٥٩).

(٤) أخرجه أبو داود (٥١٢٨)، والترمذي (٢٣٦٩)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٦٧٠٠).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنْ أَشَرِّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الرَّجُلَ يُفْضِي إِلَى امْرَأَتِهِ، وَتُفْضِي إِلَيْهِ، ثُمَّ يَنْشُرُ سِرَّهَا**»(١).

وعن جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا حَدَّثَ الرَّجُلُ بِالْحَدِيثِ ثُمَّ الْتَفَتَ فَهِيَ أَمَانَةٌ**»(٢).

وعن أنس رضي الله عنه قال: «أتى عليَّ رسول الله ﷺ ـ وأنا ألعب مع الغلمان ـ قال: فسلّم علينا، فبعثني إلى حاجة. فأبطأت على أُمّي، فلما جئت قالت: ما حبسك؟ قلت بعثني رسول الله ﷺ لحاجة. قالت: ما حاجته؟ قلت: إنها سر، قالت: لا تحدثنّ بسر رسول الله ﷺ أحدًا. قال أنس: والله لو حدثت به أحدًا لحدثتك يا ثابت»(٣).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «سرك أسيرك فإن تكلمت به صرت أسيره»(٤).

وقال عمرو بن العاص رضي الله عنه: «عجبتُ من الرجل يَفِرّ من القدَر وهو مُواقعه، ويَرى القذاة في عين أخيه ويدع الجِذع في عينه، ويخرج الضغن من نَفْس أخيه ويدع الضغن في نَفْسه، وما وضعت سِرِّي عند أحد فَلُمته على إفشاءه، وكيف أَلُومه وقد ضقت به ذرعًا»(٥).

وقال عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه: «القلوب أوعية الأسرار، والشفاء أقفالها والألسن مفاتيحها، فليحفظ كل امرئ مفتاح سره»(٦).

---

(١) أخرجه مسلم (١٤٣٧).
(٢) أخرجه أبو داود (٤٨٦٨)، والترمذي (١٩٥٩)، وحسنه الألباني في «الصحيحة» (برقم ١٠٩٠).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦٢٨٩)، ومسلم (برقم ٢٤٨٢).
(٤) «أدب الدنيا والدين» (ص٣٠٦). (٥) «روضة العقلاء» (ص١٨٨).
(٦) «غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب» (١/١١٧).

وقال بعض السلف: «من الخيانة أن تحدث بسر أخيك»(١).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «رأيت أكثر الناس لا يتمالكون من إفشاء سرهم، فإذا ظهر، عاتبوا من أخبروا به. فوا عجبًا كيف ضاقوا بحبسه ذرعًا، ثم لاموا من أفشاه»(٢).

وقال الماوردي رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم أن من الأسرار ما لا يستغنى فيه عن مطالعة صديق مساهم، واستشارة ناصح مسالم. فليختر العاقل لسرِّه أمينًا إن لم يجد إلى كتمه سبيلًا، وليتحرَّ في اختيار من يأتمنه عليه، ويستودعه إياه. فليس كلُّ من كان على الأموال أمينًا كان على الأسرار مؤتمنًا.

والعفة عن الأموال أيسر من العفة عن إذاعة الأسرار؛ لأنَّ الإنسان قد يذيع سرَّ نفسه ببادرة لسانه، وسقط كلامه، ويشحُّ باليسير من ماله، حفظًا له وضنًّا به، ولا يرى ما أذاع من سرِّه كبيرًا في جنب ما حفظه من يسير ماله، مع عظم الضرر الداخل عليه. فمن أجل ذلك كان أمناء الأسرار أشد تعذرًا، وأقل وجودًا من أمناء الأموال. وكان حفظ المال أيسر من كتم الأسرار؛ لأنَّ أَحْراز الأموال منيعة، وأَحْراز الأسرار بارزة يذيعها لسان ناطق، ويشيعها كلام سابق»(٣).

وقال الكفوي رَحِمَهُ اللَّهُ في تعريف الأمانة: «كل ما افترض على العباد فهو أمانة ـ كصلاة وزكاة وصيام وأداء دين ـ وأوكدها الودائع، وأوكد الودائع كتم الأسرار»(٤).

وقيل: الأمانة: كل حق لزمك أداؤه وحفظه(٥).

---

(١) «الصمت» لابن أبي الدنيا (ص٢١٤).

(٢) «صيد الخاطر» (ص٢٧٣).

(٣) «أدب الدنيا والدين» (ص٣٠٧ ـ ٣٠٨).

(٤) «الكليات» (ص١٨٧).

(٥) «فيض القدير» (١/ ٢٢٣).

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الأمانة في الإسلام.

الثانية: مفهوم خلق الأمانة في الشرع.

الثالثة: أهمية أداء الأمانة على الوجه المطلوب شرعًا.

الرابعة: المؤمن يعامل الناس وفق حدود الإسلام.

الخامسة: من علامات الساعة ضياع الأمانة.

السادسة: من صفات المنافقين خيانة الأمانة.

السابعة: تربية السلف لأولادهم على حفظ الأسرار ومراعاة الأمانة.

الثامنة: المجالس بالأمانة.

التاسعة: أهمية حفظ الأسرار بين الزوجين وعدم نشرها.

العاشرة: ينبغي على العبد أن يحفظ أسراره قدر الإمكان ولا ينشرها.

الحادية عشرة: المستشار مؤتمن.

الثانية عشرة: أهمية اختيار الأمين في الاستشارة.

الثالثة عشرة: قلة الأمناء لحفظ الأسرار بين عموم الناس.

الرابعة عشرة: كل من ولي أمرًا من أمور المسلمين فهو مؤتمن عليه.

الخامسة عشرة: عظم أمانة الولايات.

❁ ❁ ❁

٣٠

باب ما جاء في خُلق الوفاء بالعهد والوعد، وذمِّ نقض العهد وإخلاف الوعد

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ﴾ [البقرة: ١٧٧].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «**أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ**»(١).

وعن ابن عمر رضي الله عنهما: عن النبي ﷺ قال: «**إِذَا جَمَعَ اللهُ بَيْنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرْفَعُ لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ؛ فَيُقَالُ: هَذِهِ غَدْرَةُ فُلَانِ بْنِ فُلَانٍ**»(٢).

قال النووي رحمه الله: قوله «**لِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ**»: «معناه: لكل غادر علامة يشهر بها في الناس؛ لأن موضوع اللواء: الشهرة مكان الرئيس؛ علامة له، وكانت العرب تنصب الألوية في الأسواق الحفلة لغدرة الغادر لتشهيره بذلك»(٣).

وقال ابن سعدي رحمه الله قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ﴾ [المائدة: ١]: «هذا أمر من الله تعالى لعباده المؤمنين بما يقتضيه الإيمان بالوفاء بالعقود؛ أي: بإكمالها، وإتمامها، وعدم نقضها ونقصها.

---

(١) تقدم تخريجه (ص١٥٨).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٣١٨٨)، ومسلم (برقم ١٧٣٥).

(٣) شرح النووي على مسلم (١٢/ ٤٣).

وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته، والقيام بها أتم قيام، وعدم الانتقاص من حقوقها شيئًا، والتي بينه وبين الرسول بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب ـ ببرهم وصلتهم، وعدم قطيعتهم ـ.

والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر، واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات، كالبيع والإجارة، ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها؛ بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] بالتناصر على الحق، والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع.

فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله بالقيام بها»[(١)].

وقال ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما إخلاف الوعد فحرام يجب الوفاء بالوعد سواء وعدته مالًا أو وعدته إعانة تعينه في شيء أو أي أمر من الأمور إذا وعدت فيجب عليك أن تفي بالوعد»[(٢)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الوفاء بالعقود والعهود في الإسلام.

الثانية: معرفة مفهوم الوفاء بالعقود.

الثالثة: معرفة أنواع العقود التي يجب الوفاء بها.

الرابعة: وجوب الوفاء بالوعد.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٢١٨).

(٢) «شرح رياض الصالحين» (٤/٤٧).

الخامسة: الوفاء بالعهد والوعد الجائز لا المحرم من علامات الإيمان الصادق.

السادسة: من صفات المنافقين الخيانة والغدر.

السابعة: لكل غادر لواء يوم القيامة.

الثامنة: النهي عن نقض العهود والمواثيق.

التاسعة: تعظيم الإسلام لأحكام العقود.

۞ ۞ ۞

٣١

باب ما جاء في خُلق الفِطْنة واليَقظَة، وذمِّ البلادة والغفلة

قال تعالى: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾ [الأنبياء: ٧٨ ـ ٨١].

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ النَّاس، وقال: «**إِنَّ اللهَ خَيَّرَ عَبْدًا بَيْنَ الدُّنْيَا وَبَيْنَ ما عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ ذَلِكَ الْعَبْدُ مَا عِنْدَ اللهِ**»، قال: فبكى أبو بكر؛ فعجبنا لبكائه أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خُيِّر؛ فكان رسول الله ﷺ هو المخَيَّر، وكان أبو بكر أعلمنا. فقال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ فِي صُحْبَتِهِ وَمَالِهِ: أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مَتَّخِذًا خَلِيلًا ـ غَيْرَ رَبِّي ـ لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ، وَلَكِنْ أُخُوَّةُ الْإِسْلَامِ وَمَوَدَّتِهِ. لَا يَبْقَيَنَّ فِي الْمَسْجِدِ بَابٌ إِلَّا سُدَّ، إِلَّا بَابُ أَبِي بَكْرٍ**»(١).

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ الشَّجَرِ شَجَرَةً لَا يَسْقُطُ وَرَقُهَا، وَإِنَّهَا مَثَلُ الْمُسْلِمِ، فَحَدِّثُونِي مَا هِيَ؟**» فوقع النَّاس في شجر البوادي، قال عبد الله: ووقع في نفسي أنَّها النَّخلة، فاستحييت. ثم قالوا: حدِّثنا ما هي يا رسول الله؟ قال: «**هِيَ النَّخْلَةُ**». قال: فذكرت ذلك لعمر. قال: لأن تكون قلت: هي النَّخلة، أحبُّ إليَّ من كذا وكذا»(٢).

قال الشَّافعي رحمه الله: «ما شبعت منذ ست عشرة سنة، إلا شبعة

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٤٦٦)، ومسلم (برقم ٢٣٨٢).

(٢) أخرجه البخاري (برقم ٦١٢٢)، ومسلم (برقم ٢٨١١).

اطَّرحتها ـ يعني: فطرحتها ـ لأنَّ الشِّبَع يُثقل البدن، ويقسِّي القلب، ويزيل الفِطْنَة، ويجلب النَّوم، ويُضعف صاحبه عن العبادة»(١).

وقال ابن الجوزي رَحِمَهُ اللَّهُ: «كان لسليمان من الفِطْنَة ما بان به الصَّواب في حُكْمه دون حُكْم أبيه في قصَّة الحرث وغيره، قال الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾»(٢).

وقال في قصة الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «هذا الحديث قد دلَّ على فِطْنَة أبي بكر، إذْ عَلِم أنَّ المخَيَّر هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»(٣).

وقال ابن القيّم رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفِكْر هو الذي ينقل من موت الفِطْنَة إلى حياة اليَقَظَة»(٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «اليقظة: أوّل منازل العبوديّة، وهي: انزعاج القلب لروعة الانتباه من رقدة الغافلين. ولله ما أنفع هذه الرّوعة، وما أعظم قدرها وخطرها، وما أقوى إعانتها على السّلوك. فمن أحسّ بها فقد أحسّ والله بالفلاح، وإلّا فهو في سكرات الغفلة؛ فإذا انتبه وتيقّظ شمّر بهمّته إلى السّفر إلى منازله الأولى، فأخذ في أهبة السّفر، فانتقل إلى منزلة العزم، وهو: العقد الجازم على الشّيء، ومفارقة كلّ قاطع ومعوّق، ومرافقة كلّ معين وموصّل، وبحسب كمال انتباهه ويقظته تكون عزيمته، وبحسب قوّة عزمه يكون استعداده. فإذا استيقظ أوجبت اليقظة الفكرة؛ وهي تحديق القلب نحو المطلوب الّذي قد استعدّ له مجملًا، ولم يهتد إلى تفصيله وطريق الوصول إليه، فإذا صحّت فكرته أوجبت له البصيرة، وهي نور في القلب يرى به حقيقة الوعد والوعيد، والجنّة

(١) «آداب الشافعي ومناقبه» (ص٧٨).
(٢) «التبصرة» لابن الجوزي (١/ ٢٩٦).
(٣) «كشف المشكل من حديث الصحيحين» (٣/ ١٤٦).
(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ١٨٣).

والنّار، وما أعدّ الله في هذه لأوليائه، وفي هذه لأعدائه»[(١)].

وقال الكَفْوي رَحِمَهُ اللَّهُ: «الفِطْنَة: التَّنَبُّه للشَّيء الذي يُقْصد معرفته»[(٢)].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «التّيقّظ: كمال التّنبّه والتّحرّز عمّا لا ينبغي»[(٣)].

فيه فوائد

الأولى: فضل خلق الفطنة وثمرته.

الثانية: معرفة فطنة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

الثالثة: معرفة بعض الأسباب التي تجلب الفطنة.

الرابعة: وفاء الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ومعرفة فضله.

الخامسة: معرفة مفهوم خلق الفطنة واليقظة.

السادسة: ذمّ البلادة والغفلة.

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٤٣).

(٢) «الكليات» (ص٦٧).

(٣) «الكليات» (ص٣١٤).

٣٢

باب ما جاء في خُلق الفأل الحَسَن، وذمِّ التشاؤم

قال تعالى: ﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي ﷺ: قال: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَأُحِبُّ الْفَأْلَ الصَّالِحَ**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**لَا عَدْوَى وَلَا طِيَرَةَ، وَيُعْجِبُنِي الْفَأْلَ**»، قال: قيل: وما الفأل؟ قال: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»(٢).

قال ابن عبّاس رضي الله عنهما: «**الفرق بين الفأل والطّيرة أنّ الفأل من طريق حسن الظّنّ بالله، والطّيرة لا تكون إلّا في السّوء فلذلك كُرهت**»(٣).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «وكما أن الله نهى نبيه أن يصيبه حزن أو ضيق ممن لم يدخل في الإسلام في أول الأمر فكذلك في آخره. فالمؤمن منهي أن يحزن عليهم أو يكون في ضيق من مكرهم. وكثير من الناس إذا رأى المنكر أو تغير كثير من أحوال الإسلام جزع وكل وناح كما ينوح أهل المصائب وهو منهي عن هذا؛ بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وأن العاقبة للتقوى. وأن ما يصيبه فهو بذنوبه؛ فليصبر إن وعد الله حق وليستغفر لذنبه وليسبح بحمد ربه بالعشي والإبكار»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٢٣).

(٢) أخرجه البخاري (٥٧٧٦)، ومسلم (٢٢٢٤).

(٣) ذكره ابن حجر في «الفتح» (١٠/ ٢١٥).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١٨/ ٢٩٥).

وقال الماورديّ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فأمّا الفأل ففيه تقوية للعزم، وباعث على الجدّ، ومعونة على الظّفر؛ فقد تفاءل رسول الله ﷺ في غزواته وحروبه. وروى أبو هريرة: أنّ رسول الله ﷺ سمع كلمة فأعجبته، فقال: «**أَخَذْنَا فَأْلَكَ مِنْ فِيكَ**»[(١)]»[(٢)].

وقال الشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والفأل بيّنه ـ أي: النبي ﷺ ـ بقوله: «**الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ**»؛ فالكلمة الطيبة تعجبه؛ لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط والمضي قُدُما لما يسعى إليه الإنسان، وليس هذا من الطيرة»[(٣)].

فيه فوائد

الأولى: منزلة خلق الفأل الحسن في الإسلام.

الثانية: مفهوم الفأل الحسن وثمراته.

الثالثة: فضل التفاؤل في الحياة وذم التشاؤم.

الرابعة: معرفة الفرق بين الفأل والطيرة.

الخامسة: النهي عن الجزع بسبب ما يصيب الأمة من فتن ومتغيرات.

السادسة: أهمية الثبات والصبر أمام الفتن والمتغيرات.

السابعة: أهمية بذل الأسباب المشروعة عند حلول المصائب والفتن.

الثامنة: معرفة خطأ من يواجه الناس بما يكرهون أو يتسبب بتخذيلهم وجلب الضيق والحزن لهم.

التاسعة: النياحة على أحوال الأمة بلا عمل صحيح خلاف الصواب.

---

(١) أخرجه أبو داود (٣٩١٧)، وأحمد (٩٠٤٠)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (٢٢٥).

(٢) «أدب الدنيا والدين» (ص٣١٦).

(٣) «القول المفيد» (برقم ٣٦٥).

والتطير: هو التشاؤم بمرئي كالطير، أو مسموع ككلمة (يا خسران)، أو بمعلوم كالأيام والشهور والأرقام.

٣٣

باب ما جاء في فضل الصّمت إلا من خير، وذمِّ كثرة الكلام في غير الحق

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾﴾ [الإسراء: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾﴾ [المؤمنون: ٣].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾﴾ [ق: ١٨].

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ، وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ جَارَهُ، وَمَنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَلْيُكْرِمْ ضَيْفَهُ**»(١).

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: «تعلّموا الصّمت كما تتعلّمون الكلام، فإن الصمت حلم عظيم، وكن إلى أن تسمع أحرص منك إلى أن تتكلم، ولا تتكلّم في شيء لا يعنيك»(٢).

وقال عمر بن عبد العزيز رحمه الله: «إذا رأيتم الرَّجل يطيل الصَّمت، ويهرب من النَّاس، فاقْرَبوا منه؛ فإنَّه يُلقَّى الحِكْمَة»(٣).

وقال الأحنف بن قيس رضي الله عنه: «أولا أخبركم بأدوأ الداء: اللسان البذيء، والخلق الدنيء»(٤).

وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فالتكلم بالخير خير من السكوت عنه،

(١) رواه البخاري (برقم ٦٠١٨)، ومسلم (برقم ٤٧).
(٢) أخرجه الخرائطي في «مكارم الأخلاق» (برقم ٣٩٧).
(٣) «التبصرة» لابن الجوزي (٢/ ٢٨٩).
(٤) «الصمت» لابن أبي الدنيا (ص١٩٠).

والصمت عن الشر خير من التكلم به، فأما الصمت الدائم فبدعة منهي عنها»[١].

وقال النووي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأمّا قوله ﷺ: «**فَلْيَقُلْ خَيْرًا أَوْ لِيَصْمُتْ**» فمعناه: أنّه إذا أراد أن يتكلّم؛ فإن كان ما يتكلّم به خيرًا محقّقًا يثاب عليه واجبًا أو مندوبًا فليتكلّم، وإن لم يظهر له أنّه خير يثاب عليه فليمسك عن الكلام سواء ظهر له أنّه حرام أو مكروه أو مباح مستوي الطّرفين؛ فعلى هذا يكون الكلام المباح مأمورًا بتركه مندوبًا إلى الإمساك عنه مخافةً من انجراره إلى المحرّم أو المكروه، وهذا يقع في العادة كثيرًا أو غالبًا»[٢].

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير قوله تعالى: «﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ﴾ ـ وهو الكلام الذي لا خير فيه ولا فائدة ـ ﴿مُعْرِضُونَ﴾ رغبة عنه، وتنزيها لأنفسهم، وترفعًا عنه، ﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِٱللَّغْوِ مَرُّواْ كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾، وإذا كانوا معرضين عن اللغو، فإعراضهم عن المحرم من باب أولى وأحرى، وإذا ملك العبد لسانه وخزنه ـ إلا في الخير ـ كان مالكًا لأمره»[٣].

فيه فوائد

الأولى: أهمية حفظ اللسان عن الإفراط والتفريط.

الثانية: فضل الإعراض عن اللغو.

الثالثة: الإنسان مسؤول عن جوارحه وكلامه بين يدي الله تعالى.

الرابعة: التكلم بالخير خير من السكوت.

الخامسة: تحرز السلف من كثرة الكلام.

السادسة: أهمية النظر في مآلات الكلام قبل التكلم.

السابعة: المؤمن ينزه لسانه عما لا ينبغي له من الكلام

الثامنة: ذمّ كثرة الكلام في غير الحق.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٠٠).

(٢) «شرح النووي على مسلم» (٢/ ١٩). (٣) «تفسير السعدي» (ص٥٤٨).

خاتمة
في الترهيب من مساوئ الأخلاق(١)

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾ [الحجرات: ١].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ۝٦﴾ [الحجرات: ٦].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسْخَرْ قَوْمٞ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيْرٗا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرٗا مِّنْهُنَّۖ وَلَا تَلْمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلْأَلْقَٰبِۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۝١١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتٗا فَكَرِهْتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ۝١٢ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ۝١٣﴾ [الحجرات: ١١ ـ ١٣].

عن عمرو بن شعيبٍ عن أبيهِ عن جدهِ قال: سمع النبي ﷺ قومًا يتدارؤون في القرآنِ فقال: «**إِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِهذَا، ضَرَبُوا كِتَابَ اللهِ بَعْضَهُ بِبَعْضٍ؛ وَإِنَّمَا نَزَلَ كِتَابُ اللهِ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا؛ لَا تُكَذِّبُوا بَعْضَهُ بِبَعْضٍ، فَمَا عَلِمْتُمْ مِنْهُ فَقُولُوا، وَمَا جَهِلْتُمْ فَكِلُوهُ**

---

(١) **السوء**: هو القبح، وهو ضد الحسن ونقيضه، ولهذا سميت السيئة سيئة، وسميت النار سُوأى؛ لقبح منظرها. **ومساوئ الأخلاق**: منكراتها وقبائحها، وهي بذل القبيح وكف الجميل أو التحلي بالرذائل، والتخلي من الفضائل.

إِلَى عَالِمِهِ»[١].

وعن المقدام بن معدِي كرِب الكِندِي رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يُوشِكُ الرَّجُلُ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يُحَدَّثُ بِحَدِيثٍ مِنْ حَدِيثِي فَيَقُولُ: بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ كِتَابُ اللهِ عز وجل، فَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَلَالٍ اسْتَحْلَلْنَاهُ، وَمَا وَجَدْنَا فِيهِ مِنْ حَرَامٍ حَرَّمْنَاهُ! أَلَا وَإِنَّ مَا حَرَّمَ رسول الله ﷺ مِثْلُ مَا حَرَّمَ اللهُ**»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «كان ناس من أصحاب النبي ﷺ يكتبون من التوراة فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «**إِنَّ أَحْمَقَ الحُمْقِ وَأَضَلَّ الضَّلَالَةِ قَوْمٌ رَغِبُوا عَمَّا جَاءَ بِهِ نَبِيُّهُمْ إِلَى نَبِيٍّ غَيْرِ نَبِيِّهِمْ، وَإِلَى أُمَّةٍ غَيْرِ أُمَّتِهِمْ**» ثم أنزل الله: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝٥١﴾ [العنكبوت: ٥١]»[٣].

وعن أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ**»[٤].

وعن جابر رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**اقْرَؤُوا الْقُرْآنَ وَابْتَغُوا بِهِ وَجْهَ اللهِ عز وجل قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ قَوْمٌ يُقِيمُونَهُ إِقَامَةَ القِدْحِ يَتَعَجَّلُونَهُ وَلَا يَتَأَجَّلُونَهُ**»[٥].

---

(١) أخرجه ابن ماجه (برقم ٨٥)، وأحمد في «مسنده» (برقم ٦٧٤١)، وحسنه الألباني في «المشكاة» (٢٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (برقم ٤٦٠٤)، والترمذي (برقم ٢٦٦٤)، وابن ماجه واللفظ له (برقم ١٢) وصححه الألباني في المشكاة (برقم ١٦٣).

(٣) أخرجه الإسماعيلي في «معجمه» (برقم ٣٨٤).

(٤) أخرجه البخاري (برقم ٣٦٧٣)، ومسلم (برقم ٢٥٤٠).

(٥) أخرجه أبو داود (برقم ٨٣٠)، وأحمد (برقم ١٤٨٥٥)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ١١٦٧).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: **«يَخْرُجُ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ - وَلَمْ يَقُلْ مِنْهَا - قَوْمٌ تُحَقِّرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ؛ يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ وَحُلُوقَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ؛ فَيَنْظُرُ إِلَى نَصْلِهِ إِلَى رِصَافِهِ، فَيَتَمَارَى فِي الفُوقَةِ، هَلْ عَلِقَ بِهَا مِنَ الدَّمِ شَيْءٌ»**(١).

وعن معاوية رضي الله عنه **«أن النبي ﷺ نهى عن الأغلوطاتِ»**(٢).

وعن كعب بن مالكٍ رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **مَنْ طَلَبَ العِلْمَ لِيُجَارِيَ بِهِ العُلَمَاءَ أَوْ لِيُمَارِيَ بِهِ السُّفَهَاءَ أَوْ يَصْرِفَ بِهِ وُجُوهَ النَّاسِ إِلَيْهِ أَدْخَلَهُ اللهُ النَّارَ»**(٣).

وعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: **«مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدًى كَانُوا عَلَيْهِ إِلَّا أُوتُوا الْجَدَلَ»** ثم تلا قوله تعالى: ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾﴾(٤).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: **«إِنَّ أَبْغَضَ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ الْأَلَدُّ الْخَصِمُ»**(٥).

وعن عبد اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قال: **«من طلب العِلم لِأربع دخل النَّار - أو نحو هذه الكلمة -: ليباهي به العلماء، أو لِيماري به السفهاء،**

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٥٠٥٨)، ومسلم (برقم ١٠٦٤).

(٢) أخرجه أبو داود وسكت عنه (برقم ٣٦٥٦)، وأحمد (برقم ٢٣٦٨٨)، وضعفه الألباني في «ضعيف الجامع» (برقم ٦٠٣٥).

(٣) أخرجه الترمذي (برقم ٢٦٥٤)، وأخرجه ابن ماجه (برقم ٢٥٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٦٣٨٣).

(٤) أخرجه الترمذي (برقم ٣٢٥٣)، وابن ماجه (برقم ٤٨)، وأحمد (برقم ٢٢١٦٤)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٥٦٣٣).

(٥) أخرجه البخاري (برقم ٢٤٥٧)، ومسلم (برقم ٢٦٦٨).

أو لِيصرِف به وجوه الناسِ إليهِ، أو لِيأخذ به من الأمراءِ»[١].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه مرفوعًا: «الْحَيَاءُ وَالْعِيُّ شُعْبَتَانِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَالْبَذَاءُ وَالْبَيَانُ شُعْبَتَانِ مِنَ النِّفَاقِ»[٢].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعًا: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أَلْجَمَهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ»[٣].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «مَنْ خَرَجَ مِنَ الطَّاعَةِ، وَفَارَقَ الْجَمَاعَةَ فَمَاتَ، مَاتَ مِيتَةً جَاهِلِيَّةً، وَمَنْ قَاتَلَ تَحْتَ رَايَةٍ عِمِّيَّةٍ يَغْضَبُ لِعَصَبَةٍ، أَوْ يَدْعُو إِلَى عَصَبَةٍ، أَوْ يَنْصُرُ عَصَبَةً، فَقُتِلَ، فَقِتْلَةٌ جَاهِلِيَّةٌ. وَمَنْ خَرَجَ عَلَى أُمَّتِي، يَضْرِبُ بَرَّهَا وَفَاجِرَهَا، وَلَا يَتَحَاشَى مِنْ مُؤْمِنِهَا، وَلَا يَفِي لِذِي عَهْدٍ عَهْدَهُ، فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ»[٤].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَبْغَضُ النَّاسِ إِلَى اللهِ ثَلَاثَةٌ: مُلْحِدٌ فِي الحَرَمِ، وَمُبْتَغٍ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةَ الجَاهِلِيَّةِ، وَمُطَّلِبُ دَمِ امْرِئٍ بِغَيْرِ حَقٍّ لِيُهَرِيقَ دَمَهُ»[٥].

وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ فَهُوَ مِنْهُمْ»[٦].

وعن جابر رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ، وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجْلِسًا يَوْمَ القِيَامَةِ، أَحَاسِنَكُم أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْغَضَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، الثَّرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ وَالمُتَفَيْهِقُونَ» قالوا:

---

(١) أخرجه الدارمي في «سننه» (برقم ٣٧٩).
(٢) أخرجه الترمذي (برقم ٢٠٢٧)، وأحمد (برقم ٢٢٣١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣٢٠١).
(٣) أخرجه أبو داود (برقم ٣٦٥٨)، والترمذي (برقم ٢٦٤٩)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي.
(٤) أخرجه مسلم (برقم ١٨٤٨).
(٥) أخرجه البخاري (برقم ٦٨٨٢).
(٦) تقدم تخريجه (ص١٣٨).

يا رسول الله قد علمنا الثَرْثَارُونَ وَالمُتَشَدِّقُونَ، فَمَا المُتَفيْهِقُونَ؟ قال: «الْمُتَكَبِّرُونَ»[(١)(٢)].

وقال النبي ﷺ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخِيَارِكُمْ؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**الَّذِينَ إِذَا رُءُوا ذُكِرَ اللهُ** ﷻ. **أَفَلَا أُخْبِرُكُمْ بِشِرَارِكُمْ؟**» قالوا: بلى، قال: «**الْمَشَّاءُونَ بِالنَّمِيمَةِ، الْمُفْسِدُونَ بَيْنَ الْأَحِبَّةِ، الْبَاغُونَ لِلْبُرَآءِ الْعَنَتَ**»[(٣)].

وعن الزُّبير بن العوَّام رضي الله عنه: أنَّ النبي ﷺ قال: «**دَبَّ إِلَيْكُمْ دَاءُ الْأُمَمِ قَبْلَكُمْ: الْحَسَدُ وَالْبَغْضَاءُ، هِيَ الْحَالِقَةُ، لَا أَقُولُ تَحْلِقُ الشَّعْرَ، وَلَكِنْ تَحْلِقُ الدِّينَ، والَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَدْخُلُوا الجنَّةَ حَتَّى تُؤْمِنُوا، وَلَا تُؤْمِنُوا حَتَّى تَحَابُّوا، أَفَلَا أُنَبِّئُكُمْ بِمَا يُثَبِّتُ ذَلِكَ لَكُمْ؟ أَفْشُوا السَّلَامَ بَيْنَكُمْ**»[(٤)].

وعن حكيم بن حزام رضي الله عنه قال: سألت رسول الله ﷺ فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم سألته فأعطاني، ثم قال: «**يَا حَكِيمُ، إِنَّ هَذَا الْمَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، فَمَنْ أَخَذَهُ بِسَخَاوَةِ نَفْسٍ بُورِكَ لَهُ فِيهِ، وَمَنْ أَخَذَهُ بِإِشْرَافِ نَفْسٍ لَمْ يُبَارَكْ لَهُ فِيهِ، كَالَّذِي يَأْكُلُ وَلَا يَشْبَعُ، اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى**»[(٥)].

---

(١) أخرجه الترمذي (برقم ٢٠١٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢) قال النووي: «**الثَّرْثَارُ**»: هو كثير الكلام تكلفًا. «**والمتشدق**»: المتطاول على الناس بكلامه، ويتكلم بملء فيه تفاصحًا وتعظيمًا لكلامه، «**وَالمُتَفَيْهِقُ**»: أصله من الفَهْقِ، وهو الامتلاء، وهو الذي يملأ فمه بالكلام، ويتوسع فيه، ويغرب به تكبرًا وارتفاعًا، وإظهارًا للفضيلة على غيره. «رياض الصالحين» (ص٢٠٦).

(٣) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٣٢٣)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

(٤) أخرجه الترمذي (برقم ٢٥١٠)، وأحمد (برقم ١٤١٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣٣٦١).

(٥) أخرجه البخاري (برقم ١٤٧٢)، ومسلم (برقم ١٠٣٥).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ**»(١).

وقال النبي ﷺ: «**تَجِدُونَ شَرَّ النَّاسِ ذَا الْوَجْهَيْنِ، الَّذِي يَلْقَى هَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ وَهَؤُلَاءِ بِوَجْهٍ**»(٢).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ، وَإِنَّ مِنَ المُجَاهَرَةِ أَنْ يَعْمَلَ الرَّجُلُ بِاللَّيْلِ عَمَلًا، ثُمَّ يُصْبِحَ وَقَدْ سَتَرَهُ اللهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولَ: يَا فُلَانُ، عَمِلْتُ البَارِحَةَ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ بَاتَ يَسْتُرُهُ رَبُّهُ، وَيُصْبِحُ يَكْشِفُ سِتْرَ اللهِ عَنْهُ**»(٣).

وعن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا مَعْشَرَ مَنْ آمَنَ بِلِسَانِهِ، وَلَمْ يَدْخُلِ الْإِيمَانُ قَلْبَهُ، لَا تَغْتَابُوا الْمُسْلِمِينَ، وَلَا تَتَّبِعُوا عَوْرَاتِهِمْ، فَإِنَّهُ مَنِ اتَّبَعَ عَوْرَاتِهِمْ يَتَّبِعُ اللهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ يَتَّبِعِ اللهُ عَوْرَتَهُ يَفْضَحْهُ فِي بَيْتِهِ**»(٤).

وعن حَارِثَةَ بْنَ وَهْبٍ الخُزَاعِيَّ رضي الله عنه، قَالَ: سَمِعْتُ النبي ﷺ يَقُولُ: «**أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ الْجَنَّةِ؟ كُلُّ ضَعِيفٍ مُتَضَعِّفٍ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ. أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَهْلِ النَّارِ: كُلُّ عُتُلٍّ، جَوَّاظٍ مُسْتَكْبِرٍ**»(٥).

وعن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَنَا زَعِيمٌ بِبَيْتٍ فِي رَبَضِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْمِرَاءَ وَإِنْ كَانَ مُحِقًّا، وَبِبَيْتٍ فِي وَسَطِ الْجَنَّةِ لِمَنْ تَرَكَ الْكَذِبَ وَإِنْ كَانَ مَازِحًا، وَبِبَيْتٍ فِي أَعْلَى الْجَنَّةِ لِمَنْ**

---

(١) تقدم تخريجه (ص٢٠٤).
(٢) رواه البخاري (برقم ٣٤٩٣).
(٣) أخرجه البخاري (برقم ٦٠٦٩)، ومسلم (برقم ٢٩٩٠).
(٤) أخرجه أبو داود (برقم ٤٨٨٠)، وأحمد (برقم ١٩٧٧٦)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٧٩٨٤).
(٥) أخرجه البخاري (برقم ٤٩١٨)، ومسلم (برقم ٢٨٥٣).

حَسَّنَ خُلُقَهُ»(١).

وعن عروة بن الزُّبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أنَّ عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قالت: استأذن رجل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: **«ائْذَنُوا لَهُ، بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ! أَوْ ابْنُ الْعَشِيرَةِ»**. فلما دخل، أَلَانَ له الكلام. قلت: يا رسول الله! قلتَ الذي قلتَ، ثم ألنت له الكلام! قال: **«أَيْ عَائِشَةُ! إِنَّ شَرَّ النَّاسِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ، أَوْ وَدَعَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ فُحْشِهِ»**(٢).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ، وَثَلَاثٌ مُنْجِيَاتٌ: فَالثَّلَاثُ الْمُهْلِكَاتُ: شُحٌّ مُطَاعٌ، وَهَوًى مُتَّبَعٌ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ. وَالثَّلَاثُ الْمُنْجِيَاتُ: خَشْيَةُ اللهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلَانِيَةِ، وَالْقَصْدُ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَالْعَدْلُ فِي الْغَضَبِ وَالرِّضَا»**(٣).

وقال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«وَإِنِ امْرُؤٌ شَتَمَكَ وَعَيَّرَكَ بِمَا يَعْلَمُ فِيكَ، فَلَا تُعَيِّرْهُ بِمَا تَعْلَمُ فِيهِ، فَإِنَّمَا وَبَالُ ذَلِكَ عَلَيْهِ»**(٤).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«اجْتَنِبُوا السَّبْعَ الْمُوبِقَاتِ»**، قالوا: يا رسول الله وما هن؟ قال: **«الشِّرْكُ بِاللهِ، وَالسِّحْرُ، وَقَتْلُ النَّفْسِ الَّتِي حَرَّمَ اللهُ إِلَّا بِالحَقِّ، وَأَكْلُ الرِّبَا، وَأَكْلُ مَالِ اليَتِيمِ، وَالتَّوَلِّي يَوْمَ الزَّحْفِ، وَقَذْفُ المُحْصَنَاتِ المُؤْمِنَاتِ الغَافِلَاتِ»**(٥).

وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: **«الكَبَائِرُ:**

---

(١) أخرجه أبو داود (برقم ٤٨٠٠)، وحسنه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) تقدم تخريجه (ص٢٠٣).

(٣) أخرجه البزار في مسنده (برقم ٧٢٩٣)، والطبراني في الأوسط (برقم ٥٤٥٢)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣٠٤٥).

(٤) أخرجه أبو داود (برقم ٤٠٨٤)، وأحمد (برقم ٢٠٦٣٥)، وصححه الألباني في «السلسلة الصحيحة» (برقم ١١٠٩).

(٥) أخرجه البخاري (برقم ٢٧٦٦)، ومسلم (برقم ٨٩).

الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، وَقَتْلُ النَّفْسِ، وَاليَمِينُ الغَمُوسُ»(١).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ كَانَ مُنَافِقًا خَالِصًا، وَمَنْ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنْهُنَّ كَانَتْ فِيهِ خَصْلَةٌ مِنَ النِّفَاقِ حَتَّى يَدَعَهَا: إِذَا اؤْتُمِنَ خَانَ، وَإِذَا حَدَّثَ كَذَبَ، وَإِذَا عَاهَدَ غَدَرَ، وَإِذَا خَاصَمَ فَجَرَ»(٢).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أَرْبَعٌ فِي أُمَّتِي مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَتْرُكُونَهُنَّ: الْفَخْرُ فِي الْأَحْسَابِ، وَالطَّعْنُ فِي الْأَنْسَابِ، وَالِاسْتِسْقَاءُ بِالنُّجُومِ، وَالنِّيَاحَةُ»، وَقَالَ: «النَّائِحَةُ إِذَا لَمْ تَتُبْ قَبْلَ مَوْتِهَا، تُقَامُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَيْهَا سِرْبَالٌ مِنْ قَطِرَانٍ، وَدِرْعٌ مِنْ جَرَبٍ»(٣).

وقال النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ، فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الحَدِيثِ، وَلَا تَحَسَّسُوا، وَلَا تَجَسَّسُوا، وَلَا تَحَاسَدُوا، وَلَا تَدَابَرُوا، وَلَا تَبَاغَضُوا، وَكُونُوا عِبَادَ اللهِ إِخْوَانًا»(٤).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «أَتَدْرُونَ مَنْ مُفْلِسُ أُمَّتِي؟»، قلنا: لا. قال: «الْمُفْلِسُ الَّذِي يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، قَدْ ضَرَبَ هَذَا، وَشَتَمَ هَذَا، وَأَخَذَ مَالَ هَذَا، فَتُؤْخَذُ مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَتُوضَعُ عَلَى حَسَنَاتِ الْآخَرِ، فَإِنْ فَضَلَ عَلَيْهِ، أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ الْآخَرِ، فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُلْقَى فِي النَّارِ»(٥).

وعن أبي ذر رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «ثَلَاثَةٌ لَا يُكَلِّمُهُمُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» قال: فقرأها رسولُ الله ﷺ، ثلاثَ مرَّات. قالَ أبو ذَرٍّ: خابُوا وخسِرُوا، مَنْ هُمْ يَا رَسُول الله؟ قالَ: «الْمُسْبِلُ، وَالْمَنَّانُ، وَالْمُنَفِّقُ سِلْعَتَهُ بِالْحَلِفِ الْكَاذِبِ»(٦).

---

(١) أخرجه البخاري (برقم ٦٦٧٥).
(٢) تقدم تخريجه (ص١٥٨).
(٣) أخرجه مسلم (٩٣٤).
(٤) تقدم تخريجه (ص٢١٤).
(٥) أخرجه مسلم (٢٥٨١).
(٦) أخرجه مسلم (١٠٦).

وقال النبي ﷺ: «**لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةٍ مِنْ كِبْرٍ**»، قال رجل: إنَّ الرجل يحب أن يكون ثوبه حسنًا، ونعله حسنة، قال: «**إِنَّ اللهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمْطُ النَّاسِ**»(١).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه: عن النبي ﷺ قال: «**الحَيَاءُ مِنَ الإِيمَانِ، وَالإِيمَانُ فِي الجَنَّةِ، وَالبَذَاءُ مِنَ الجَفَاءِ، وَالجَفَاءُ فِي النَّارِ**»(٢).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلْخَيْرِ مَغَالِيقَ لِلشَّرِّ، وَإِنَّ مِنَ النَّاسِ مَفَاتِيحَ لِلشَّرِّ مَغَالِيقَ لِلْخَيْرِ، فَطُوبَى لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الْخَيْرِ عَلَى يَدَيْهِ، وَوَيْلٌ لِمَنْ جَعَلَ اللهُ مَفَاتِيحَ الشَّرِّ عَلَى يَدَيْهِ**»(٣).

وقال عليّ رضي الله عنه: «لَا تَكُونُوا عُجُلًا مَذَايِيعَ بُذرًا؛ فإن من ورائكم بلاءً مُبَرِّحًا مملحًا، وأمورًا متماحلة ردحًا»(٤).

وقال الحسن رحمه الله ـ وسمِع قومًا يتجادلون ـ: «هؤلاءِ قوم مَلّوا

---

(١) أخرجه مسلم (٩١).

(٢) أخرجه الترمذي (برقم ٢٠٠٩)، وابن ماجه (برقم ٤١٨٤)، وأحمد (برقم ١٠٥١٢)، وصححه الألباني في «صحيح الجامع» (برقم ٣١٩٩).

(٣) أخرجه ابن ماجه (برقم ٢٣٧)، وحسنه ابن ماجه في «صحيح الجامع» (برقم ٢٢٢٣).

(٤) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (برقم ٣٢٧)، وصححه الألباني في «صحيح الأدب المفرد».

«**مذاييع**»: جمع مذياع، من أذاع الشيء؛ إذا نشره ولم يكتمه، ثرثار، مهذار. والمراد ها هنا: الذين يشيعون الأخبار والمنكرات دون تثبت وتحرز. و«**البذر**»: ـ جمع بذور ـ؛ أي: الذين يزرعون الشر. و«**البَرْح**»: ـ بفتح وسكون ـ: الشدة والشر والعذاب الشديد والمشقة. و«**مملحًا**»: وفي بعض الطرق: (مُكْلِحًا)؛ أي: يكلح الناس لشدته، والكُلوح: العُبوس. و«**المتماحل**»: من الرجال: الطويل. و«**ردحًا**»: جمع رداح، وهو الجمل المثقل حملًا. **والمعنى**: الفتن الثقيلة العظيمة.

العبادة، وخفّ عليهم القول، وقلّ ورعهم فتكلموا»[١].

وقال أبو العالية رَحِمَهُ اللَّهُ: آيتان ما أشدهما على من يجادل في القرآن: قوله تعالى: ﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِي ٱلۡكِتَٰبِ لَفِي شِقَاقِۭ بَعِيدٖ ١٧٦﴾[٢].

وقال الأحنف بن قيس رَحِمَهُ اللَّهُ: «ألا أخبركم بأدوأ الداء؟ قالوا: بلى، قال: الخلق الدني، واللسان البذي»[٣].

وقال أبو حاتم رَحِمَهُ اللَّهُ: «أعظم المصائب سوء الخلق»[٤].

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «حسن الخلق بَذْر اكتساب المحبَّة، كما أنَّ سوء الخلق بَذْر استجلاب البغْضَة. ومن حَسُن خلقه صان عرضه، ومن ساء خلقه هتك عرضه؛ لأنَّ سوء الخلق يورث الضَّغائن، والضَّغائن إذا تمكَّنت في القلوب أورثت العداوة، والعداوة إذا ظهرت من غير صاحب الدِّين، أهوت صاحبها إلى النَّار، إلا أن يتداركه المولى بتفضُّلٍ منه وعفو»[٥].

وعَنْ أَبِي حَازِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ قَالَ: «السيئ الخلق، أشقى الناس به نفسه التي بين جنبيه، هي منه في بلاء، ثم زوجته، ثم ولده، حتى إنه ليدخل بيته وإنهم لفي سرور، فيسمعون صوته، فينفرون عنه فَرَقًا منه، وحتى إن دابته لتحيد مما يرميها بالحجارة، وإن كَلْبَه ليراه فينزو على الجدار، وحتى إن قطه ليفر منه»[٦].

وقال ابن حزم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وما في جميع الناس شرٌّ من الوشاة، وهم النَّمَّامون، وإنَّ النَّمِيمَة لطبع يدلُّ على نتن الأصل، ورداءة الفرع، وفساد الطبع، وخبث النشأة، ولا بد لصاحبه من الكذب؛ والنَّمِيمَة فرع من

(١) الورع، لابن أبي الدنيا (ص١٢٢).
(٢) رواه البيهقي في «الشعب» (٣/ ٥٣٨).
(٣) «أدب الدنيا والدين» (برقم ٢٤٢).
(٤) «روضة العقلاء» (ص١٤٦).
(٥) «روضة العقلاء» (ص٢٣٠).
(٦) «مساوئ الأخلاق» للخرائطي (ص٢٢).

فروع الكذب، ونوع من أنواعه، وكلُّ نمام كذاب»(١).

وقال ابن حبان رَحِمَهُ اللَّهُ: «ما رأيت أحدًا أخسر صفقة ولا أظهر حسرة، ولا أخيب قصدًا، ولا أقل رشدًا، ولا أحمق شعارًا، ولا أدنس وثارًا من المفتخر بالآباء الكرام، وأخلاقهم الجسام، مع تعريه عن سلوك أمثالهم، وقصد أشباههم، متوهمًا أنهم ارتفعوا بمن قبلهم، وسادوا بمن تقدمهم. هيهات، أنَّى يسود المرء على الحقيقة إلا بنفسه، وأنى ينبل في الدارين إلا بكده»(٢).

وقال الحافظ ابن عساكر رَحِمَهُ اللَّهُ: «واعلم يا أخي ـ وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته ـ أن لحوم العلماء ـ رحمة الله عليهم ـ مسمومة، وعادة الله في هتك أستار منتقصيهم معلومة؛ لأن الوقيعة فيهم بما هم منه براء أمر عظيم، والتناول لأعراضهم بالزور والافتراء مرتع وخيم، والاختلاف على من اختاره الله منهم لِنَعش العلم خلق ذميم»(٣).

وقال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «فعلامة السعادة أن تكون حسنات العبد خلف ظهره، وسيئاته نصب عينيه، وعلامة الشقاوة: أن يجعل حسناته نصب عينيه وسيئاته خلف ظهره، والله المستعان»(٤).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فطوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس، وويل لمن نسي عيبه وتفرغ لعيوب الناس»(٥).

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «إنَّ تعييرك لأخيك بذنبه أعظم إثمًا مِن ذنبه، وأشدُّ مِن معصيته؛ لما فيه مِن صولة الطَّاعة، وتزكية النَّفس وشكرها، والمناداة عليها بالبراءة مِن الذَّنب، وأنَّ أخاك باء به، ولعلَّ كسرته بذنبه، وما أحدث له مِن

---

(١) «رسائل ابن حزم» (١/ ١٧٣).
(٢) «روضة العقلاء» (ص٢٣٠).
(٣) «تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الأشعري» (ص٢٩).
(٤) «مفتاح دار السعادة» (١/ ٢٩٨).
(٥) «طريق الهجرتين» (ص١٧٢).

الذِّلَّة والخضوع والإزراء على نفسه، والتَّخلُّص مِن مرض الدَّعوى والكِبْر والعُجْب، ووقوفه بين يدي الله ناكس الرَّأس، خاشع الطَّرف، منكسر القلب أنفع له، وخيرٌ مِن صولة طاعتك، وتكثُّرك بها، والاعتداد بها، والمنَّة على الله وخَلْقِه بها، فما أقرب هذا العاصي مِن رحمة الله، وما أقرب هذا المدِل مِن مقت الله؛ فذنب تَذِلُّ به لديه أحبُّ إليه مِن طاعة تدلُّ بها عليه، وإنَّك أن تَبِيتَ نائمًا وتصبح نادمًا خيرٌ مِن أن تَبِيتَ قائمًا وتصبح مُعْجَبًا؛ فإنَّ المعْجَب لا يَصْعَد له عملٌ، وإنَّك إن تضحك وأنت معترفٌ، خيرٌ مِن أن تبكي وأنت مُدِلٌّ، وأنين المذنبين أحبُّ إلى الله مِن زجل المسبحين المدِلِّين، ولعلَّ الله أسقاه بهذا الذَّنب دواءً استخرج به داءً قاتلًا هو فيك ولا تشعر، فلله في أهل طاعته ومعصيته أسرار لا يعلمها إلَّا هو، ولا يطالعها إلَّا أهل البصائر، فيعرفون منها بقَدْرِ ما تناله معارف البَشَر»(١).

وقال ابن سعدي رَحِمَهُ اللهُ: «سيء الخلق في شقاء حاضر، وعذاب مستمر، ونزاع ظاهري وباطني مع نفسه وأولاده ومخالطيه، ويشوش عليه حياته، ويُكدِّر أوقاته مع ما يترتب على ذلك من فوات تلك الآثار الطيبة، والتعرض لضدها»(٢).

وقال رَحِمَهُ اللهُ: «من الغلط الفاحش الخطر: قبول قول الناس بعضهم ببعض، ثم يبني عليه السامع حبًّا أو بغضًا، ومدحًا وذمًّا؛ فكم حصل بهذا الغلط من أمور صار عاقبتها الندامة، وكم أشاع الناس عن الناس أمورًا لا حقائق لها بالكلية، أو لها بعض الحقيقة فنميت بالكذب والزور، وخصوصًا ممن عُرفوا بعدم المبالاة بالنقل، أو عرف منهم الهوى، فالواجب على العاقل التثبت والتحرز، وعدم التسرع، وبهذا يعرف دين المرء ورزانته وعقله»(٣).

---

(١) «مدارج السالكين» (١/ ١٩٥).
(٢) «الفتاوى السعدية» (ص٦٣٨).
(٣) «الرياض الناضرة» (ص٢٣٤).

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كن حافظًا للسر، معروفًا عند الناس بحفظه، فإنهم إذا عرفوا منك هذه الحال أفضوا إليك بأسرارهم، وعذروك إذا طويت عنهم سر غيرك الذي هم عليه مشفقون، وخصوصًا إذا كان لك اتصال بكل واحد من المتعادين؛ فإن الوسائل لاستخراج ما عندك تكثر وتتعدد من كل من الطرفين، فإياك إياك أن يظفر أحد منهم بشيء من ذلك تصريحًا أو تعريضًا، واعلم أن للناس في استخراج ما عند الإنسان طرقًا دقيقة، ومسالك خفية؛ فاجعل كل احتمال ـ وإن بعد ـ على بالك، ولا تؤت من جهة من جهاتك؛ فإن هذا من الحزم.

واجزم بأنك لا تندم على الكتمان، وإنما الضرر والندم في العجلة والتسرع، والوثوق بالناس ثقة تَحملك على ما يَضُر»(١).

فيه فوائد
في الترهيب من مساوئ الأخلاق،
وهي كالتالي

الأولى: التقدم بين يدي الله ورسوله، كتقديم الرأي والعاطفة وما يُتوهم أنه مصلحة على الشرع.

الثانية: ضرب كتاب الله بَعْضَه بِبَعض، ودعوى التعارض بين الآيات.

الثالثة: الاعتراض على السُّنَّة وردّها وضربها بالقرآن، ودعوى مخالفتها له.

الرابعة: تلقي مصادر الدين كالعقيدة والأحكام الشرعية وتزكية النفوس والأخلاق من غير الكتاب والسُّنَّة.

الخامسة: المراء والجدال في القرآن والسُّنَّة.

السادسة: الطعن في صحابة رسول الله ﷺ.

(١) المرجع السابق نفسه.

السابعة: التكسب بالقرآن وإرادة الدنيا به.

الثامنة: الفجور بالقرآن، وهجر تلاوته والعمل به.

التاسعة: مفارقة جماعة المسلمين، والقتال تحت الرايات العمِّية.

العاشرة: طرح الأغلوطات على أهل العلم.

الحادية عشرة: طلب العلم لمجاراة العلماء، أو مماراة السفهاء، أوحبّ الشهرة، أو للتكسب به.

الثانية عشرة: مِلال العبادة والتعلّم، والرجوع إلى سَفَاسف الأخلاق.

الثالثة عشرة: الجدال والمراء والخصومة.

الرابعة عشرة: تعلم صرف وجوه الناس لشخصه أو توجهه الفكري.

الخامسة عشرة: كتمان العلم خوفًا من كلام الناس أو لغيره من الأسباب المذمومة.

السادسة عشرة: الإلحاد في الحرم.

السابعة عشرة: ابتغاء سُنَّة الجاهلية في الإسلام كتحكيم القوانين الوضعية، والتعصب للطوائف والمذاهب والأفكار وغيرها كثير.

الثامنة عشرة: التّشبّه بالكفار.

التاسعة عشرة: السخرية بالمؤمنين ولمزهم ونبزهم بالألقاب.

العشرون: الثرثرة والتشدق والتفيهق.

الحادية والعشرون: المشي بالنميمة بين الناس، والتفريق بين الأحبة، والإفساد بين الإخوان.

الثانية والعشرون: البخل والحسد والبغضاء.

الثالثة والعشرون: الفحش في الأقوال والأعمال.

الرابعة والعشرون: التعلق بالأموال والمناصب والرياسات، وجعل العلم مطية لتحصيلها.

الخامسة والعشرون: الطعن واللعن.

السادسة والعشرون: النفاق في معاملة الناس.

السابعة والعشرون: المجاهرة بالمعاصي والفسوق.

الثامنة والعشرون: تتبّع عورات المسلمين.

التاسعة والعشرون: احتقار الناس والاستعلاء عليهم.

الثلاثون: اتباع الهوى والعجب بالنفس والطمع في الدنيا.

الحادية والثلاثون: الشرك والسحر وقتل النفس وأكل الربا وأكل مال اليتيم والتولي يوم الزحف وقذف المحصنات.

الثانية والثلاثون: عقوق الوالدين واليمين الغموس.

الثالثة والثلاثون: الخيانة والكذب، وعدم الوفاء بالعهد، والفجور في الخصومة.

الرابعة والثلاثون: الفخر بالأحساب والطعن في الأنساب، والاستسقاء بالنجوم، والنياحة.

الخامسة والثلاثون: سوء الظن والتجسس والتحسس.

السادسة والثلاثون: الغِيبة.

السابعة والثلاثون: المنّ، والإسبال، والحلف كذبًا.

الثامنة والثلاثون: الكِبْر وهو ردّ الحق، واحتقار الناس.

التاسعة والثلاثون: الجفاء وقلة الحياء.

الأربعون: أن يكون المرء مفتاحًا للشر.

الحادية والأربعون: العجلة في قبول الأقوال ونشرها وإصدار الأحكام قبل التثبت.

الثانية والأربعون: لمز العلماء والطعن فيهم.

الثالثة والأربعون: الاشتغال بعيوب الناس وتعييرهم بها.

الرابعة والأربعون: نَشر أسرار الناس، أعاذنا الله منها جميعًا آمين.

تمت ولله الحمد

وصلى الله وسلم على نبيّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

فهرس الموضوعات

الموضوع رقم الصفحة

الموضوع | رقم الصفحة

الموضوع رقم الصفحة